الشيخ محسن آل مبارك

من سيرة العلماء

على لسان السيد موسى الزنجاني دام بقاؤه



من سيرة العلماء

على لسان السيّد موسى الزنجاني دام بقاؤه



الطبعة الأولى

١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

القطيف - المملكة العربية السعودية



من سيرة العلماء

على لسان السيّد موسى الزنجاني دام بقاؤه

ترجمة وإعداد

الشيخ محسن آل مبارك





إن سبب التقدم في جميع الأمور هو الإخلاص

مع الإخلاص يأتي التأييد الإلهي.
المهم أن يُقوّي الإنسان علاقته بالله تعالى.
ومن الأمثلة على ذلك أن الحوزة العلمية تعرّضت لضغود شديدة في زمان رضا خان، وكادت تتلاشى، لولا إخلاص الشيخ عبدالكريم الحائري، والذين جاؤوا من بعده وحفظوا الحوزة الدينية.

آية الله موسى الزنجاني دام بقاؤه





تقديم

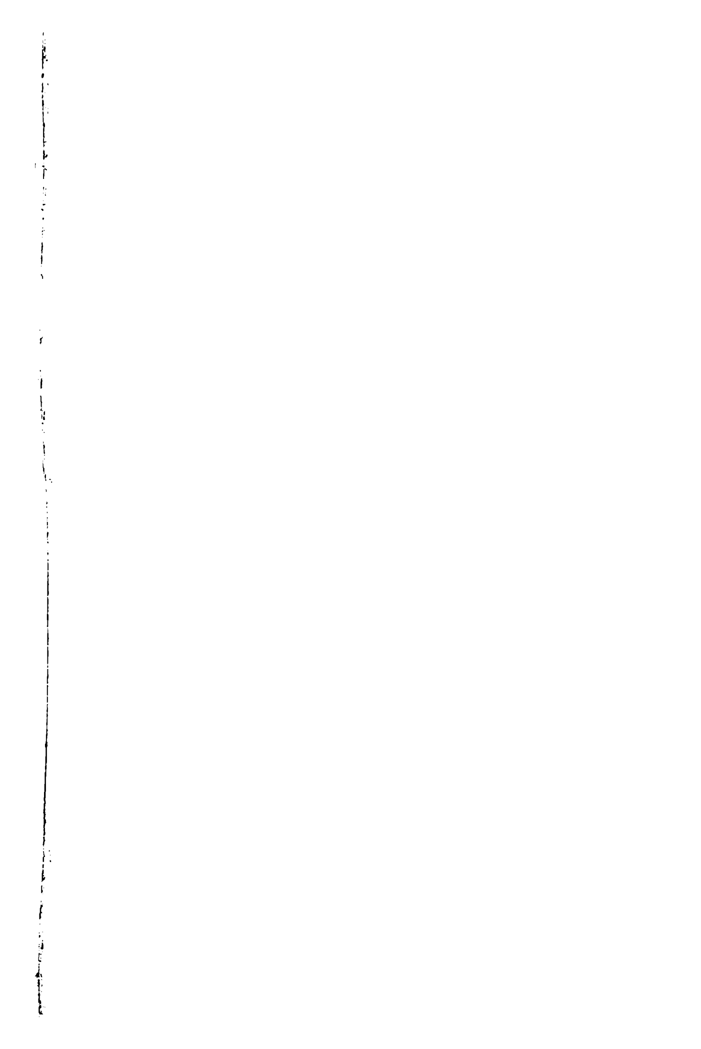
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

وبعد، فإني قد وُفّقت للحضور في جلسات المرجع الكبير آية الله السيّد موسى الزنجاني (دام بقاؤه) مدةً غير قليلة، استفدتُ فيها كثيرًا من علمه وأخلاقه. وقد دُوّنت الكثير من فوائد تلك الجلسات وطُبعت بالفارسية، فعزمتُ على ترجمتها إلى العربية ليشاركني القارئ المحترم ما استفدته من تلك الجلسات وما أضيف إليها في الكتاب المطبوع. وقد بدأت بالترجمة قبل سنتين لكني ابتليتُ بظروف مختلفة عاقتني عن الإتمام وجعلتْ ما ترجمته مقتطعًا من مواضع مختلفة بشكل غير مرتب.

والآن، وقد انتهت بي الظروف إلى التوقف عن الترجمة، وجدتُ ما اجتمع منها على نواقصه مقدارًا صالحًا لاستفادة القراء المحترمين، وخصوصًا طلبة العلوم الدينية. وهو يشتمل على مطالب متنوعة في التراجم والتاريخ والأخلاق والسياسة. فها أنذا أقدمه بين أيديكم وأستميح صاحب الكتاب وهو سماحة السيّد والمؤسسة التي عُنيَت بنشره بالفارسية، وأستميحكم العذر أيها القرّاء، وأسأل الله أن ينفع به، وأن يحفظ السيّد علمًا من أعلام المسلمين بحق محمد وآله الطاهرين.

المترجم



تعريف مختصر

بسماحة آية الله السيّد موسى شبيري زنجاني (دام ظله)

ولادته: بعد ثلاثة أشهر من وصول والده المكرم إلى حرم السيدة المعصومة وُلد السيّد موسى في ٨ رمضان ١٣٦٤هـ وسمي بهذا الاسم لأجل والد السيدة المعصومة الإمام الكاظم(عليه السلام).



والده: آية الله العظمى السيّد أحمد الزنجاني، فقيه كبير ورع متخلق بالاخلاق الإلهية. وله إحاطة كاملة على أبواب الفقه المختلفة. مما كان يثير إعجاب العلماء، مثل: الشيخ الأراكي. وكان من أصدقاء الإمام الخميني(ره).

ينقل آية الله السيّد جعفر الزنجاني ـ أخ السيّد موسى ـ في مقابلة مع مجلة (باسدار إسلام) الفارسية بعض التفاصيل عن هذه الصداقة.

يقول: اقترح المرحوم الشيخ مرتضى الحائري أن يعقدوا مجلسًا وديًا ليلةً في كلّ أسبوع. وذات ليلة أرادوا أن يتّفقوا على مَن يحضر ذلك المجلس، فذكَرَ الميرزا عبد الله المجتهدي اسم والدي، ومن حينها بدأت صداقتهما. وكانا [السيّد أحمد الزنجاني والإمام الخميني] يخرجان صباحًا لتذاكُر العلم، فيلتقيان خارج المدينة إلى جانب نهرٍ بعد جسر منطقة الصّفائية.

■ **كان ذلك المكان بادية غير مأهولة؟**

نعم، كان أشبه بصحراء، وذات يوم وجدا سنبلة حنطة على الأرض، فخشيا أن تسحقها الأقدام، فحملاها وزرعاها بالقرب من النهر الذي يقصدانه، وتعاهداها بالسّقاية يوميًّا حتى نبتت واخضرَّت، فكانا يتمازحان بإطلاق اسم الحديقة الخضراء على ذلك المكان، ويقول أحدهما للآخر: «غدًا نلتقي في الحديقة الخضراء»، فيظنّ السامع أنّها روضة غنّاء.

■ **هل سافرا معًا إلى مدينة مشهد؟**

نعم. والتقط لهما المرحوم فقيهي صورًا تذكارية بآلة التصوير الخاصّة به، ثم حمّض الفيلم وطبعها بنفسه، وفي تلك الرحلة التقيا بالعارف آية الله النخودكي الأصفهاني(ره)، وتفاصيل اللقاء نقلناه عند الحديث عنه (قدس سره).

نقلوا أنه عندما ذهب الإمام والمرحوم والدك والآخرين إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا(عليه السلام)، كان الإمام يزور زيارة سريعة ثم يعود إلى المنزل الذي استأجروه ليكنس الأرض ويرشّها بالماء ويوقد السماور ويصنع الشاي وحينما يرجع الآخرون من الزيارة يسألونه بتعجّب: أنت تزور بسرعة وتعود لتصنع لنا الشاي؟! فقال الإمام: خدمة زوّار الإمام الرضا(عليه السلام) لا تقلّ عن زيارته!

أجل، للإمام روحيّة كهذه، وكان يعتقد أن خدمة الناس شيء عظيم. كما يُستفاد من بعض الروايات أن أفضل العبادة خدمة الناس وحلّ مشاكلهم.

قبّلتُ يده

بعد وفاة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري(ره)، انشغل الإمامُ

بالتدريس ولم يلتحق بالحلقة الدراسية لأيّ أستاذ آخر.. ومن أجل مواصلة رقيّه في مدارج الفقه والأصول، كانت لديه أبحاث مشتركة مع كبار علماء الحوزة العلمية. وقد حرص على مدى سنوات على المشاركة في مثل هذه البحوث التي كانت تُقام من قِبَل المرحوم آية الله السيّد الصدر وآية الله السيّد الزنجاني. وممّا يذكرُه سماحته في هذا الصدد قوله: اشتدّ في أحد الأيام النقاش أثناء هذه الأبحاث بيني وبين المرحوم آية الله الزنجاني، ونظرًا لمنـزلة المرحوم الزنجاني وكبر سنه قمت وقـّبلت يده.

دراسة السيّد موسى الحوزوية

بدأ السيّد موسى دراسته سنة ١٣٥٩هـ. أنهى مرحلة السطوح في أربع سنوات. ثم حضر درس الخارج للسيد صدر الدين الصدر والد السيّد موسى الصدر (فرّج الله عنه).



السيد الزنجاني والسيد موسى الصدر أصدقاء وهما في نفس العمر بفارق ستة أشهر تقريبًا، وكان درس السيّد صدر الدين مليئًا بالفضلاء الكبار. وكان السيّد موسى أصغرهم سنًا في ذلك الوقت.

أكثر استفادة السيّد في دروس الخارج كانت من شخصين: السيّد البروجردي(ره)، الذي حضر له كتاب الغصب والإجارة والصلاة. والسيد محمد الداماد(ره)، الذي حضر له دورة كاملة في الأصول، و ٢١ سنة في دروس الفقه.

وُفق السيّد للسفر إلى النجف الأشرف، فكانت الأولى سنة ١٣٧٣ والثانية ١٣٧٤. وحضر في دروس السيّد عبد الهادي الشيرازي. السيّد محسن الحكيم. والسيد الخوئي(رحمهم الله جميعًا).

اشتغل بتدريس الفقه والأصول منذ أكثر من ٤٠ سنة. وله كتب متعددة

في الفقه والأصول والحديث والدراية. وقد ذكرت (جماعة مدرّسي حوزة قم) في بيانها عن التقليد المبرئ للذمة اسم السيّد الزنجاني ضمن مجموعة المراجع المبرئين للذمة.



١

علي بن الحسين المسعودي(ﷺ) صاحب: إثبات الوصية

(كان حيًا في سنة ٣٢٣ هـ . ق)

هناك شخصيتان اسمهما علي بن الحسين المسعودي، أحدهما: صاحب (إثبات الوصية)، والآخر: صاحب (مروج الذهب). الأول: من مشايخ النعماني وهو شيعي قطعًا، والثاني: شافعي ظاهرًا، وقد ترجم له السُبكي في (طبقات الشافعية).



النجاشي(ﷺ) اشتبه بينهما، فكتب:

علي بن الحسين بن علي المسعودي، أبو الحسن الهذلي، له: كتاب المقالات في أصول الديانات، كتاب الزلف، كتاب الاستبصار، كتاب سر الحياة، كتاب نشر الأسرار، كتاب الصفوة في الإمامة، كتاب الهداية إلى تحقيق الولاية، كتاب المعالي في الدرجات والإبانة في أصول الديانات، رسالة إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب(ﷺ)، رسالة إلى صَعوَة المِصِيصي، أخبار الزمان من الأمم الماضية والأحوال الخالية، كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، كتاب الفهرست.

هذا رجلٌ زعم ابو المفضل الشيباني (رحمه الله) أنه لقيه واستجازه. وقال: لقيته. وبقي هذا الرجل إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة[1].

من خلال ملاحظة كتاب (التنبيه والإشراف) الذي يُحتمل أن يكون

(١) رجال النجاشي ص ٢٥٤ رقم ٦٦٥.

آخر مؤلفات صاحب (مروج الذهب)، يتبين بشكل قاطع أنه ليس صاحب (إثبات الوصية)؛ لأنه يقول هناك: إن الدليل الوحيد للإثني عشرية على كون الأئمة بهذا العدد رواية أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي فقط ولا غير. يقول: (والقطعية بالإمامة الاثنا عشرية منهم الذين أصلهم في حصر العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلالي، في كتابه الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش، أنّ النبي ﷺ قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ﷺ): (أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق) ولم يرو هذا الخبر غير سليم بن قيس.. وإنما سموا بالقطعية لقطعهم على وفاة بن موسى بن جعفر وتركهم الوقوف عليه)[1].

فهل يمكن أن يكون شخص اثنا عشريًا ويكتب كتابًا مثل (إثبات الوصية)، وهو يعتقد أن الدليل على كون الأئمة اثني عشر رواية واحدة فقط؟! وإضافة إلى ذلك فإنَّ مضامين كتاب (مروج الذهب) تتطابق غالبًا مع كلمات العامة.



ولا يوجد أي استبعاد في أن يكون هناك شخصان باسم واحد (علي بن الحسين) في زمان واحد، وينتهي نسب كليهما إلى عبد الله بن مسعود. نعم، لو كانت هذه الأسماء من الأسماء الغريبة، أو كان الانتساب إلى ابن مسعود نادرًا لكان الاستبعاد في محله.

الخيانة في نقل التاريخ

لصاحب (مروج الذهب) تعبير مسيء في حق الإمام الرضا(ﷺ) يكشف عن سوء سريرته حيث يقول: وقُبض علي بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه[2].

(١) التنبيه والإشراف ص ١٩٨.
(٢) مروج الذهب ج٣ ص ٤٤١.

ورحمة الله على السيّد مصطفى الخونساري(ﷺ). كان ينقل شيئًا عن البلاذري، فظننت أنه أخطأ، وأن الصحيح أمرٌ آخر، ثم تبيَّن أن حدسي كان صحيحًا. كان يقول: في (أنساب الأشراف) أنَّ النبي عندما رحل عن الدنيا وتولى الأمر أبو بكر وامتنع علي(ﷺ) عن البيعة، أرسل أبو بكر عمرًا فجاء والنار في يده إلى البيت ففتحت فاطمة الباب: وقالت: يا ابن الخطاب! أتراك محرقًا عليّ بابي؟! فقال عمر: نعم. وذلك أقوى مما جاء به أبوك! كأنه يقول: إن خلافة أبي بكر أهم من دين النبي صلى الله عليه وآله.

موقف عمر معروف، لكني استبعدت أن يتجرأ على هذا القول في ذلك الوقت. وعندما راجعتُ الكتاب وجدت التعبير هكذا: (أقوى فيما جاء به أبوك!) يعني أنه كان يريد المغالطة بأن خلافة أبي بكر أفضل طريقة للوصول إلى أهداف النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ وكان يريد بهذا الإدعاء الوصول إلى أهدافه.







جعفر بن محمد ابن قولويه القمي (ﭬ)

(ت ٣٦٩ هـ . ق)



تاريخ الوفاة

في وفاة جعفر ابن قولويه(ﭬ) صاحب (كامل الزيارات) ثلاثة أقوال: ٣٦٧ و٣٦٨ و٣٦٩هـ. اختار الأول الراوندي في (الخرائج)، والثاني الشيخ الطوسي في (الرجال)، والثالث العلامة في (الخلاصة).

الشيخ النوري(ﭬ) في (خاتمة المستدرك) وبقية المتأخرين، مثل: الشيخ الأميني، والشيخ الأردوبادي ذكروا القول الأول تبعًا للخرائج، ونقل الشيخ النوري قصة توضح هذه القضية.

القصةُ: إنّ القرامطة أعادوا الحجر الأسود إلى مكة سنة ٣٣٧هـ، وكان ابن قولويه عازمًا على الذهاب إلى مكة، ليرى من يضع الحجر الأسود في مكانه، لكنه مرض ولم يتمكن من ذلك، فأرسل شخصًا من قبله وطلب منه أن يسأل واضع الحجر عن بعض المسائل، ومنها شفائه من المرض.

ذهب ذلك الشخص والتقى بواضع الحجر (وهو الإمام الحجة(ﷺ)) وسأله، فقال: الإمام(ﷺ): سيشفى من مرضه، ويعيش ٣٠ سنة أخرى. وتوفي ابن قولويه بعد ٣٠ سنة في ٣٦٧هـ.

اعتمد الشيخ النوري(ﭬ) على ذلك، واعتبر التسعة في قول العلامة تصحيفًا من السبعة، وهو تصحيفٌ شائع.

تأملتُ في ذلك، وقلت: لماذا لا تكون السبعة تصحيفًا من التسعة وتكون سنة ٣٣٩ هي سنة إعادة الحجر الأسود؟ راجعتُ تاريخ ابن الأثير فوجدتُه ذكر الحادثة في حوادث سنة ٣٣٩هـ. وكذلك المسعودي في (التنبيه والإشراف) الذي فرغ منه في سنة ٣٤٥هـ ـ قريبًا من عهد القرامطة ـ يذكر ذلك التاريخ لإعادة الحجر. فعلى ذلك يكون الصحيح في وفاة ابن قولويه ما ذكره العلامة في ٣٦٩هـ.





محمد بن اسحاق المعروف بالنديم وابن النديم (قدس سره)

(ت ٣٨٠ هـ. ق)

سألني الشيخُ واعظ زاده الخراساني هذا السؤال:

الشيخ عباس القمي(رحمه الله) ذكر تاريخ ولادة ابن النديم في (الكنى والألقاب) لكن لا يُدرى من أي مصدر أخذه؟



فراجعتُ المصادر ووجدتُه قد أخذه من مقدمة الطبعة الأولى لكتاب (الفهرست) في مصر؛ لأن عبارات الشيخ القمي في ترجمة ابن النديم نفس عبارات تلك المقدمة.

مثلًا جاء في المقدمة: (وقد ذكروا أنه كان ورّاقًا، ويصفه بعض الكتب أيضًا بأنه كان كاتبًا، وكلتا الحرفتين أعانه على تأليف هذا الكتاب، فالوراقة كانت حرفة احترفها كثير من العلماء، ووظيفتها استنساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها، فهذه المهمة كانت تقوم في ذلك العصر مقام الطباعة في عصرنا ...) والشيخ القمي نقل نفس هذه العبارات.

كاتب المقدمة بذل جهدًا كبيرًا لمعرفة تاريخ ولادة المؤلف وتاريخ وفاته الدقيق، لكنه لم يُوفق فاكتفى بذكر شواهد من نفس كتاب (الفهرست) تدل على زمان تأليفه وحياته.

ومنها: (فالذي يظهر أن المؤلف كتب نسخته سنة ٣٧٧هـ وكان يترك فيها بياضًا يملؤه بما يجده بعد ذلك، أو يضع على النسخة تعليقات في

أزمنة مختلفة، يدل على ذلك قوله في ترجمة المرزباني: (أنّ مولده في جمادى الآخرة سنة ٢٩٧هـ ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة ٣٧٧هـ. وتوفي سنة ٣٧٨هـ، فظاهرٌ أن الزمن الذي كتب فيه جملة: (ويحيا إلى وقتنا هذا) غير الزمن الذي كتب فيه، وتوفي سنة ٣٧٨ ...).

الشيخ القمي(ﷺ) تصوّر أن ضمير مولده راجع إلى ابن النديم فكتب في الكنى والألقاب: (حُكي أنّه كانت ولادته في جمادى الآخرة سنة ٢٩٧هـ)!

أنا كتبتُ حواشي على الطبعة القديمة للفهرست. المرحوم رضا جدد طبع المتن العربي للفهرست وترجمته أيضًا، ونقل في المقدمة ملاحظات عني وعن جلال همايي وعن الدكتور سيد جعفر سجادي، وردَّ على ملاحظاتهما، لكنه لم يرد على ملاحظاتي.



٤

محمد بن علي ابن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق(تتن)

(ت ٣٨١ هـ. ق)

الاستدلال بنقل أهل السنة في إثبات فضائل أهل البيت( ) وحقانيتهم ليس استدلالًا جدليًا بل هو برهاني. لأن المخالف لا داعي لديه للاعتراف بمطلب يتناقض مع عقيدته. من المعروف أن المرأة إذا اعترفت بفضيلة ضرتها، فهذا دليلٌ على واقعية تلك الفضيلة.



من يقول باعتبار مشايخ الصدوق( ) يقصد الأشخاص الذين اعتمد عليهم الصدوق في نقل الكتب واستجازهم كشيوخ له، وليس كل من روى عنه الصدوق. السيّد الخوئي( ) يتبنى رأيًا يمكن في نظري نقضه.

يقول: البعض أرادوا توثيق مشايخ الصدوق مع أنه ينقل رواية عن أبي نصر أحمد بن محمد الضبي، ويقول في وصفه (ما لقيتُ أنصب منه، وبلغ من نصبه أنّه كان يقول: اللهم صل على محمد فردًا ويمتنع من الصلاة على آله).

هذه الدعوى من السيّد الخوئي يمكن مناقشتها بأنَّ: الصدوق( ) في مقام نقل كرامة للإمام الرضا( ) وفي هذا المقام كلما كان الناقل أشد مخالفة كان كلامه أصحَ؛ لأن الناصبي لا يوجد لديه داع لأن يضع حديثًا في حقانية أهل البيت( ).

الصدوق(ﷺ) لم يتخذ هذا الناصبي شيخًا له حتى يرد عليه الإشكال، بل إنما روى رواية اعترف بها أشدّ المخالفين لأهل البيت(ﷺ). لو اعترف صدام، أو الرئيس الأمريكي، أو الرئيس الإسرائيلي، بأمر ما لصالح إيران فإنّ كلامه سيكون صحيحًا؛ لأن كلام العدو الذي لا يقبل الاعتراف لصالح عدوه أقوى دلالة من كلام الصديق.

والرواية التي نقلها الصدوق عن ذلك الشخص في فضيلة الإمام الرضا(ﷺ) هي[١]: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الضَّبِّيُّ وَ مَا لَقِيتُ أَنْصَبَ مِنْهُ وَ بَلَغَ مِنْ نَصْبِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ فَرْدًا، وَ يَمْتَنِعُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى آلِهِ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الْحَمَّامِيَّ الْفَرَّاءَ فِي سِكَّةِ حَرْبِ نَيْسَابُورَ وَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، يَقُولُ: أَوْدَعَنِي بَعْضُ النَّاسِ وَدِيعَةً فَدَفَنْتُهَا، وَ نَسِيتُ مَوْضِعَهَا فَتَحَيَّرْتُ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى ذَلِكَ مُدَّةٌ جَاءَنِي صَاحِبُ الْوَدِيعَةِ يُطَالِبُنِي بِهَا، فَلَمْ أَعْرِفْ مَوْضِعَهَا وَتَحَيَّرْتُ، وَ اتَّهَمَنِي صَاحِبُ الْوَدِيعَةِ، فَخَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي مَغْمُومًا مُتَحَيِّرًا، وَ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَشْهَدِ الرِّضَا(ﷺ)، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ إِلَى الْمَشْهَدِ، وَ زُرْتُ وَ دَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يُبَيِّنَ لِي مَوْضِعَ الْوَدِيعَةِ، فَرَأَيْتُ هُنَاكَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ: كَأَنَّ آتِيًا أَتَانِي، فَقَالَ لِي: دَفَنْتَ الْوَدِيعَةَ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَ كَذَا فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِ الْوَدِيعَةِ، فَأَرْشَدْتُهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ، وَ أَنَا غَيْرُ مُصَدِّقٍ بِمَا رَأَيْتُ، فَقَصَدَ صَاحِبُ الْوَدِيعَةِ ذَلِكَ الْمَكَانَ فَحَفَرَهُ وَ اسْتَخْرَجَ مِنْهُ الْوَدِيعَةَ بِخَتْمِ صَاحِبِهَا، فَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَ يَحُثُّهُمْ عَلَى زِيَارَةِ هَذَا الْمَشْهَدِ، عَلَى سَاكِنِهِ التَّحِيَّةُ وَ السَّلَام[٢].

---

(١) هناك كرامة أخرى للإمام الرضا(ﷺ) في كتاب عيون أخبار الرضا(ﷺ) ج٢ ص ٢٨١ (جديرة بالتأمل).

(٢) عيون أخبار الرضا ج٢ ص ٢٧٩.

الإمامة والتبصرة

السيد عبد الحجة البلاغي(ﷺ) كان يسعى في تأليف كتاب جامع عن حياة المجلسيّين، وكتب رسائل إلى المراجع في ذلك الوقت يطلب منهم أن يكتبوا آراءهم في هذا الموضوع.

المرحوم السيّد حُجّت كتب في جوابه رسالةً مفصلة وممتازة حول (بحار الأنوار).

الشيخ الدواني نقل نص هذه الرسالة في كتاب (مفاخر الإسلام، ج٨ ص ١٧٩ ـ ١٨٢). كتب السيّد حجت: (... والأعجب من ذلك أنه نسب كتاب الإمامة والتبصرة إلى علي بن بابويه، مع أن سند الكتاب لا يُناسب ذلك، بل هو كتاب جامع الأحاديث لعلي بن أحمد بن جعفر القمي مؤلف كتاب العروس).



النسخة التي كانت لدى الشيخ المجلسي(ﷺ) تحت عنوان: الإمامة والتبصرة وصلت إلى السيّد محمد علي الروضاتي، وأنا رأيتها عنده قبل مدة طويلة. عند ملاحظة تلك النسخة يرتفع الإشكال؛ لأن نسخة المجلسي كانت في الواقع ملفقة من نسختين ناقصتين، إحداهما: من أول الإمامة والتبصرة لابن بابويه، والثانية: من آخر جامع الأحاديث للإيلاقي.

الشيخ المجلسي كان ملتفتًا إلى أنهما كتابين في مجلد واحد، ولذلك كتب في مقدمة (البحار، ج١، ص٦): (وكتاب الإمامة والتبصرة من الحيرة للشيخ الأجل أبي الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، والد الصدوق (طيب الله تربتهما)، وأصلٌ آخر منه أومن غيره من القدماء المعاصرين له، ويظهر من بعض القرائن أنه تأليف الشيخ الثقة الجليل هارون بن موسى التلعكبري (ﷺ)).

فالشيخ(ﷺ) لم يعرف اسم الكتاب الآخر ومؤلفه، لكنه عرف إجمالًا أنه كتاب لأحد القدماء.

في تأليف (البحار) كان أصحاب الشيخ يساعدونه، وهو كان يشرف على عملهم ويأمرهم كيف يصنعون. فلذلك عندما كان الشيخ ينقل بنفسه من القسم الثاني كان ينسبه إلى أصل من أصول القدماء، ولكن عندما كان ينقل أصحابه لم يكونوا ملتفتين لهذا الأمر، فكانوا ينسبون روايات القسم الثاني إلى الإمامة والتبصرة.

وعلى ذلك، فإنّ اعتقاد الشيخ النوري والسيد حجت بأنّ كتاب الإمامة والتبصرة لم يصل إلى العلامة المجلسي اعتقاد خاطئ. فأسناد الأحاديث التي نقلها العلامة من القسم الأول مطابقة لأسناد علي بن بابويه، وكلام السيّد حجت صحيح بالنسبة إلى القسم الثاني من الكتاب بأنّ أسناده لا تتطابق مع أسناد ابن بابويه.



نعم، بعد أن تمّ تحقيق كتاب جامع الأحاديث للإيلاقي وطباعته بأمر السيّد البروجردي اتضحت هوية القسم الثاني من نسخة المجلسي.

الإيلاقي من مشايخ الصدوق، حيث كان يذهب إلى إيلاق ويستمع الحديث منه.

٥

محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ﺗﺪﺋ)

(ت ٤١٣ هـ. ق)



الخطيب البغدادي من السنة المتعصبين كثيرًا ضد الشيعة، بحيث كان يذكر علماء الشيعة بعبارات سيئة وشديدة. مثلًا، يكتب في حق الشيخ المفيد: (شيخ الرافضة والمتكلم على مذاهبهم. صنّف كتبًا كثيرة في ضلالاتهم والذب عن اعتقاداتهم ومقالاتهم والطعن على السلف الماضين من الصحابة والتابعين وعامة الفقهاء المجتهدين. وكان أحد أئمة الضلال، هلك به خلقٌ كثير من الناس، إلى أن أراح الله المسلمين منه ومات في يوم الخميس ثاني شهر رمضان من سنة ثلاث عشر وأربعمائة)[1]. ...

هذا الرجل مع تعصبه الشديد وحقده على الشيعة عندما يصل إلى حياة الإمام الكاظم (ﷺ) يذكر فضائله بشكل مفصل. ومن ذلك قوله: (أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال: أخبرنا الحسن بن محمد بن يحيى العلوي قال: حدثني جدي قال: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده. روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فسجد سجدة في أول الليل وسُمع وهو يقول في سجوده: (عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك. يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة.)

(١) تاريخ مدينة السلام، ج٤، ص ٣٧٥، طبعة بشار عواد معروف.

فجعل يرددها حتى أصبح. وكان سخيًا كريمًا، وكان يبلغه عن رجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصر الصُرَر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثم يقسمها بالمدينة، وكان مثل صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرة فقد استغنى)(١).

وقوله: (أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال: أخبرنا الحسن بن محمد العلوي قال: حدثني جدي قال: حدثني عمار بن أبان قال: حبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندي بن شاهك، فسألته أخته أن تولى حبسه، وكانت تديّن ففعل فكانت تلي خدمته. فحكي لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر قليلًا حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل، ثم يرقد إلى قبل زوال الشمس، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه. (كانت) أخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل، وكان عبدًا صالحًا)(٢).



وكذلك يشير إلى كرامات قبر الإمام(ﷺ) في (باب ما ذكر في مقابر بغداد) قائلًا: (أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الإسترابادي قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله ـ تعالى ـ لي ما أحب)(٣).

(١) نفسه ج ١٥ ص ١٤ ـ ١٥.
(٢) نفسه ص ١٨ ـ ١٩.
(٣) نفسه ج١ ص٤٤٢.

٦

محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (تدّس)

(٤٦٠ هـ. ق)

فقه الشيعة بعد الشيخ

بعد الشيخ الطوسي(ﷺ) كانت فتاواه تُتبع حتى صارت بالتدريج تمثل فقه الشيعة.



كان السيّد البروجردي(ﷺ) يقول في الدرس: إننا يجب أن نضع أنفسنا في عصر الشيخ الطوسي(ﷺ) ـ يعني قبل أن تتشكل فتاوى الشيخ ـ ثم نستنبط الأحكام بمراجعة الأدلة.

فتاوى الشيخ في كتب القدماء

في كتب القدماء مثل المحقق والعلامة وابن إدريس كانت الفتوى التي تذكر أولًا فتوى الشيخ الطوسي، كأنها كانت هي فتوى الشيعة؛ لأنّ الآخرين كانوا يعتبرون فتاواهم حواشي على فتاوى الشيخ (ﷺ).

نسخة من الاستبصار

في البدايات كان الشيعة يعيشون في ظروف التقية، وكانوا يظهرون عقائدهم بالتدريج، لهذا لم تكن عقائدهم على هذه الدرجة من الثبات الموجود اليوم، وإنما حصل ذلك بالتدريج. في عصرنا الحاضر عندما يذكر اسم الإمام المعصوم من دون أن يُقال (عليه السلام) يُعتبر ذلك خلاف الأدب، لكن في زمان أصحاب الأئمة (ﷺ) لم يكن الأمر كذلك.

ولذلك نجد الكثير من الروايات التي نقلها الشيعة لا يوجد فيها هذا التعبير.

كانت هناك نسخة من الاستبصار لدى جعفر بن المشهدي والد صاحب (المزار) وكان كاتب تلك النسخة يكتب (عليه السلام) بعد أسماء الأئمة (ﷺ)، لكن ابن المشهدي عندما قابلها بالنسخة الأصلية وجد أنَّ عبارة (عليه السلام) ليست موجودة في الأصل، فلذا شطب أكثرها. أنا رأيت هذه النسخة في النجف في مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء. وفي إيران أيضًا أخذتُ صورة هذه النسخة من مكتبة الحرم الرضوي، وقابلتُ نسختي بها.

نكتة (أبو جعفر)



ذكر الشيخ في رجاله في حرف الحاء: (الحجاج بن أرطاة أبو أرطأة النخعي الكوفي مات بالري في زمان أبي جعفر(ﷺ)). لكن هذا الرجل مات في زمان الإمام الصادق(ﷺ) فلا بد من وقوع سهو في هذه العبارة. القهبائي (رحمه الله) يعتقد أن الصحيح مات في زمان أبي عبد الله. لكنني عندما كنت أقابل نسخة رجال الشيخ التفتُ إلى أن عبارة(ﷺ) زائدة والمراد من أبي جعفر أبو جعفر المنصور الدوانيقي، والمصدر الذي أخذ منه الشيخ هذا المطلب يُصرح بأن هذا الرجل مات في زمان المنصور، لكن الشيخ لما ذكر الرجل ضمن أصحاب الإمام الباقر، فإن الناسخ ظن أن المراد بأبي جعفر هو الإمام فأضاف عبارة(ﷺ).

نسخة قيّمة من الاستبصار

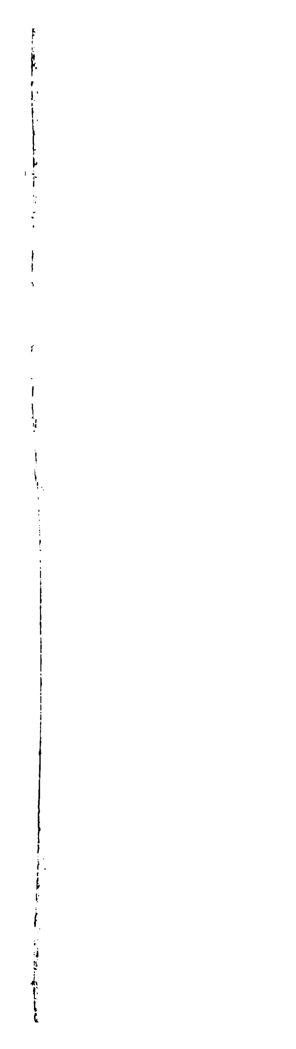
تعريفٌ بالنسخة التي يتملكها صديقي العلامة الحجة الشيخ محمد الموحدي (دام فضله) من الاستبصار لشيخ الطائفة قدس سره:

كاتب النسخة هو عبد الله بن علي الحسيني الكرمرودي ابن أخي

المير محمود الحسيني، وهو ـ على خلاف ما كتب على ظهر الكتاب ـ رجل خالٍ عن التحصيل، لكن لانتهاء النسخة إلى نسخة العلامة المحدث الرجالي الشهير الميرزا محمد الإسترابادي المتوفى ١٠٢٨، صاحب الرجال الكبير وغيره من التصانيف القيمة، لا تخلو هي عن الاعتبار، وقد قابلتُ معها مظان التحريف في الأسانيد من المجلد الثالث والرابع من الاستبصار المطبوع في النجف الأشرف، وأصلحتُ كثيرًا من تحريفاته، وإن كان فيها أيضًا أغلاط كثيرة، وما ذكره الكاتب في آخر النسخة بقوله (انتسخت من نسخة (كذا) التي قابل المرحوم أمير محمود الحسيني عمي في خدمة السيّد السعيد مير محمد علي الإصفهاني، وهو قابل مع الفاضل المجتهد الشيخ حسن بن شهيد (كذا) الثاني شيخ (كذا) زين الدين، وهو أيضًا قابل مع أفضل المتأخرين مير (كذا) ميرزا محمد الإسترابادي في سنة ١٠٣٠ ثلاثين وألف من الهجرة) مع أخطائه الأدبية غير واضح المراد فقد توفي الشيخ حسن صاحب المعالم سنة ١٠١١هـ وتوفي الإسترابادي سنة ١٠٢٨هـ. ولا يبعد وقوع سقط في كلامه، وصوابه: (الشيخ محمد بن الشيخ حسن) فإنه من أشهر تلامذة الميرزا محمد الإسترابادي وقد توفي سنة ١٠٣٠هـ، ومراده مع قصور تعابيره: أنّ عمه قابل نسخته بنسخة الشيخ محمد حفيد الشهيد الثاني، وهو قابل نسخته بنسخة الإسترابادي في سنة الثلاثين بعد الألف، أو أن التاريخ المذكور تاريخ مقابلة نسخة عم الكاتب وقد قابلها بنسخة الشيخ حسن، أو أن ثلاثين تحريف ثلاث. وعلى كل حال، فالنسخة مع اشتمالها على أغلاط كثيرة تصلح لإصلاح كثير من الأخطاء الواقعة في النسخة المطبوعة، فلتُغتنم. حرره: العبد الجاني موسى بن أحمد الحسيني الزنجاني في ليلة ٢٥ من محرم الحرام من سنة ١٣٩٧ الهجرية[1].



(١) هذا المطلب من مكتوبات السيّد حفظه الله.



٧

عبد الجليل القزويني الرازي(ﺗﺪﺱ)

(كان حيًا ٥٥٦ هـ. ق)

كتاب النقض



في القرن السادس قام شخص يدّعي أنه كان شيعيًا لمدة ٢٥ سنة، ثم انتبه إلى بطلان هذا المذهب وصار سنيًّا بتأليف كتاب ضد الشيعة اسمه: (بعض فضائح الروافض). وحيث أنه كان يسكن في الري التي كانت في ذلك الزمان مركز التشيع، أرسل عدة نسخ من كتابه بشكل خفي إلى بعض المناطق. عندما اطلع عبد الجليل الرازي على الأمر حصّل نسخة من الكتاب، وقام بالرد عليه من الألف إلى الياء. هذا الكتاب جدير جدًّا بالقراءة، وفيه مطالب أوليّة في التاريخ والجغرافيا والملل والنحل وغير ذلك. في إحدى الصفحات كتب ذلك السني: إني دخلت ذات مرة مسجدًا للشيعة فوجدت هناك كلبًا. فكتب الرازي في جوابه: (نعم، المسجد الذي ليس له باب يدخله الكلاب وأشباه الكلاب!) .. هذا الكتاب طُبع بتحقيق المحدث الأرموي.

مسجد الإمام العسكري(ﻉ)

ويُلاحظ أن مؤلف كتاب (النقض) عندما يذكر مساجد الشيعة ومدارسهم وما لديهم، لم يذكر مسجد الإمام الحسن العسكري(ﻉ) ضمن مساجد قم، مع أنه كان مهمًا لدى القميين ومن المعروف أنه بُني بأمر الإمام العسكري(ﻉ).





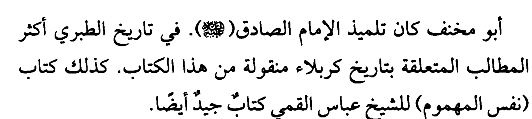
السيّد علي بن موسى ابن طاووس (تدّش)

(ت ٦٦٤ هـ . ق)

مقتل الملهوف

بالنسبة لكتب المقاتل، مقتل أبي مخنف مهم. وهو أصل كثير من المصائب التي تُقرأ على المنابر.





أبو مخنف كان تلميذ الإمام الصادق(ﷺ). في تاريخ الطبري أكثر المطالب المتعلقة بتاريخ كربلاء منقولة من هذا الكتاب. كذلك كتاب (نفس المهموم) للشيخ عباس القمي كتابٌ جيدٌ أيضًا.

وللاطلاع على أحوال أنصار الإمام الحسين(ﷺ) كتاب (إبصار العين في أحوال أنصار الحسين(ﷺ)) للشيخ محمد السماوي كتابٌ جيدٌ، فالشيخ السماوي كان متتبعًا ومتقنًا بشكل كبير.

كذلك كتاب (فداكاري هفتاد ودو تن ويك تن) أو (عنصر شجاعت) للميرزا خليل الكمري كتابٌ جيد. في كتابه هذا نقل عن المصادر المهمة، وكذلك كتابه الآخر في حياة مسلم بن عقيل(ﷺ) أيضًا من أفضل الكتب المؤلفة عن شخصيته.

مقتل (اللهوف) أو (الملهوف) أيضًا كتاب جيد، لكن الشيخ النوري لم يكن يقبل به، وكان يعتقد أن السيّد كتبه في أيام صباه وقبل نضجه.

في هذا الشأن دافع الشيخ الأستادي ـ في نقده لكتاب (شهيد جاويد) ـ بالمناسبة عن مقتل السيد(ﷺ) وذكر أنّ السيّد بنفسه يذكر هذا الكتاب في كتابه (الإقبال) الذي كان من كتبه الأخيرة والمهمة ويؤيد المطالب الموجودة فيه.



٩

العلامة الحلي (تدّس)

(ت ٧٢٦ هـ. ق)

وجدتُ في كتاب (المقتل) للسيّد المقرّم (ﷺ) خطأ ناشئًا عن عدم التفاته لنكتة معينة.

عندما كنتُ في النجف زرتُ الحرم الشريف، فقبر العلامة الحلي متصلٌ بالحرم، والزوار يمرّون به عند الدخول. كانت هناك لافتة مكتوب عليها ترجمة العلامة بقلم السيّد المقرّم. في تلك الترجمة كتب السيّد أن العلامة ذكر كثيرًا من مؤلفاته في كتابه (خلاصة الأقوال) الذي ألفه سنة ٦٩٣هـ؛ ولأنه عاش بعد ذلك ٣٣ سنة، وتوفي في سنة ٧٢٦هـ فلا بدّ أنه ألف كتبًا كثيرة غير المذكورة في الخلاصة.



كان الوالد (ﷺ) يقول: قد يكون العلامة كتب (الخلاصة) في تلك السنة، لكنه أضاف أسماء كتبه بعد ذلك بالتدريج.

بعد ذلك وجدتُ أنّ تاريخ كثير من مؤلفات العلامة(ﷺ) المذكور في (الخلاصة) بعد تاريخ تأليفه.

السيّد المقرّم تخيّل أنّ أسماء هذه الكتب ما دامت مذكورة في (الخلاصة) فلا بُدّ أنها أُلّفت قبلها.

بالنسبة للتراجم الشخصية من المتعارف أن يضيف الشخص أسماء كتبه المستجدة بالتدريج. القواعد ألف في سنة ٦٩٩هـ والمختلف في

سنة ٧٠٨هـ، والتذكرة أيضًا فيها تاريخ ٧٢٠هـ لكنها ناقصة وبقيتها غير موجودة، وأسماء هذه الكتب الثلاثة موجودة في (الخلاصة). والذي يؤيد هذا الأمر أيضًا اختلاف نسخ (الخلاصة) الناشئ عن تعدد التحرير والاستنساخ. ففي النُسخ التي كُتبت في أوائل تأليف (الخلاصة) لا توجد بعض أسماء كتب العلامة(﵀) وفي النسخ اللاحقة التي كتبت بعد الإضافات هناك أسماء أكثر. نعم، يحتمل أن تكون هذه الإضافات من أشخاص آخرين كتبوها في الحاشية ثم أضيفت إلى المتن.

تأثير العلامة(﵀) على تشيّع السلطان خدابنده



في كتاب (تاريخ المغول) قام الكاتب عباس اقبال الاشتياني ببيان قصة تشيّع الشاه خدابنده، وذكر أنّ السلطان كان قد نفر بسبب اختلافات علماء المذهبين الحنفي والشافعي، وعندما جاء العلامة(﵀) إليه تكلم في غاية المنطق والاستدلال، وصار سببًا في رجوع السلطان عن التسنن واختياره للتشيع. بعد ذلك نقل من كتاب (رحلة ابن بطوطة) قصة ضرب السكة بأسماء الائمة(﵈)، ومخالفة أهالي شيراز وقزوين وبغداد لذلك وإحضار القاضي مجد الدين اسماعيل الفالي من شيراز على إثر ذلك والقائه في المسبعة وخضوع السباع له. وقَبِل الكاتبُ في النهاية أنّ السلطان رجع عن مذهب التشيع بسبب رؤية هذه الكرامة. محمد خان القزويني ينقل هذه المطالب في حاشية كتاب (شد الإزار)[1] ويعتقد أنها موضوعة من قبل مريدي القاضي الفالي.

يقول صاحب (شد الإزار) في ترجمة مولانا مجد الدين إسماعيل بن

(١) كتاب شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار للجنيد الشيرازي كتاب لطيف في مزارات شيراز وهو سني كان معاصرا لحافظ الشاعر المشهور. وقد طبع بحواشي محمد خان القزويني وهذه الحواشي ممتازة حيث عمل القزويني عليها ٨ سنوات وهي أفضل اعماله. (السيّد).

يحيى الفالي: وقصة مجادلته أهل الضلالة .... .

ويقول محمد خان في التعليق عليه ما ترجمته: هذه إشارة إلى أسطورة تتعلق بهذا القاضي مجد الدين بن إسماعيل الفالي، نقلها ابن بطوطة في رحلته (ج١، ص ١٢٨ ـ ١٢٩) بالتفصيل، وذكرها السبكي في (طبقات الشافعية ج ٦، ص ٨٠) إجمالًا. وخلاصتها: أنّ السلطان أولجايتو محمد خدابنده بعد أن اختار مذهب التشيع في سنة ٧٠٩ هـ. ق أرسل إلى جميع الولايات بإسقاط أسماء الخلفاء الثلاثة من الخطبة، وأن يقتصر على اسم الإمام علي والحسن والحسين(ﷺ)، وأن يضعوا على سكة النقود أسماء الرسول والأئمة الإثني عشر(ﷺ)، ويزيدوا «حي على خير العمل» في الأذان، وغير ذلك من خصوصيات مذهب التشيع.



وقد نُفّذ أمره هذا في جميع الولايات التابعة لإيران، عدا شيراز وبغداد وقزوين، حيث لم يقبل أهالي هذه الولايات الثلاث تنفيذ الأمر، فأمر (أولجايتو) بإحضار قضاة هذه الولايات الثلاث إلى (قراباغ) حيث مصيف السلطان. وكان أول من أُحضر هو هذا القاضي مجد الدين من شيراز، فأمر السلطان برميه في بركة السباع، وكانوا يرمون المجرمين المستوجبين للقتل في ذلك المكان الواسع المهيأ لذلك بدون قيد، ثم يطلقون السباع والكلاب الضارية التي ربيت لافتراسهم، فتهجم السباع على الرجل فيحاول الفرار من كل طريق إلى أن تأخذه السباع، فتفرق أعضائه وتأكل لحمه، والسلطان يستمتع مع الحاضرين بذلك المنظر المفجع. نعم، عندما رموا القاضي مجد الدين في تلك الساحة جاءت السباع والكلاب تشمُّه وتحرك أذيالها من دون أن تتعرض له، فتعجب السلطان من ذلك للغاية، وركض نحو القاضي حافي القدمين، وألقى نفسه على قدمي القاضي يقبلهما، وخلع لباسه وألبسه القاضي، وأخذه

إلى نسائه فأمرهن بتكريمه وتعظيمه والتبرك به، ثم أعاده إلى شيراز معززًا مكرمًا مُحمّلًا بالهدايا الكثيرة والصلات الوافرة، ووهبه مائة ضيعة من نواحي جمكان في منطقة فارس. انتهى كلام ابن بطوطة.

يقول راقم السطور: مع الفحص الكامل في جميع كتب التاريخ المتداولة مثل (تاريخ وصاف) و(تاريخ كزيده) ـ وكلاهما معاصر للسلطان المذكور ـ و(ذيل مجمع التواريخ) لحافظ ابرو و(مجمل فصيح) للخوافي و(تذكرة دولتشاه) و(روضة الصفا) و(حبيب السير) لم أجد لهذه الأسطورة الواهية والصريحة الكذب عينًا ولا أثرًا أصلًا. ولا أشك أبدًا أن مريدي هذا القاضي الثري والنافذ الكلمة في شيراز اختلقوا هذه الأسطورة اقتداء بالأسطورة المشابهة لها المعروفة بين النصارى من قديم الأيام عن قدماء المسيحيين وقياصرة الروم. وكذلك اقتداء بحكاية زينب الكذابة مع الإمام الرضا(ﷺ) المشهورة في روايات الشيعة، فصنعوا قصة مشابهة بلا طعم ولا رائحة، وتبدو آثار الجعل الواضح والقبيح على وجناتها من آلاف الفراسخ.



وفي عصرنا الحاضر قلَّ من لم يشاهد الفيلم السينمائي المأخوذ من قصة (كووودابس) والذي يعرض جميع جزئيات إلقاء المسيحيين في عهد نيرون، قيصر الروم، للسباع الضارية وشمّها له، وعدم تعرضها إليه بدقة بالغة بواسطة الطرق والحيل المعروفة في التصوير. كما أنّ حكاية زينب الكذابة مع الإمام علي بن موسى الرضا(ﷺ) موجودة في كتاب كشف الغمة لعلي بن عيسى الأربلي وقد نقلها المرحوم المجلسي في المجلد الثاني عشر من بحار الأنوار، والكتابان مطبوعان متوفران لعموم الناس.[١]

(١) شد الإزار ص ٤٢٤ .

وقد نقلتُ هذا المطلب للمرحوم الميرزا عبد الله المجتهدي فقال: إن كاتب السلطان خدابنده قد كتب في تاريخه الوصاف أنّ السلطان بقي إلى آخر عمره على مذهب الإمامية، ومهما حاولوا أن يغيروا رأيه لم يقدروا. نعم من المُسلّم به أنّ ابنه أبا سعيد صار سنيًّا، لكن السلطان لم يتسنن أبدًا.

آية في الذكاء

هذا وقد وصف ابن حجر العسقلاني العلامة(ﷺ) في كتابه (لسان الميزان) بقوله: كان آية في الذكاء[1].

نسبة العلامة إلى مدينة تبريز



كان الميرزا جعفر الإشراقي على ارتباط بجماعة من العلماء، وكان يتبادل معهم الرسائل، وقد طُبعت هذه الرسائل في كتاب (قطره از دريا). هذه الرسائل بينه وبين السيّد الخميني والسيد الكلبيكاني والسيد شريعتمداري والوالد المرحوم والشيخ كاشف الغطاء والسيد هبة الدين الشهرستاني(رحمهم الله). في إحدى الرسائل كان السيّد الكلبيكاني(ﷺ) يبدي احترامًا فائقًا للميرزا جعفر، ولم أره قد كتب هذه التعابير في حق شخص آخر.

رسائل الكتاب تستحق المطالعة، ومنها: رسالة كتبها الميرزا جعفر للسيد هبة الدين الشهرستاني يسأله عن مسألة ويجيب عنها السيّد الشهرستاني. ترجمة رسالة السيّد هذه:

سألتُ عن انتساب العلامة الحلي (عليه الرحمة) إلى مدينة تبريز.

نعم هذا الأمر الغريب، لم يُر في كتاب، ولم يسمع من أحد، لكن

(١) ذكر ابن حجر العلامة في لسان الميزان في موضعين وقد أخطأ في ضبط اسمه فيهما جميعًا، ج٢ ص٣١٧ وج٦ ص٣١٩.

كتاب الألفين للعلامة(﵀) قد طُبع وقد أهديت إليّ نسخة خطية قديمة منه من الهند، كتبت قبل ٤٠٠ سنة تقريبًا، وفي آخرها يُصرح الناسخ بأنه نسخها من نسخة بخط فخر المحققين ابن المؤلف، وقد كتب اسم الفخر هكذا: محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر بن فضل علي التبريزي. وهذه الكلمة فضل علي التبريزي لم تر سابقًا، كما أن نسب العلامة قبل المطهر لم يعثر عليه. والله أعلم بالحق.

هذه النسخة المخطوطة أهداها المخلص إلى مكتبة الإمامين الجوادين(﵉) وأكثر القراء يقرأونها ويتعجبون[1].

هناك كتب كثيرة بخط العلامة(﵀) وإجازات بخطه، ولا يوجد في أي منها، ولا في الكتب المؤلفة في زمانه، ولا عند الراوين عنه نسبة المطهر إلى فضل علي.



هناك احتمال يخطر في الذهن، وهو: أنه من التعبيرات السائدة أن يذكر اسم الأب ثم يذكر اسم الشخص نفسه، فالمجلسي مثلًا يكتب في بعض كتبه: يقول ابن التقي محمد المدعو بالباقر. وأحيانا يكتب النساخ أسماءهم بهذه الطريقة في آخر النسخ. فعلى ذلك؛ يكون (بن فضل علي التبريزي) اسمُ الناسخ، وهو: علي بن فضل التبريزي، وقد اتصل باسم المستنسخ منه، فأوجب اللبس.

(١) يك قطره از دريا: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

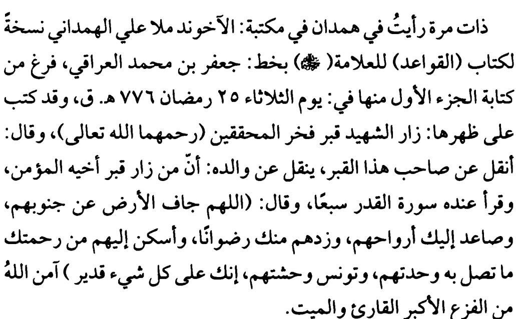
١٠

محمد بن الحسن المعروف بفخر المحققين(تتئُ)

(ت ٧٧١ هـ . ق)

خطأ تنقيح المقال

ذكر الشيخ المامقاني (عليه الرحمة) في كتابه (تنقيح المقال) ما نصُّه: «ولم أقف على من عيَن مدفنه، والمنقول على لسان المشايخ: أنه صار أكيل السباع؛ لقضية تُنقل لا أستحسن نقلها، للإزراء بمعاصريه، فلذا لم يوجد له جسد حتى يدفن».[١]



ذات مرة رأيتُ في همدان في مكتبة: الآخوند ملا علي الهمداني نسخةً لكتاب (القواعد) للعلامة(﵀) بخط: جعفر بن محمد العراقي، فرغ من كتابة الجزء الأول منها في: يوم الثلاثاء ٢٥ رمضان ٧٧٦ هـ. ق، وقد كتب على ظهرها: زار الشهيد قبر فخر المحققين (رحمهما الله تعالى)، وقال: أنقل عن صاحب هذا القبر، ينقل عن والده: أنّ من زار قبر أخيه المؤمن، وقرأ عنده سورة القدر سبعًا، وقال: (اللهم جاف الأرض عن جنوبهم، وصاعد إليك أرواحهم، وزدهم منك رضوانًا، وأسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم، وتونس وحشتهم، إنك على كل شيء قدير) آمن اللهُ من الفزع الأكبر القارئ والميت.

كان الشهيد(﵀) تلميذ فخر المحققين، ويُعلم من هذا التعبير أنّ

(١) تنقيح المقال في علم الرجال، باب محمد من أبواب الميم، رقم ١٠٥٨١.

الفخر كان له قبر معين زاره الشهيد.

وفيما بعد رأيت في فهرست مكتبة المجلس بقلم الحائري إن فخر المحققين توفي في سنة كذا في الحلة (ونقل إلى المشهد).

لذا فإنّ الاحتمال القوي في المُراد من المشهد هو: مشهد الإمام علي(ﷺ)؛ لأن أباه العلامة مدفون هناك في الرواق المتصل بالحرم، فيكون فخر المحققين(ﷺ) قد حُمل إلى هناك على المتعارف، ودفن إلى جانب والده. ويحتمل أن يكون المُراد من المشهد حرم أحد أبناء الأئمة(ﷺ) المدفون في الحلة، وقد ذُكر نسبه وتاريخه في الكتب، وقد دفن فيه المحقق الحلي خال العلامة، وجد فخر المحققين.



١١

الشيخ بهاء الدين العاملي(ﭬ)

(ت ١٠٣٠ هـ. ق)

الأخلاق النادرة

المجلسي الأول(ﭬ) في كتابه (روضة المتقين) ـ الذي هو شَرحُه العربي على كتاب (من لا يحضره الفقيه) ـ في شرح المشيخة، وتحت عنوان: عمر بن توبة أبو يحيى الصنعاني، يذكر أستاذَه الشيخ البهائي(ﭬ) بالإجلال، بمناسبة أنّ هذا الراوي له كتاب في فضيلة سورة القدر، وقد نقل عنه الشيخ الطوسي روايات في باب الزيارات، حيث اتفق له مع أستاذه حديث بهذا الصدد ينقله بقوله:



(واعلم أن الأئمة(ﭺ) يتكلمون في كل شئ سيما في المثوبات والعقوبات على حسب عقول الرجال، كما ورد في الزيارات، ففي بعض الأخبار أنّ له ثواب عمرة، وفي بعض حجة، وفي بعضها حجة وعمرة، وفي بعضها عشرون حجة وعمرة، وفي بعضها مائة حجة وعمرة، وفي بعضها ألف حجة وعمرة، وفي بعضها سبعون ألف حجة، وفي بعضها ألف ألف حجة، وفي بعضها ضعفها. وهو بحسب اختلاف الأشخاص في النيات والعقائد والمعارف غالبًا. وكثيرًا ما يكون بحسب أحوال المخاطبين، فإنهم لو سمعوا المثوبات الكثيرة لبادر عقولهم بالإنكار، وهو الكفر، وهو في أكثر العالمين كذلك، فيتكلم الأئمة(ﭺ) بحسب

عقولهم الضعيفة، ويقولون لهم أقل مراتبها، وهو حق فيقع أكثر الأخبار هكذا. فإذا سمع المشايخ من جماعة من الخواص المثوبات العظيمة فإن لم يكن له قوة التمييز بادروها بالإنكار والغلو والعلو، كما وقع لي مع بعض المشايخ الأجلاء في مثوبات إطعام المؤمن.

فإنه قال في الدرس: إنا نعلم قطعًا أن أمثال هذه الأخبار كاذبة؛ فإنه ورد أن ثواب إطعام المؤمن ألف ألف حجة، فحينئذٍ لا يبقى للحجة مقدار. فذكرتُ أنه لا يمكن إنكار أمثال هذه الأخبار فإنها متواترة معنى.

وقلت: أنتم تروون: (إن ضربة علي(ﷺ) أفضل من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة) وتعتقدون ـ ولا شك ـ أن ذلك بسبب علو شأنه(ﷺ)، بل كل فعل من أفعاله(ﷺ) كذلك، وكذلك كل واحد من الأئمة(ﷺ) بالنظر إلى غيرهم.



فأيُّ استبعاد في أن يكون ثواب خُلّص أوليائهم كذلك؟! كما وقع في إطعام المسكين واليتيم والأسير هذه المثوبات العظيمة وكانت فضةُ الخادمة فيهم.

مع أن هناك فرقٌ بين الثواب الاستحقاقي والتفضلي، كما تقولون دائمًا. فاستحسنَ كلامي، ولم يتكلم بعده بما كان يتكلم قبله.

وهو شيخنا الأعظم بهاء الملة والدين ـ رضي الله تعالى عنه ـ وكان إنصافه فوق أن يُوصف، مع أني حين ما تكلمت بذلك كنت أصغر تلامذته وأحقرهم، ومظنوني أني لم أكن إذ ذاك بالغًا. وكثيرًا ما كان يرجع عن اعتقاده بقولي وقول أمثالي. وفي ذلك الزمان كان يحضر أكثر فضلاء العصر في مجلسه العالي، مع أن إسكاتي كان في غاية السهولة لكثرة تبحره في جميع العلوم.

وتشاهد في أبناء هذا الزمان ما تشاهد! أصلح الله أحوالنا وأحوالهم بجاه محمد وآله الطاهرين)[١] .

كتاب في أخطاء الشيخ البهائي

كان للشيخ البهائي (ﷺ) والميرداماد (ﷺ) تلميذ مشترك اسمه أحمد بن زين العابدين، صار فيما بعد صهرا للميرداماد. هذا التلميذ كان كثيرًا ما يعترض على الشيخ البهائي، وقد كتب كتابًا في أخطائه[٢].



(١) الموجود في المتن الفارسي مضمون القصة ببيان السيّد الزنجاني حفظه الله لكن محقق الكتاب نقل نص كلام المجلسي الأول في الحاشية باللغة العربية فأوردناه في المتن لأنه بلا شك أفضل من الترجمة.

(٢) قال الشيخ آقابزرك في الذريعة: (النفحات اللاهوتية في العثرات البهائية، لأحمد بن زين الدين العاملي الإصفهاني، تلميذ الميرداماد، والمجاز منه وصهره. وكثير الاعتراض عليه وعلى غيره. وله تصانيف كثيرة تركت لشدة تعصبه في النقد لأستاذه وولي نعمته الفيلسوف الداماد، كما ذكره عبد النبي القزويني في تتميم أمل الآمل. قال: ويظهر ذلك من كلماته الباردة في كتابه النفحات اللاهوتية في العثرات البهائية) فيظهر أنه أراد التعصب لأستاذه الداماد وليس التعصب عليه). الذريعة ج٢٤ ص٢٥١ رقم ١٢٩٩.

وقال القزويني في تتميم أمل الآمل: (السيد أحمد بن السيّد زين العابدين العلوي: نسيب السيّد الداماد وتلميذه. كان عالما فاضلا متفننا في العلوم متقنا فيها. وله تآليف كثيرة في الفنون، لكنه لما جعل تعصب السيّد المزبور نصب عينيه وكانت همته مقصورة على ذلك انتقص لذلك من القلوب ولا يلتفت إلى تأليفاته. يعلم ذلك من كلماته الباردة التي أوردها في كتاب النفحات اللاهوتية في العثرات البهائية) تتميم امل الآمل ص ٦٢ ـ ٦٣.





الشيخ الحر العاملي(تتنُّ)

(ت ١١٠٤ هـ. ق)

السرعة في الكتابة.

أحد أسباب التصحيف هو: السرعة في الكتابة، وعدم الدقة، وعدم المراجعة. وهذا ما نراه بالنسبة إلى كتب الشيخ الحر العاملي.



ذات مرة قال السيّد جواد الحيدري اليزدي في منزل (آقاي قافي): لديَّ جزء من نسخة من كتاب (الكافي) بتصحيح الشيخ الحر العاملي. فقلت له: هل يمكن أن تعطيني إياها كأمانة حتى أراجعها؟ فأرسلها لي. أنا قابلتُ أسناد الكافي بنسخ كثيرة، ولاحظتُ أنّ هذه النسخة بالنسبة إلى تلك النسخ ليست جيدة!

كان الشيخ يكتب كثيرًا، والكتب الموجودة بخطه كثيرة، وهذه السرعة في الكتابة هي السبب في أخطائه الكثيرة.

الشيخ حسن النوري(﵀) كانت لديه نسخة خطية من مجموعة من رسائل الشيخ الحر(﵀) وكان يقول: هذه النسخة أرسلها المحدث الأرموي للسيد البروجردي ليراها، أعتقد أن فهرست منتجب الدين كان ضمنها وكان السيّد البروجردي يحقق فيه، الشيخ حسن كان يقول: سهو القلم كثير وواضح في هذه النسخة.

الشيخ الحر(﵀) كتب (الوسائل) عدة مرات بصورة مبيَضة ومسودة.

السيّد رضا الزنجاني كانت لديه نسخة أبواب الصلاة من (الوسائل) بخط الشيخ الحر، وأهداها إلى المكتبة الرضوية على مشرفها السلام، وتلك النسخة كانت المسوَدة الثالثة لكتاب الصلاة من الوسائل.

كرامة

كتب الشيخ الحر العاملي ـ العدل الذي لا شك في وثاقته ـ في (إثبات الهداة) أننا في سنة ١٠٤٩هـ في مشغرة ـ قريته ـ، كنا جالسين مع بعض الأصحاب في عيد من الأعياد ـ وُلد الشيخ الحر في سنة ١٠٣٣هـ وكان عمره آنذاك ١٦ سنة ـ جرى الحديث في تلك الجلسة عن: أننا هل نكون موجودين جميعًا في السنة القادمة أو لا؟ قال أحدهم، واسمه الشيخ محمد: أنا موجود في السنة القادمة والتي بعدها والتي بعدها وهكذا، وكان واضحًا أنه جاد في كلامه. قلنا له: هل لديك علم من الغيب؟ كيف تقول أنك ستكون حيًا في السنة القادمة؟ قال: أنا لا أعلم الغيب. لكني رأيت رؤيا وأنا مطمئن من واقعيتها، وسأعيش ٢٦ سنة، فقد كنت مريضًا مشرفًا على الموت، وقد يئست من الحياة، فرأيت الإمام الحجة(عجل الله فرجه) في الرؤيا وطلبت منه أن يدعو لي بالشفاء. دعا لي الإمام(عجل الله فرجه) بالشفاء وأعطاني كأسًا شربت منه وقال لي: إنك ستشفى وستعيش ٢٦ سنة أيضًا!



في سنة ١٠٧٢هـ انتقلنا إلى مشهد، وفي سنة ١٠٧٥هـ كتب لي أخي رسالة: أن الشيخ محمد(رحمه الله) توفي السنة! بعد ٢٦ سنة من تلك الحادثة!

١٣

العلامة محمد باقر المجلسي(تتّئُ)

(ت ١١١٠ هـ. ق)



احترام الفلاسفة والعرفاء الكبار للعلامة المجلسي

أحيانًا نجد بعض المتفلسفين ينتقدون العلامة المجلسي(ﷺ) ويهاجمونه في حين أن بعض الأشخاص الذين لا يتوقع منهم ذلك يهتمون بآثاره اهتماما خاصًا. سمعت من الشيخ عبد الله المجتهدي أن تقي زاده الذي كان من رجال السياسة والعلم في إيران كان يقول: إني قرأت كتاب السماء والعالم في البحار من أوله إلى آخره ثلاث مرات!

هذه علامة اهتمامهم بكتاب البحار.

الشيخ الشاهآبادي كان فيلسوفًا وعارفًا في مستوى رفيع. كان ولده الشيخ نصر الله يقول: ذهبت إلى أصفهان فلما عدتُ سألني الوالد هل زرت قبر العلامة المجلسي؟ فقلت لا، فقال: إذًا لماذا ذهبت إلى أصفهان؟!

فالمقصود أن الفلاسفة والعرفاء الكبار ينظرون بإعجاب وتعظيم للعلامة المجلسي من الناحية المعنوية ومن الناحية العلمية أيضًا.

النسخة الخطية لكتاب المير لوحي

السيد محمد علي الروضاتي ينقل عن شخص أنه ذهب إلى منزل

(صاحب الروضات)، فوجده قد غسل أوراق النسخة الخطية لكتاب المير لوحي الذي هاجم فيه العلامة المجلسي وعلّقها على الحبل حتى تجف ويستخدمها مرة أخرى.

مقارنة العلامة المجلسي بالفيض الكاشاني

لا يبعد أن يكون الفيض الكاشاني مرجحًا على صاحب الوسائل في فهم الروايات. وكذلك فإنّ المرحوم المحدث الأرموي كان يرجح العلامة المجلسي على الفيض من جهة مخالفة التصوف، لكنه يرجح الفيض عليه في فهم الروايات.

من هو قائل الذيل الموجود في دعاء عرفة؟



معرفة متن الحديث وأنه يمكن من خلال العبارات إسناد الكلام إلى المعصوم(ﷺ) أمرٌ مشكل. مثل العلامة المجلسي يمكنه أن يبدي الرأي في هذا المجال.

السيد الخميني كان يشتغل بالعرفان، وحيث وجد مضامين ذيل دعاء عرفة عالية، اعتقد أنها من كلام الإمام الحسين(ﷺ) قطعًا وكان يقول: (عندما يفكر غير المعصوم في إنشاء مثل هذا الدعاء ترتعد فرائصه!).

لكن تبيّن فيما بعد أن هذا الذيل من منشآت ابن عطاء الله الإسكندراني الذي كان من كبار المتصوفة في القرن السابع وأوائل القرن الثامن.[١] وقد كُتبت على كتابه عدة شروح. هذا المطلب ذكره المرحوم جلال همايي في كتابه (مولوي نامه).

العلامة المجلسي صرّح في (البحار) بأن تلك الكلمات ليست من

---

(١) توفي ابن عطاء في سنة ٧٠٩ ق يعني بعد حوالي ٤٥ سنة من وفاة السيّد ابن طاووس. وهذا الذيل ليس موجودا في النسخ القديمة للإقبال وألحق به فيما بعد. (السيد).

سنخ كلمات الأئمة(ﷺ) وتتناسب مع كلمات الصوفية. نعم، العلامة لم يكن يعرف قائلها، لكنه اعتقد أنه من الصوفية. السيّد الخميني كان يعتقد أنها من المعصوم لمجرد علو مضامينها.

يوم عرفة

الشيخ عباس القمي(ﷺ) كتب في (مفاتيح الجنان) عن يوم عرفة أنه من الأعياد العظيمة وإن لم يُسمَّ عيدًا. الشيخ القمي استخدم هذا اللفظ تبعًا للمجلسي في كتاب (زاد المعاد) لكن المجلسي لم يذكر مصدرًا لذلك. لأن لفظ العيد من العناوين التي يجعلها الشارع وتترتب عليه أحكام خاصة.



١٤

الميرمحمد حسين خاتون آبادي(تتئُ)

(ت ١١٥١ هـ. ق)

أول إمام جمعة في طهران كان السيّد مهدي الخاتون آبادي من أحفاد العلامة المجلسي والسيد محمد حسين الخاتون آبادي.

السيد محمد حسين كان إمام جمعة أصفهان وهو الحفيد المباشر للعلامة المجلسي وتلميذه.



بعد السيّد مهدي صار ابن أخيه السيّد أبو القاسم إمام جمعة طهران. لأن السيّد مهدي لم يكن لديه ولد. السيّد أبو القاسم كان يصلي الجمعة بالنيابة عن عمه في أيام حياته ثم استقل بها بعد وفاته. بعد وفاة السيّد أبي القاسم صار ولده السيّد زين العابدين إمام جمعة طهران لكنه لم يكن قد بلغ آنذاك، فكان يصلي بالنيابة عنه أحد علماء العائلة حتى يصل إلى سن البلوغ. السيّد أبو القاسم كان عالمًا كبيرًا لكن ابنه السيّد زين العابدين لم يكن كذلك.

الحاج السيّد يحيى عابدي نقل عن المرحوم السيّد البهبهاني أنه: لما مرض السيّد أبو القاسم جاء ناصر الدين شاه لعيادته. السيّد كان مُلقى على فراش المرض، فقرّر أن يوصي الشاه بابنه الصغير السيّد زين العابدين، لكنه عندما أراد ان يتكلم خطر في باله: أني سيد من أولاد النبي(ﷺ) فلماذا أعتمد على الشاه ؟! فغيّر رأيه وأوكل أمر ولده إلى الله.

يقول السيّد البهبهاني: ببركة هذا التوكل أصبح السيّد زين العابدين ـ على الرغم من أنه لم يكن معروفًا بالعلم ـ من كبار المحترمين بحيث أنه لم يكن يختتم مجلس فاتحة مهم في طهران إلا بإذنه.

سمعتُ أن كل علماء طهران الكبار ومنهم الميرزا الآشتياني كانوا يجلسون دون مجلسه حتى في منزله باستثناء الشيخ علي كني.

السيد زين العابدين كان له عدة أولاد: منهم السيّد أبو القاسم، الذي كان في أحداث المشروطة من معارضيها، فعُزل من منصبه ونصّبوا مكانه أخاه الآخر السيّد محمد. طبعًا كان الشاه ينصبهم لأنهم كانوا مرتبطين به. في زمان الشاه رضاخان في قضية نزع الحجاب ذهبوا أولًا إلى السيّد محمد إمام الجمعة حتى يحضر في حفل نزع الحجاب. أحد أقاربه ـ لا أريد ذكر اسمه ـ وعد أصحاب الشاه بأن يجعل السيّد يحضر في ذلك المجلس، ولو وافق السيّد محمد على ذلك ـ وهو العالم الأول في طهران من جهة المنصب ـ فلا بد أن الآخرين سيتبعونه. نقلوا أن السيّد محمد قال في جواب تلك الدعوة: انا أملك ثلاثة أشياء المال والنفس والدين. مالي ونفسي فداء للشاه لكن ديني لنفسي!



١٥

العلامة السيّد محمد مهدي بحر العلوم(قدس سره)

(ت ١٢١٢ هـ. ق)

احترام المعاصرين

السيد بحر العلوم كان أصغر من الميرزا القمي ـ وتوفي قبله عن عمر ٥٧ سنة ـ لكن جميع معاصريه ومنهم الميرزا كانوا يحترمونه. السيّد كان عالما من علماء الدرجة الأولى، وكان أيضًا من عائلة محترمة.



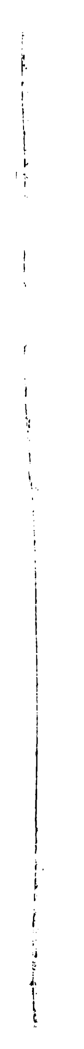
معاصرو السيّد كانوا يعتقدون بكرامته وكانوا ينقلون عنه كرامات كثيرة، وكان لقاؤه بالإمام الحجة(عليه السلام) مقبولا لدى العلماء.

السيد بحر العلوم شيخ إجازة السيّد مهدي الشهرستاني. والسيد الشهرستاني ـ مع أنه أكبر من بحر العلوم بحوالي ٢٥ سنة وكان بحر العلوم في حكم ولده ـ طلب منه الإجازة.

كراماته

الشيخ النوري(رحمه الله) ينقل مطالب وكرامات عن السيّد بحر العلوم بطريقٍ معتبر. في كتاب (رياض الجنة) لمؤلفه محمد حسن الزنوزي تراجم لشخصيات مختلفة، وضمن تراجمه للعلماء يذكر مطالب مهمة عن السيّد بحر العلوم والشيخ الدواني نقل بعض مطالب هذا الكتاب (الخَطي) حول حياة الوحيد البهبهاني[١].

(١) طبعت أربعة مجلدات من هذا الكتاب فيما بعد بواسطة مكتبة السيّد المرعشي (أعلى الله مقامه).



١٦

الشيخ محمد علي الكرمانشاهي(تَتُرُّ)

(ت ١٢١٦ ق)

سبب الإقامة في كرمانشاه

الشيخ محمد علي الكرمانشاهي ابن الوحيد البهبهاني ذهب إلى كرمانشاه في سنة ١١٨٦ هـ.ق؛ لأنه في تلك السنة انتشر وباء شديد في العراق كان يحصد الناس حصدًا. لذلك خرج من العراق وجاء إلى كرمانشاه في طريقه ونزل ضيفًا على الشيخ عبد الجليل الجليلي ـ الذي كان أيضًا من تلامذة الوحيد ـ فطلب منه الشيخ عبد الجليل احترامًا لأستاذه أن يقيم في كرمانشاه. الشيخ محمد علي وافق على ذلك وألقى رحاله هناك حتى توفي سنة ١٢١٦هـ.ق، وقبره هناك.



مواجهة الصوفية

الشيخ محمد علي قام بمواجهة الصوفية وقضى عليهم، وفي الرسالة التي كتبها فتح علي شاه إلى الشيخ إشارة إلى هذا المطلب حيث يقول: لولا مواقفك لأصبح أكثر الإيرانيين من الصوفية.

في ذلك الزمان كان نورعلي شاه ينشر التصوف من قبل معصوم علي شاه. نور علي شاه كان آية في الجمال، وأنا رأيتُ صورته، وكذلك كان صوته جذابًا. وكان شاعرًا أيضًا. لديه أيضًا ديوان شعر وقد رأيت أشعاره في المنطق. هذه الصفات كانت سببًا لتأثيره على الأشخاص العاديين

وجذبهم نحوه. المطالب العرفانية والذوقية أيضًا كان لها مزيد الأثر في ذلك.

سمعتُ من السيّد رضا الصدر أن نورعلي شاه ذهب إلى النجف، كان لديه كيس فكان يقرأ الأشعار بصوته الجميل فيضع الناس النقود في كيسه حتى إذا امتلأ فرَغه خلفه فيأتي الفقراء ويأخذونه. هذه الأعمال تجذب الناس.

ينقل أنه عندما دخل إلى الصحن الشريف أمر السيّد بحر العلوم بإخراجه فلم يجرؤ أحد على ذلك، فعندما رأى الشيخ جعفر كاشف الغطاء أمر السيّد لا يُنفذ قام وأخرجه بنفسه!



الأمر بقتل معصوم علي شاه

شاه طاهر دكني كان مرشد معصوم علي شاه، وكان في منطقة دكن في الهند. وكان معصوم علي شاه قد جاء لنشر الصوفية في إيران من طرف شاه طاهر، ونورعلي شاه كان يُبلّغ من طرف معصوم علي شاه.

الشيخ محمد علي كان يعتقد بضرورة قتل معصوم علي شاه، لكنه استفتى المراجع آنذاك لأجل إحكام الأمر. السيّد بحر العلوم وبقية العلماء تبرأوا جميعا من هذا الرجل، ونصُّ كلماتهم موجود، وهذه الوثائق هي التي جعلت الشيخ مبسوط اليد في قتل الصوفية. وبعدها قُتل معصوم علي شاه.

الشيرواني في كتاب (بستان السياحة) يقول بالنسبة إلى كرمانشاه: في هذا الوقت لم نر شيئا مهمًا إلا جناب الشيخ محمد علي مجتهد هذه الديار، فقد رأيته وهو الذي استشهد جناب السيّد معصوم علي شاه على

يديه، والسلام على من اتبع الهدى[١].

لقاء آغا محمد خان

سمعتُ من السيّد فخر الدين الجزائري أنه: عندما علم آغا محمد خان بأن الشيخ يقتل الصوفية في كرمانشاه أمر بأن يُؤتى به محترمًا إلى طهران؛ لأن الحكام لم يكونوا يتحملون أن يقوم العلماء بمثل هذه الأعمال في سلطنتهم.

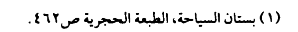
قال آغا محمد خان: عندما كنتُ جنديًا عاديًا سألت الشيخ سؤالًا ـ والآن هو لا يعلم أني ذلك الجندي العادي ـ فإن أجاب بنفس الجواب فهذا دليل على أن ما يقوم به الآن من أجل إيمانه وتقواه وورعه، وإذا أجاب بجواب آخر رعاية لسلطنتي فيتبين أن ما يقوم به ليس لأجل التقوى ويجب أن يُعاقب.



كان محمد خان قد سأل الشيخ في أيام شبابه أني أعمل جنديًا للحكومة فما حكم ذلك؟ فأجابه الشيخ: إنك من أعوان الظلمة ويجب أن تترك هذا العمل.

وعندما أحضروا الشيخ له في مقام سلطنته سأله: أنا الآن حاكم البلد فما هو حكم عملي؟ فأجاب الشيخ: جهنم! ولا ينبغي أن تبقى في هذا المنصب وعليك أن تستقيل!

عندما رأى الشاه أن جواب الشيخ هو نفس الجواب علم أنه لا يعمل إلا بمقتضى إيمانه وتدينه، فأمر أن يُعاد إلى كرمانشاه بمزيد من الاحترام ولا يمنع من القيام بوظيفته في قتل الصوفية.



(١) بستان السياحة، الطبعة الحجرية ص٤٦٢.



الميرزا القمي(رحمه الله)

(ت ١٢٣١ هـ.ق)

ستة أشهر في قم

السيد فرج الله فقيهي حفيد السيّد محمد باقر حجة الإسلام الشفتي، يقول: كان جدنا يقول: إني درستُ ستة أشهر عند الميرزا القمي في قم و١٢ سنة في العراق. في هذه الستة أشهر استفدتُ أكثر من تلك الاثنتي عشرة سنة!



هذا الكلام سمعتُه من السيّد فرج الله، ولا أدري عمّن ينقله، لكن أباه كان من العلماء، وهو أيضًا كان يعاشر العلماء، فلا بد أنه سمعه منهم.

القول بحجية مطلق الظن

السيد حسن الصدر كتب للشيخ آغابزرك إجازةً مطولة تُعتبر كتابًا مُستقلًا. في هذه الإجازة ينقل عن السيّد صدر الدين جد السيّد صدر الدين الصدر (الذي هو والد السيّد رضا والسيد موسى الصدر) أنّ الوحيد البهبهاني (ت. ١٢٠٥هـ) كان مُصرًا على حجية مطلق الظن. الوحيد والسيد المجاهد والميرزا القمي كانوا يرون ذلك.

عندما يمتد الزمان يتخيل الإنسان أنَّ القول بحجية مطلق الظن قولٌ شاذ، لكنه كان في ذلك الزمان مشهورًا، وكان يعتقد به جملة من الفحول.

فهرست (جامع الشتات)

المرحوم الوالد كتب فهرسًا لجامع الشتات، فهرَس فيه لعدة طبعات. الشيخ الوحيد الخراساني كان مُعجبًا بهذا الفهرس.

حب الشاه للميرزا

علاقة الميرزا القمي بفتحعلي شاه كانت جيدة. الشاه كان يُقلِد الميرزا، وكان يتواضع أمامه كثيرًا. من المعروف أن الميرزا قال للشاه: إني كنت أحبك لكني أشكر الله أن هذه المحبة زالت بسبب قضية ما لأن الرجل يحشر مع من أحب وأنا كنت قلقا أن أحشر معك.

الشاه كتب في الجواب: أنا أشكر الله أني أحبك وأرجو ان أُحشر معك.

أحفاد الميرزا

في بروجرد عائلة القوانيني من أحفاد الميرزا من ابنته. المرحوم محمد تقي القوانيني من أحفاد الميرزا كان من أصدقائنا، لكنه ترك دراسة العلوم الدينية. والدكتور محمد القوانيني أخوه، أما والده كان من العلماء.

الميرزا القمي لم يكن له أولاد ذكور وأحفاده من جهة بناته. بعض أحفاد الميرزا أبناء الحاج الميرزا أسد الله حجة الإسلام البروجردي صهر الميرزا. الحاج ملا أسد الله من الجهة العلمية كان في مستوى عال.

يُنقل أن الشيخ الأنصاري درس عنده مدة في بروجرد وأنه كان ينقل رأيه في الدرس.

الميرزائيون الموجودون في قم، ومنهم السيّد مهدي الروحاني رفيقنا من أحفاد الميرزا أبو طالب. الميرزا أبو طالب صهر الميرزا القمي، كما

أنّ السيّد محمد صدر العلماء كان من أحفاد الميرزا أيضًا.

الملا علي البروجردي كان صهر الميرزا القمي أيضًا، ولا بد أن له أولادًا وأحفادًا لكني لا أعرفهم بشكل دقيق.

عائلة (السيدي) أحفاد الميرزا أبو طالب.

الميرزا فخر الدين شيخ الإسلام السيدي كان عالم قم المحترم، وهو الذي صلّى على جنازة الشيخ عبد الكريم الحائري، فقد كان محترمًا جدًا ومشهودًا له بالتقوى.

صعوبة القوانين



جواد بن محرم علي الطارمي، صاحب (حاشية القوانين) المعروفة بحاشية جواد، كان معاصرًا للملا قربانعلي الزنجاني، لكن المُلا قربانعلي لم يكن يعتقد بعلميته. ذات مرةٍ قيل للملا قربان علي: إنه متقن للقوانين وقد درَّسه عشرين مرة. فأجاب الشيخ الذي كان يعتقد أنه لم يفهم القوانين جيدًا: المطالب التي فهمها في البداية كررها عشرين مرة!

الدراسة في العراق

الميرزا القمي درس في العراق وفي النجف وفي كربلاء أيضًا. بعض مشايخه مثل الوحيد البهبهاني كان في كربلاء، وبعضهم مثل الفتَوني كان في النجف.

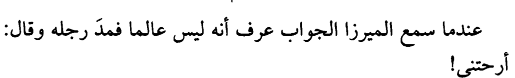
أرحتني!

جاء شخصٌ معمم ضخم الجثة لبيت الميرزا القمي، فتصور السيّد من شكله أنه من العلماء، ولذلك راعى الأدب في الجلوس مع أن رجله كانت تؤلمه. التفت أصحاب الميرزا للأمر وأرادوا أن يفهموا الميرزا أن

هذا الشخص ليس من العلماء، ولا يلزم احترامه لهذه الدرجة حتى لا يقع الشيخ في الحرج. فقالوا لذلك الشخص إن الميرزا يحب النقاش العلمي فإذا جئت غدًا فاطرح عليه بحثًا علميًا. فقال ذلك الرجل: أنا لا أعرف فماذا أقول؟ قالوا له اسأله: هل الواو للجمع المطلق أم لمطلق الجمع؟ فإذا قال للجمع المطلق، قل له: يلزم من ذلك الزنا، وإذا قال لمطلق الجمع، قل له: يلزم من ذلك اللواط. ونحن سنُكمل البحث.

في اليوم التالي جاء ذلك الرجل، وسأل الشيخ: هل الواو للجمع المطلق أم لمطلق الجمع؟ فأخذ الميرزا يُفكر؛ لأنه لم يفكر في ذلك من قبل. وقرّر أن يسأل ذلك الشخص عن قصده حتى يتضح مراده فيجيبه. فقال له: إذا قلنا للجمع المطلق فماذا يترتب على ذلك؟ قال الرجل: يلزم من ذلك الزنا! تعجب الميرزا وقال: جيد. وإذا قلنا إنها لمطلق الجمع فماذا يترتب؟ فقال: أسوأ من ذلك! يلزم اللواط!





عندما سمع الميرزا الجواب عرف أنه ليس عالما فمدَ رجله وقال: أرحتني!

كتاب: جامع الشتات

المرحوم السيّد عبد العزيز الطباطبائي حفيد السيّد محمد كاظم الطباطبائي صاحب (العروة الوثقى) ينقل: أنَّ جدنا ـ مع أنه كان قليل الكتب ـ كان يولي أهمية بالغة لثلاثة كتب، وكانت مراجعته الأصلية لهذه الثلاثة، وهي التي كانت بين يديه دائمًا. وهذه الكتب الثلاثة هي: جامع الشتات، وجواهر الكلام، والمستند. وبين هذه الثلاثة كان يعتني أكثر بجامع الشتات.

من الناحية العلمية ـ أيضًا ـ فإنَّ كتاب جامع الشتات أقوى من الكتابين

الآخرين.

خطئان

المرحوم الشيخ محمد رضا المسجد شاهي كان يقول: إن الميرزا القمي ارتكب خطئين في كتابه (جامع الشتات):

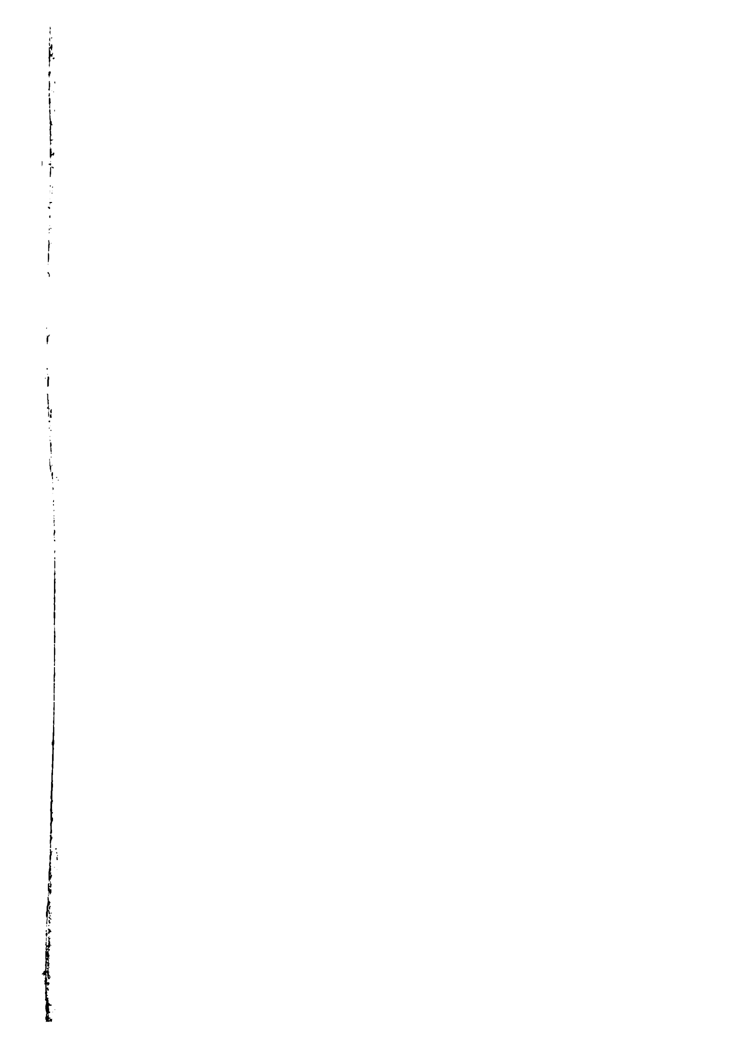
الأول: أنه ظنّ أنه يعرف جواب كل سؤال.

والثاني: أنه يجب أن يُجيب على كل سؤال!

لكن هذا الكتاب كتاب ممتاز وجامع ونافع وهو من الكتب الفقهية المهمة.



أمّا القوانين فهو كتاب أصولي قويّ. وقبل القوانين كان كتاب المعالم والوافية للملا عبد الله التوني وشرح الوافية للسيد الصدر هي الرائجة. كتاب القوانين يمتاز على هذه الكتب كثيرًا، وفيه كثير من الإشكالات والأجوبة.





الشيخ أسد الله الشوشتري(قدس سره)

(ت ١٢٣٤ق)

الشيخ أسد الله صاحب (مقابس الأنوار) كان شخصية استثنائية بشكل كبير، فقد كان عجيبًا في الدقة وقوة التفكير.



كتب في الإجماع كتابًا كبيرًا بحجم الرسائل، بحيث يحتاج فهم السطر الواحد منه أحيانًا إلى مدة من التفكير والتأمل. هذا الشيخ هو أعلم عائلة المُعزي.

بعد وفاة الشيخ جعفر كاشف الغطاء(﵀) حصل اختلاف في تشخيص الأعلم، هل هو الشيخ موسى ابنه الأكبر، أم هو الشيخ أسد الله صاحب المقابس، الذي كان صهر الشيخ جعفر. سألوا الميرزا القمي عن ذلك فرجّح الشيخ موسى. وربما يكون وجه هذا الترجيح هو الذهن العرفي للشيخ موسى، ولكنّ الشيخ أسد الله كان أقوى في المطالب العلمية الدقيقة.

المرحوم والدي كتب في أحد دفاتره حول من هو أعلم علماء الشيعة على مر العصور: البعضُ يرى أنّ الشهيد الأول هو الأعلم، لكن شيخ الشريعة الأصفهاني يعتقد أن الشيخ أسد الله صاحب المقابس هو الأعلم.

تحديدُ الأعلم

سمعتُ من السيّد موسى الصدر مطلبًا، وقد رأيتُ مؤخرًا نفس هذه

التعابير في (تكملة أمل الآمل) للسيد حسن الصدر، في قسم تكملة (تذكرة المتبحرين) قد ذُكرت في حق أشخاص آخرين، فإن كان أصل المطلبين واحدًا، فلا بد أن يكون نقل السيّد حسن الصدر مقدّمًا لأنه أقدم.

السيد موسى الصدر كان ينقل عن شخص مقارنة بين السيّد محمد الفشاركي والآخوند الخراساني: إن مثال المرحوم السيّد الفشاركي والمرحوم الآخوند مثل شخصين يبحثان عن جوهرة مدفونة في الأرض، فالآخوند يعرف مكانها مباشرة بقوة حدسه ويستخرجها، لكن السيّد محمد يحفر شيئًا فشيئًا حول ذلك المحل حتى يستخرجها ويستخرج معها أشياء أخرى.



أما السيّد حسن الصدر في التكملة فقد كتب تحت عنوان السيّد إبراهيم الأعرجي[1]: وحدثني الشيخ الأعظم فقيه العصر الشيخ محمد حسن آل يس الكاظمي (طاب ثراه) قال: إن السيّد إبراهيم المذكور كان معروفًا بالفضل والفقه. ولما مات شيخ الطائفة الشيخ جعفر كاشف الغطاء تردد أهل بلد الكاظمين وبغداد في التقليد بين الشيخ موسى ابن الشيخ وبين الشيخ أسد الله صاحب المقابيس، فجاؤوا إلى السيّد إبراهيم المذكور يسألونه الترجيح بينهما وتعيين الأعلم منهما؛ لأنه من أوضح مصاديق أهل الخبرة.

فقال لهم: إني أمثّل لكم مثالًا لهما. هما كرجلين علما أن في هذا الجبل درة مكنونة، فجاء كل منهما يريد إخراجها. فأخذ أحدهما ينقض الجبل لاستخراجها، واستعد لذلك بالآلات والمعاول، وأخذ ينقض، وكلما نقض جانبا وقف على بعض المعادن والأشياء العزيزة، واستمر

(١) تكملة أمل الآمل (طبعة الدكتور محفوظ) ج٢، ص ٤٨ ـ ٤٩، رقم ٤٦.
آثرنا نقل نص كلام السيّد حسن الصدر بدلًا من ترجمة كلام السيّد الذي نقله عنه.

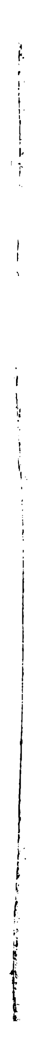
على النقض.

وجاء الآخر ووقف وتأمل الجبل فحدس أن تكون الدرة في موضع كذا من الجبل فحفر يسيرًا فوجدها وأخذها ومضى. وبقي الآخر ينقض الجبل وقد أحاط واطلع على معادن كثيرة غير الدرة لم يطلع عليها الآخر.

فقالوا: يا سيدنا! طبّق المثال عليهما.

قال: الفقه هو الدرة الربانية. والذي حدسها وأخرجها هو الشيخ موسى، والذي بقي ينقضا الجبل هو الشيخ أسد الله. فالشيخ موسى عنده النتيجة ولا خبرة له بما اطلع عليه الشيخ أسد الله من المعادن النفيسة.





١٩

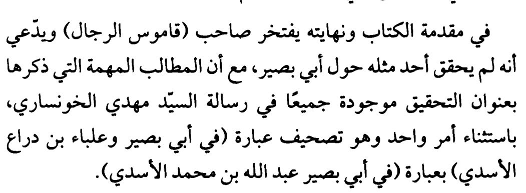
سيد مهدي الخونساري (تدّس)

(ت ١٢٤٦ ق)

نقد على رسالة الدر النضير

هي رسالة عديمة النظير في أحوال: أبي بصير، التي ألَّفها السيّد مهدي الخونساري[1]، تشتمل على تحقيقات مهمة في أحوال أبي بصير. صاحب (قاموس الرجال) استفاد كثيرًا من هذا الكتاب في رسالته المسماة بالدر النضير في المُكَـنّيْن بأبي بصير، لكنه لم يذكر المصدر.

في مقدمة الكتاب ونهايته يفتخر صاحب (قاموس الرجال) ويدّعي أنه لم يحقق أحد مثله حول أبي بصير، مع أن المطالب المهمة التي ذكرها بعنوان التحقيق موجودة جميعًا في رسالة السيّد مهدي الخونساري، باستثناء أمر واحد وهو تصحيف عبارة (في أبي بصير وعلباء بن دراع الأسدي) بعبارة (في أبي بصير عبد الله بن محمد الأسدي).



بقية مطالب الشوشتري في هذه الرسالة لا علاقة لها بموضوع أبي بصير.

على سبيل المثال بمناسبة التصحيف المذكور ينقل عن القهبائي أن الشيخ الطوسي اشتبه في الموضع الفلاني بسبب عجلته الدينية ثم يهاجمه ويقول: إن الشيخ وقع في أخطاء بسبب عجلته الدينية، لكنها أخطاء عادية

---

(١) السيّد مهدي جد السيّد أبو تراب الخونساري المتوفى سنة ١٣٤٦ ق. (السيد).

كما سنذكر لا كما ذكر القهبائي. ثم يبدأ بإحصاء أخطاء الشيخ في حوالي ٢٠ صفحة، وهذا لا علاقة له بموضوع أبي بصير.

في موضع آخر يقول عن أبي بصير، إن البعض قال: إن أبا بصير الأسدي له رواية في أمالي الصدوق في المجلس ٣٦، والحال أنه لا يوجد هناك شيء. وإشكاله هذا على السيّد الخونساري، وقمتُ أنا بمراجعة نسخ الأمالي فوجدتُ الرواية مذكورة في جميع النسخ، لكنها سقطت في النسخة المطبوعة. فالسيد مهدي الخونساري اعتمد على النسخ المعتبرة، والشيخ محمد تقي الشوشتري اعتمد فقط على النسخة المطبوعة.

الوجه الجميل



السيد مهدي الخونساري كان تلميذ الميرزا القمي. وسمعتُ من السيّد مصطفى الخونساري يقول: كان الميرزا القمي أستاذ السيّد مهدي الخونساري وزوج عمته، وفي خونسار ادّعى شخصٌ اسمه (تقي) السلطنة وأعدَّ عدة الحرب بشكلٍ اضطر فتحعلي شاه أن يخرج بنفسه لمحاربته، وقد وصلت حركته من القوة إلى درجة أن بعض الأمكنة سميت باسمه (تقي شاه).

فتحعلي شاه ذهب إلى خُونسار من أجل هذه القضية، وقبل ذهابه أوصاه الميرزا القمي بأنّ في خونسار سيدًا جليل القدر فإذا ذهبت إلى هناك فزره. وكان مقصوده السيّد مهدي الخونساري. وفعلًا عندما ذهب الشاه إلى خونسار زار السيّد ولا تزال الغرفة التي زاره فيها باقية ومعروفة.

الظاهر أنّ السيّد مهدي كان يسكن مدة مع الميرزا في قم. كانت في المنزل شجرة نسرين. ذات مرة رأى الميرزا القمي السيّد مهدي بالقرب من الشجرة وهو يتغزل ببيت شعر مضمونه:

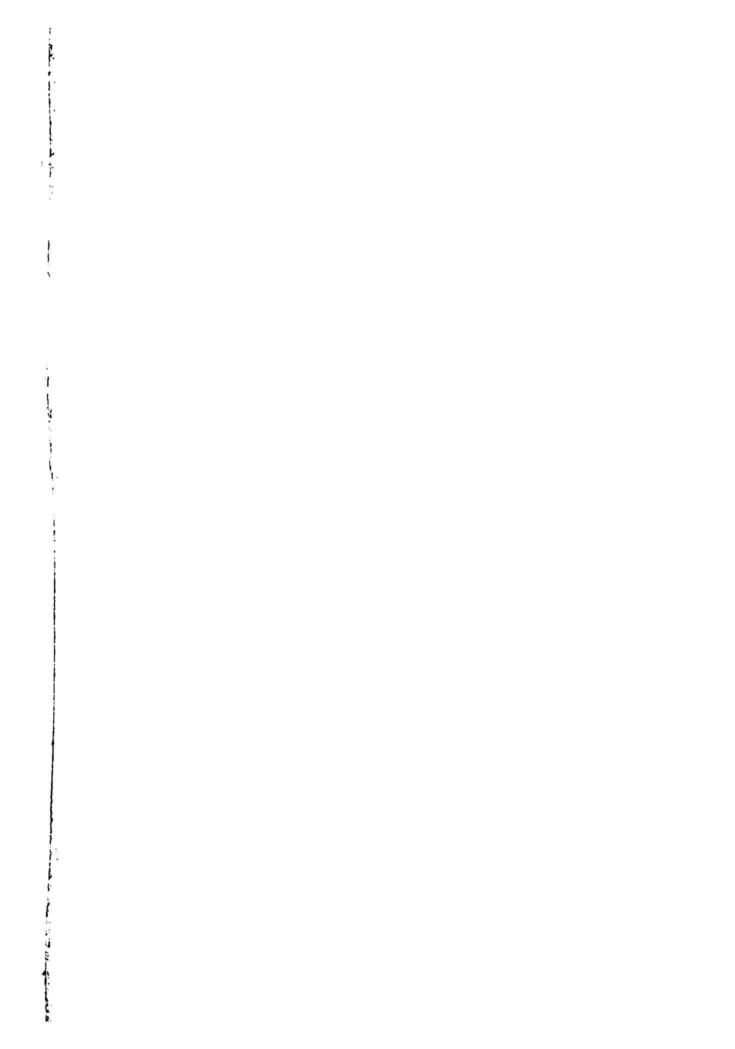
تحت شجرة النسرين في فصل الرمان في مدينة قم.

تتعلق يدي أنا الكسير القلب بأذيال الوجه القمي الجميل.

السيد لم يكن مُلتفتًا لوجود الميرزا، ففاجأه الميرزا بالسؤال: من هو الوجه الجميل الذي تقصده؟ فأجاب: حضرتكم. فقال الميرزا: لا تمزح معي. فقال السيد: الوجه القمي الجميل هو الشخص الذي يعلِم الناس التوحيد ويرشدهم.

(النصف الثاني من جمادى الآخرة ١٤٣٣ ق)





٢٠

الشيخ محمد تقي الأصفهاني (ﺗﺪﺋ)

(ت ١٢٤٨ ق)

البحر الموّاج

الآخوند الملا العلي القاربوزآبادي كان عالما قويًا، يبدو أنه ابتدأ دراسته في قريته قاربوز آباد، ثم أكمل المقدمات والسطوح في قزوين، ثم ذهب إلى أصفهان ودرس هناك مدة عند الشيخ محمد تقي صاحب هداية المسترشدين، واستفاد منه كثيرًا.



تتلمذه على يد الشيخ محمد تقي قطعيٌ، لكن دراسته عند السيّد حجة الإسلام والشيخ الكلباسي غير معلومة.

الشيخ آغابزرك الطهراني نقل: أنَّ الشيخ محمد تقي كتب إجازة للقاربوزآبادي خلف كتاب (نظام الفرائد في شرح القواعد).

ونُقل عن المرحوم القاربوزآبادي أني عندما ذهبتُ إلى أصفهان وحضرت درس الشيخ محمد تقي وجدت الأصول التي كنت قد درستها ليست بأصول، ووجدته بحرًا موّاجًا، واستفدت منه كثيرًا.

ثم يقول: بعد وفاة الشيخ محمد تقي بأربع سنوات عدتُ إلى قزوين، ووجدت هناك بحرًا مواجًا لو تحدثت مائة سنة عن ابتكاراته العلمية لما انتهت! وهو الشيخ عبد الكريم الأيرواني. عند ذلك فهمتُ أن الأصول التي درستها لم تكن أصولًا.

ثم يقول: كنتُ أتمنى أن أجد شخصًا ثالثًا يتفوق عليهما بهذه النسبة لكني لم أجد.

أنا أتعجب من هذا الكلام؛ الشيخ محمد تقي كان شخصية استثنائية. صحيح أن الشيخ الأيرواني كان معروفًا بأنه استثنائي، لكن الشيخ محمد تقي كان استثنائيًا كذلك.

نعم، صاحب قصص العلماء الذي كان تلميذ الشيخ الأيرواني يقول في سبب عدم معروفية أستاذه أنه كان ضعيف البيان.





السيد محمد باقر حجة الإسلام الشفتي (قدس سره)

(ت ١٢٦٠ ق)

مستثنيات الأحكام

من المعروف أن الشيخ الأنصاري أوصى تلميذه السيّد أبو القاسم كلانتر بأنك عندما تذهب إلى إيران وتُطرح عليك مسألة ما فلتقل: إن الجواب كذا لولا النص والإجماع. لأنك تعلمت هنا الصناعة والقواعد، لكن يمكن أن تكون هناك روايات خاصة في بعض الحالات أو إجماع لم تلتفت إليه.



المرحوم السيّد الوالد كتب في مقدمة كتابه (مستثنيات الأحكام): من المعروف (وقد قرأتُ أنا ذلك أيضًا في بعض الكتب) أنَّ السيّد محمد باقر حجة الإسلام أجرى مع الشيخ محمد تقي صاحب المسترشدين عقد نكاح لأحد المؤمنين، والسيد كان هو الموجب والشيخ هو القابل. السيّد كان مُلتزمًا بأن يجري العقد على مهر السنة ثم يتصالح الطرفان على ما يريدان في مقابل مهر السنة. وحيث أنَّ المصالحة قد يكون فيها ربا، قال الشيخ: إن هذا ربا. فقال السيد: الإجماع قائم على أنه لا ربا بين الزوج وزوجته، وبعد إجراء العقد يصبح الطرفان زوجين ويجوز بينهما الربا. هذه القضية أساءت إلى سمعة الشيخ محمد تقي كثيرًا.

من الممكن أن يكون الفقيه مستحضرًا للقواعد العامة، لكنه غافل عن المستثنيات.

السيد الوالد يقول: لأجل ذلك كتبتُ هذه المستثنيات؛ لأن بعض أهل الفن يتمسكون أحيانًا بالقواعد ويغفلون عنها.

مثال آخر: سُئل أحد الفقهاء الكبار عن حكم محاذاة المرأة للرجل في المسجد الحرام أو تقدمها عليه. فأجاب بأن تقدم المرأة في الصلاة ليس حرامًا في رأينا بل هو مكروه فقط.

لكن الجواب الصحيح؛ أن المسجد الحرام مُستثنى من هذا الحكم وفقًا للرواية الصحيحة، وحيث أن هذا الاستثناء لم يُذكر في كتاب (العروة الوثقى) فقد غفل عنه.



هذه المسألة مغفول عنها في حواشي العروة، وقد التفت إليها السيّد الميلاني فقط، وقد قلتُ له: أنت الوحيد الذي التفتَ إلى هذه المسألة في الحواشي، وذكرتَها في المناسك أيضًا. لكن من المفترض أن تذكرها أيضًا في كتاب الصلاة في حاشية أحكام مكان المصلي.

السيد الوالد مع أنه كان محيطًا بالفقه بشكل كبير غفل عن هذا الاستثناء. لأنها لم تذكر في العروة، ولا ذكرها الشيخ جعفر كاشف الغطاء مع إحاطته الواسعة بالفقه.

الخمس

كان الشيخ الحاج محمد إبراهيم الكلباسي والسيد محمد باقر حجة الإسلام الشفتي هما المرجعين الأولين في أصفهان، لكن طريقة كل منهما كانت مختلفة تمامًا عن الآخر.

كان الشيخ الكلباسي يدفن سهم الإمام في حين أن السيّد كلَف أشخاصًا بمراقبته لمعرفة مكان المال ليستخرجه ثم يصرفه في محله. مع

هذا الاختلاف الكبير في طريقة العمل كانا في منتهى الصداقة معًا بشكل استثنائي. عندما يكون الإيمان والتقوى حقيقيين في نفس الإنسان فإن اختلاف الرأي لا يؤثر على الصداقة.

الشيخ محمد حسين الكلباسي ـ عليه الرحمة ـ ينقل أن تاجرًا جاء إلى السيّد الشفتي وقال له: إني أخرج خمس أموالي في كل سنة لكن نفسي لا تطاوعني على دفعه إلى المرجع. وقد دفنته في البيت تحت شجرة فأرسل شخصًا من قِبلك ليقيِدني ويستخرج المال.

انزعج السيّد وقال: ما هذا الكلام؟! هذا عمل الحاكم أن يأخذ المال بالقوة. واجبك أنت أن تقدم المال بطيب خاطر، فخرج الرجل.



كان السيّد من أهل التهجد وكان يبدأ نشاطه قبل أذان الفجر. وذات يوم وبين الطلوعين قُرع باب ذلك الرجل، وعندما فتحه وجد السيّد مع أصحابه، وأمر السيّد أصحابه بتقييد الرجل واستخراج المال. يقول ذلك الرجل: لو أخبرتني أنك ستأتي لأخذ المال لغيرت مكانه!

فتبين أن كلام السيّد بالأمس كان عن حكمة. كان قد رأى الرجل تغلب على الشيطان للحظة لكن قد يعود ويوسوس إليه بإخفاء المال!

السيد أسد الله

كان للسيد أسد الله الابن الأكبر للسيد محمد باقر حجة الإسلام مقام كبير حتى أن البعض يفضِله على والده. وهو الذي ساق الماء في زمانه

إلى النجف[1]. عندما تدخل حرم أمير المؤمنين(ﷺ) من باب القبلة يكون قبره على يدك اليمنى، وقبر الشيخ الأنصاري على اليد اليسرى. توفي هذا السيّد في سنة ١٢٩٠ [2].



(١) في ماضي النجف وحاضرها: (ولما ورد السيّد الجليل العلامة السيّد أسد الله الجيلاني زائرا أئمة العراق وزار جده أمير المؤمنين(ﷺ) شاهد ما تقاسيه البلدة من الظمأ وتجرع الماء المالح وسمع شكوى الفقراء وأهل العلم، فعزم على تتميم مشروع الشيخ صاحب الجواهر لكنه لما كر راجعا أجمع رأيه على حفر قناة وسط نهر الشيخ لانخفاض الأرض بسبب حفر النهر واستدامة القناة لذلك ووصول مائها إلى باب النجف، فأرسل المهندسين والعملة تصحبهم الأموال الطائلة، فشرعوا بالعمل سنة ١٢٨٢ وجرى الماء في القناة في شهر رمضان سنة ١٢٨٨، فكان أروى وأقرب وأعذب ماء شربته النجف فعاد ذلك بالفرح والسرور لأهل البلدة ..) ج١ ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٢) في أحد دفاتر السيّد دام ظله ـ كتب تاريخ وفاته بشكل دقيق: (الحاج السيّد أسد الله بن حجة الإسلام الشفتي قد ارتحل إلى عالم البقاء في التاسع والعشرين من جمادى الثانية ألف ومائتين وتسعين) ويحتمل أن هذا التاريخ نسخ من الحجر الموضوع على قبره.



الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر (قدس سره)

كتاب (المآثر والآثار) من المصادر المهمة في تراجم العلماء، وهو يشتمل على ترجمة العلماء الذين أدركوا عهد ناصر الدين شاه دون من قبلهم. ولذلك فقد ترجم للشيخ صاحب (الجواهر) لأنه توفي سنة ١٢٦٦ق، وكانت بداية حكومة ناصر الدين شاه في سنة ١٢٦٤، بينما لم يُترجم للميرزا القمي؛ لأنه كان يعيش في عهد فتحعلي شاه ولم يدرك زمان ناصر الدين. وكذلك لم يذكر السيّد محمد باقر حجة الإسلام ولا الكلباسي لأنهما توفيا قبل ذلك العهد.



نصبوا عليًا

الشيخ علي كاشف الغطاء كان معاصرًا لصاحب الجواهر ومتقدمًا عليه قليلًا. كان أيضًا أستاذ الشيخ الأنصاري في الفقه. بعد وفاة الشيخ موسى الابن الأكبر للشيخ جعفر كاشف الغطاء[1] اجتمع العلماء من أجل

(١) كان السيّد عبد الحميد حفيد السيّد أبو الحسن الأصفهاني الساكن في مشهد يقول: كان السيّد عبد الحميد جد السيّد أبو الحسن تلميذ الشيخ موسى وقد كتب تقريرات درسه في حوالي ٣٠ جزءًا. يقول: قام عمنا السيّد حسين ابن السيّد أبو الحسن بإهداء هذه التقريرات إلى مكتبة الحرم الرضوي باستثناء الجزء الأول. والسبب في عدم إهداء هذا الجزء أن فيه تواريخ ولادات العائلة ومناسباتها. السيّد عبد الحميد أعطاني صورة الصفحة الأولى منه. وجدت السيّد أبو الحسن قد كتب فيها أني جئت إلى النجف في سنة ١٣٠٨. (السيد).

صورة هذه الصفحة موجودة في كتاب سراج المعاني في أحوالات الإمام السيّد أبو الحسن الأصفهاني. ص ٨٦.

تحديد الأفقه بين الشيخ علي وصاحب الجواهر، وتم ترجيح الشيخ علي. التقى صاحب الجواهر بعدها بأحد العلماء الذين حضروا ذلك الاجتماع فسأله مازحًا ومعرِضًا: ما فعلت سقيفتكم؟ فأجاب ذلك العالم: نصبوا عليًا![١]



(١) نقلت هذه القصة في كتاب اعيان الشيعة ج٨ ص ١٧٨.



الشيخ حسن كاشف الغطاء (قدس سره)

(ت ١٢٦٢ ق)

أنا أنقل هذه القصة عن اثنين من علماء زنجان، هما: السيّد جواد الموسوي الزنجاني، وأخوه السيّد أبو الفضل، وكانا من أجلاء علماء زنجان المقيمين فيها. كلاهما ينقلان عن والدهما السيّد محمد، عن الشيخ حسن المامقاني، أنه كان يقول: كانت عادة علماء الشيعة أن يُراجعوا كتب السنة عندما يريدون دراسة الفقه ويذكروها في كتبهم. فالشيخ الطوسي والعلامة وحتى المحقق ينقلون آراء العامة، واستمر هذا الأمر إلى زمان الشهيد الأول حيث لم يشعر العلماء بالحاجة لذلك فانفصل الفقه الشيعي عن الفقه السني.



كان يقول: في رأيي أنه يجب على علماء الشيعة أن يعرفوا آراء العامة إذ قد تجري بعض الحوادث التي يحتاجون فيها إليها، ويسبب لهم جهلهم بها مشكلة وللشيعة عموماً. وبهذه المناسبة ينقل هذه القصة:

في زمان صاحب (الجواهر) سبّ أحدُ الشيعة عائشة في مقهى في بغداد بمرأى ومسمع من الناس. نقل أهالي السنة الخبر لقضاتهم فحكموا عليه بالإعدام، وحيث أنَّ العراق كانت تابعة آنذاك للحكم العثماني كان من اللازم أن يُصادق المفتي العثماني في أسطنبول على الحكم. عندما رُفع إليه الأمر قال: لا بد أن يحضر أحد علماء الشيعة عند تنفيذ الحكم

لأن المتهم شيعي.

اتصل محافظ بغداد على حاكم النجف، وطلب منه أن يُرسل إليه الشيخ حسن. كان في النجف اثنان من العلماء الكبار بهذا الاسم هما: صاحب الجواهر والشيخ حسن كاشف الغطاء (الابن الأصغر للشيخ جعفر). نعم، كان الشيخ خضر شلال من علماء الدرجة الأولى لكنهم لم يذكروا اسمه.

ذهب حاكم النجف إلى صاحب الجواهر وأخبره بالأمر، فاستشار كاشف الغطاء فقال له: أنت زعيم المسلمين ولو أصاب سمعتك شيء ـ لا سمح الله ـ فإنه يضر بالإسلام، وأما أنا فالضرر يلحق بي وحدي فمقتضى الاحتياط أن أذهب أنا.



ذهب كاشف الغطاء بصحبة أحد المؤمنين إلى الكاظمين واستفسرا من بعض الشيعة فعرفا أن القضية هي الحكم بالإعدام على أحد الشيعة لأجل سب عائشة.

فذهب الشيخ إلى بغداد، وأُقيمت جلسة الحكم بمجرد وصوله. عندما دخل الشيخ إلى المجلس كان علماء السنة قد ملئوا المجلس فاضطر إلى الجلوس عند الباب. كتبوا حكم الإعدام وأخذوا في التوقيع عليه وكان محافظ بغداد موجودا. طلب منه الشيخ أن يحضر المتهم، ولما جاء، علّمه الشيخ صيغة التوبة وقال له: تب؛ فأعلن توبته.

في نقل السيّد جواد أن الشيخ توسل بأمير المؤمنين(ﷺ)، ربما شعر بالخطر عندما رآهم يمضون الحكم، فتوسل عند ذلك، فخطر في ذهنه مباشرة أن ابن الجنيد يقبل توبة المرتد الفطري. وخطر في ذهنه أيضًا أن آراء ابن الجنيد تتفق كثيرًا مع آراء أبي حنيفة. وشعر كأن أحدًا يشجعه على

قول ذلك. فقال: بما أن المذهب الرسمي للدولة ومذهب الخليفة هو الحنفي، وأبو حنيفة يرى لزوم استتابة المرتد قبل الحكم عليه، وقد صدر هذا الحكم بدون استتابة فلا اعتبار له.

أنكر القضاة ذلك، وأصر هو عليه، وقال: أحضروا الكتاب، فلما أحضروه تبين أن أبا حنيفة يرى شرطية الاستتابة. غضب المحافظ عند ذلك وخاطبهم قائلا: ألا تستحون؟! تأخذون مال الدولة ولا تعرفون أحكام مذهبكم؟! ويأتي الأخرون ليعلموكم؟! وقال للشيخ: تفضل شيخنا، فالجلوس عند الباب لا يناسبك. فمزَّق الشيخُ ورقتهم ورمى بها قائلا: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)، وجاء إلى المُحافظ فأجلسه إلى جانبه وبالغ في إكرامه وقال: أرجو أن تبقى لدينا لنستفيد من علمك. فقال له الشيخ: لا يمكنني البقاء أكثر. وقال: نحن تغلبنا عليهم في المحكمة، لكن هذا الشيعي سب عائشة في محضر جمع من العوام فلن يتركوه سالمًا فطلب من المحافظ تسليمه له فأخرجه من هناك، وقال له: لا تبق هنا، فإن في ذلك خطرًا عليك. فنجى ذلك المؤمن ببركة ذلك.





٢٤

سيد صدر الدين العاملي (قدس سره)

(ت ١٢٦٣ ق)

السيد صدر الدين رئيس الحوزة في قم في زمانه، كان ابن السيّد إسماعيل الذي كان مرجعًا أيضًا، وهو ابن السيّد صدر الدين الجد.

سمعتُ أن السيّد صدر الدين الجد لم تكن لديه مرجعية عامة بحسب الظاهر، بسبب عدم رغبته أو شيء آخر، لكن جميع المراجع كانوا يخضعون له بشكل عجيب، وخصائصه أيضًا كانت عجيبة كما سأذكر.



السيد حسن الصدر ـ صاحب (التكملة) ـ حفيد أخيه، فهو ابن السيّد هادي والسيد هادي ابن السيّد محمد علي أخي السيّد صدر الدين.

كتب في (التكملة): أنه ـ يعني السيّد صدر الدين ـ كتب حاشية على قطر الندى في السابعة من عمره، وفي سن الثانية عشرة حضر درس السيّد بحر العلوم، وينقل عنه هذا الكلام المميز: أني سافرت إلى العراق في سنة ١٢٠٥ حيث كان عمري ١٢ سنة. كان الوحيد البهبهاني في كربلاء مُصرًّا على حجية مطلق الظن، وفي نفس السنة حضرتُ درس السيّد بحر العلوم وكان السيّد يكتب الدرة النجفية ويعطيني إياها لأصححها أدبيًا!

عائلة الصدر

أشهر علماء هذه العائلة وأهمهم السيّد صدر الدين وإن كانت مرجعية السيّد إسماعيل أكبر من مرجعية أبيه. أبوه كان صاحب رسالة عملية لكنه

لم يكن مرجعًا عامًا. على سبيل المثال: السيّد محمد باقر حجة الإسلام اشترى له منزلًا وكان هو الذي ينفق عليه تقريبًا. كانا متعاصرين لكن حجة الإسلام كان أكبر سنًا. حجة الإسلام توفي في سنة ١٢٦٠ في الثاني من ربيع الثاني على الظاهر. السنة أكيدة لكن الشهر غير أكيد. صاحب (روضات الجنات) كتب أنه توفي في شهر ربيع الاول وهذا خطأ. فهو إما أن يكون قد توفي في ربيع الثاني أو جمادى الثانية. وأعتقد أنه في ربيع الثاني. وأما السيّد صدر الدين فقد توفي في أول صفر سنة ١٢٦٣. حجة الإسلام ولد في سنة ١١٧٥ والسيد صدر الدين ولد في سنة ١١٩٢ أو ١١٩٣. فحجة الإسلام أكبر سنًا وأكبر رئاسةً.



أبناء السيّد إسماعيل الصدر كلهم من الفضلاء والعلماء، أكبرهم السيّد محمد مهدي، وبعده السيّد صدر الدين، وبعده السيّد محمد جواد، وآخرهم السيّد حيدر أبو السيّد محمد باقر، والسيد إسماعيل الصدر.

٢٥

الشيخ الأنصاري (قدس سره)

(ت ١٢٨١ ق)

القول بالانسداد

لا يبعد أنَّ الشيخ الأنصاري كان قائلًا بالانسداد[1]، ولم يُصرح برأيه؛ لأن المسألة كانت مُعتركًا للآراء. لكن يمكن استشمام ذلك من خلال كلماته؛ لأنه في بحث (حجية خبر الواحد) يعتقد بحجية الخبر الاطمئناني، والأخبار الاطمئنانية كمية قليلة من مجموع أخبار الآحاد، فلا يمكن لها أن تحل العلم الإجمالي الكبير بالنسبة للتكاليف. ومن جهة أخرى يقول الشيخ في بحث الانسداد: المُهم هو أن نرى أن الأدلة المعتبرة الموجودة (ومنها الخبر الاطمئناني) هل تكفي لانحلال هذا العلم الإجمالي أو لا؟ من خلال ذلك يمكن أن يُقال بأن الشيخ كان يميل إلى القول بالانسداد.



المقارنة بين الكفاية والرسائل

بالنسبة لي فهم (الرسائل) أصعب من الكفاية. كنتُ أدرِس الكفاية من دون تحضير، لكن الرسائل كنت أتعب في التحضير لدرسه.

(١) الانسداد هو مبنى أصولي يرى عدم كفاية الأدلة الصحيحة المتوفرة لدينا لحل جميع المسائل الفقهية المبتلى بها، يُسمي ذلك انسداد باب العلم بالأحكام الشرعية، وبترتيب بعض المقدمات يتوصل إلى صحة الاعتماد على جميع الأدلة المظنونة الصحة، ولو لم يثبت اعتبارها.

المراجع قبل الشيخ وبعده

السيد حسين الكوه كمري توفي في سنة ١٢٩٩ قبل وفاة الميرزا بثلاث عشرة سنة. في زمان حياته لم يكن وضع الميرزا الشيرازي من الجهة المادية مثله، لكن بعد وفاته ازدادت أهمية مرجعية الميرزا إلى حد كبير. قبل الميرزا الشيرازي بقليل كان الشيخ راضي والشيخ مهدي كاشف الغطاء. كلاهما كان عربيًا، وكانا متقنين للفقه بشكل كبير. لكن الشيخ مهدي كان متقدمًا على الشيخ راضي من جهة الزعامة. فقه الشيخ راضي كان واضحا وعرفيا جدًّا[١].

قبل الشيخ راضي كان الشيخ الأنصاري والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط هما المرجعين. صاحب (الفصول) كان معاصرًا أيضًا للشيخ الأنصاري، لكنه متقدم عليه يسيرًا، مع ذلك كان الشيخ الأنصاري في زمان صاحب الفصول من الفحول، ولكنه كان معاصرًا أكثر لصاحب (الضوابط) وإن كان صاحب (الضوابط) قد برز قبل الشيخ بقليل. صاحب (الضوابط) كان بيانه جميلًا جدًّا، لكن (الفصول) أقوى من (الضوابط).



(١) سمعتُ من الميرزا أحمد الكفائي ـ ولا بد أنه ينقل عن أبيه الآخوند الخراساني ـ أن الشيخ راضي والميرزا الشيرازي اجتمعا في مجلس ما. أحد طلاب الميرزا أخذ يناقش الشيخ راضي في مسألة ما وكان الشيخ راضي يقول إن الأصلين في هذه المسألة متعارضان، فقال ذلك الطالب: شيخنا هذا الأصل سببي فلا يوجد تعارض. والشيخ راضي لا يقبل ذلك. وعندما رأى الميرزا أن الشيخ لا علم له بأصول الشيخ الأنصاري لأنه لم يحضر عند الشيخ ولم يدرس أصوله ـ ولكنه كان فقيها بارعا ـ أخذ الميرزا الشيرازي بتعداد موارد تقدم الأصل السببي على المسببي في كتب الفقهاء ففهم الشيخ، وقال عند ذلك للطالب مشيرًا للميرزا: تكلم كما يتكلم الفقهاء! شنهو سببي ومسببي؟!.

كذلك ينقل المرحوم الحاج السيّد حسين البرقعي القمي عن الشيخ الأراكي او شخص آخر (الشك مني) أن الميرزا الشيرازي سافر ذات مرة إلى مكة فحضر طلابه عند الشيخ راضي. كان الشيخ يطرح بحثا ويحقق فيه وفي آخر الدرس يقول: والعمدة في ذلك الإجماع. ويتكرر هذا المشهد في كل يوم وينتهي الدرس بالإجماع. (السيد).

الشيخ الأنصاري كان ينقل عن (الفصول) ويُشكل عليه، لكنه بحسب الظاهر لم يكن يهتم بالضوابط ولا يظهر من مؤلفاته أنه كان ناظرًا إلى آراء صاحب الضوابط.

أحد معاصري الشيخ كان سعيد العلماء، وكان متقدمًا على الشيخ علميًا. ومن القضايا التي تدل على الكمال المعنوي لصاحب الجواهر والشيخ وسعيد العلماء هذه القضية:

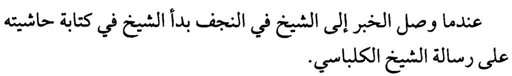
عندما كان صاحب الجواهر هو المرجع العام في التقليد ـ وكان الشيخ الأنصاري من الناحية العلمية في الدرجة الأولى وكان الكثير من أهل الخبرة يعتقدون بأعلميته بالنسبة إلى صاحب الجواهر (وهو أعلم منه قطعًا في الأصول) ـ لم يكن الشيخ يبرز نفسه، وعندما كانوا يرجعون إليه لأجل التقليد كان يُرجع إلى الآخرين. لم يكن الشيخ الأنصاري من أصحاب صاحب الجواهر، ولم يكن يعتد كثيرًا بعلمية صاحب الجواهر، ويُستفاد ذلك أيضًا من تعبيراته في المكاسب. ومع ملاحظة هذه الأمور فلا بد أن يكون صاحب الجواهر لا يُعتد به أيضًا، ولذلك لم يكن أصحاب صاحب الجواهر من العرب يتوقعون أن يختار بعده شخصًا ليس من أصحابه، وخصوصا أنه ليس عربيًا. لكن صاحب الجواهر رأى أن واجبه الشرعي هو طرح الشيخ الأنصاري ولذلك قال قبيل وفاته: اطلبوا من الشيخ مرتضى أن يأتي إليَ. فذهب أصحابه وأحضروا أحد العلماء العرب اسمه الشيخ مرتضى لأنهم يريدون المرجع عربيًا. فقال الشيخ صاحب الجواهر: لا قولوا للملا مرتضى الدزفولي الشوشتري بأن يأتي. وعندما جلس الشيخ إلى جانب صاحب الجواهر قال صاحب الجواهر مشيرًا إليه: من أراد النجاة فليتمسك بهذا الشيخ. ثم التفت إلى الشيخ وقال له: يا شيخ قلل من الاحتياطات فإن الشريعة سهلة.



بعد هذا الموقف تهيأت للشيخ الأنصاري جميع متطلبات المرجعية؛ لأن المرجع الأعلى طرحه، وكان هو مقبولًا للجميع من ناحيتي العلم والتقوى معًا، لكنه لم يُوافق على كتابة رسالة عملية.

وعندما أصروا عليه كثيرًا قال: سعيد العلماء أعلم مني وما دام هو موجودًا فلن أكتب رسالة عملية. في ذلك الوقت كان سعيد العلماء في بابل في مازندران، وفي ذلك الزمان يعني سنة ١٢٦٦ كان وصول الخبر من النجف إلى بابل يستغرق مدة طويلة. عندما وصل الخبر إلى سعيد العلماء قال: نعم أنا كنت متقدمًا على الشيخ في درس شريف العلماء، لكن الوضع اختلف الآن، أنا جئت إلى بابل فأخذ مستواي العلمي ينخفض يومًا بعد يوم، فلستُ سعيد العلماء السابق، والشيخ بقي في الحوزة العلمية يجالس العلماء فيرتفع مستواه يومًا بعد يوم فهو الآن ليس الشيخ مرتضى السابق. هو الآن أعلم مني لذلك يجب أن تقلدوه.





عندما وصل الخبر إلى الشيخ في النجف بدأ الشيخ في كتابة حاشيته على رسالة الشيخ الكلباسي.

الشيخ حسن كاشف الغطاء كان أيضًا مُعاصرًا لصاحب الجواهر، وكان هناك اختلاف في من هو الأعلم منهما؟ الشيخ حسن المامقاني كان يعتقد أن من يُقارن بين (أنوار الفقاهة) و(الجواهر) يؤمن بأعلمية كاشف الغطاء وأفقهيته. (أنوار الفقاهة) أقصر من (الجواهر) وهو ينقص كتابًا أو كتابين من كتب الفقه، لكنه يشتمل على الكتب المهمة. في زمان صاحب (الجواهر) كان صهره السيّد محمد الهندي ـ وهو تلميذه أيضًا ـ يرجع في التقليد إلى الشيخ حسن، وهذا يدل على أن أقرباء صاحب (الجواهر) لم يكن لديهم مشكلة في تقليد غيره، ما يكشف عن تقوى صاحب (الجواهر) أيضًا.

سعيد العلماء

بمناسبة الحديث عن سعيد العلماء من المناسب أن تنقل بعض القصص عن حياته.

ينقل الشيخ مهدي المازندراني أنّ الشيخ الأنصاري كان يقول: إني كنت أفكر لماذا حُرم السيّد سعيد العلماء من الإقامة في النجف مع مقامه العلمي العالي؟ وما هو الخطأ الذي ارتكبه حتى حُرم من ذلك وسكن في مازندران؟ كان هذا الأمر يراودني دائمًا، وكنت أتأسف لذلك حتى وقعت قضية البابية في مازندران، قام سعيد العلماء بمواجهتهم والقضاء عليهم، عند ذلك علمت أنَّ الله ادّخره لذلك اليوم.



وسمعتُ أيضًا من الشيخ مهدي المازندراني أنَّ سعيد العلماء اضطر أثناء فتنة البابية للاختفاء في بئر مدةً من الزمن؛ لأن البابية كانوا يبحثون عنه لقتله، بعد ذلك عندما تم القضاء عليهم ابتُلي سعيد العلماء بسبب رطوبة البئر التي أقام فيها بآلام الرجل، بحيث كانوا يضعون الجمر عند رجليه في فصل الصيف!

بحر العلم

كان الشيخ مهدي المازندراني ينقل عن الحاجي أشرفي الذي كان من علماء الدرجة الأولى، وله رسالة عملية، أنه قال: حضرتُ درس سعيد العلماء فلم يُعجبني، فقلتُ لأحد الأشخاص إني قررت أن لا أحضر درسه بعد اليوم.

بلغ كلامي إلى سعيد العلماء فأرسل لي: تعال غدًا إلى الدرس، في ذلك اليوم كنتُ في الدرس مثل الورقة التي تطيرها الريح هنا وهناك! عندما انتهى الدرس استدعاني سعيد العلماء وقال لي: إن درس الأمس

كان بحسب المستوى العام للطلبة ولم يكن هناك مجال للتعمق أكثر، لكني عندما سمعتُ أنك طالب فاضل ألقيتُ هذا الدرس لك.

الشيخ مهدي كان عمره عند وفاة الحاجي أشرفي ١٥ سنة، فينبغي أن يكون سمع هذه القضية بالواسطة.

أحفاد الشيخ

من المعروف أنَّ السيّد محمد علي سبط الشيخ هو حفيد الشيخ من ابنته، لكن السيّد النجفي الزنجاني كان يقول: إن السيّد محمد علي حفيد السيّد محمد طاهر صهر الشيخ وليس حفيد الشيخ؛ لأن السيّد محمد طاهر كانت لديه زوجتان إحداهما ابنة الشيخ التي يكون والدنا حفيدها، والأخرى ليست ابنة الشيخ، وهي جدة السيّد محمد علي. هكذا كان يقول السيّد النجفي الزنجاني، لكن السيّد السبط كان يعرِف نفسه بأنه حفيد الشيخ.



الحفيدُ الآخر للشيخ الذي لا شك في انتسابه إليه هو هذا السيّد النجفي الزنجاني ووالده الميرزا مهدي حفيد السيّد محمد طاهر[1].

---

(١) أحد أصهار السيّد محمد طاهر هو الميرزا أبو عبد الله الزنجاني. يوجد شخصان بهذا الاسم: أحدهما سيد والأخر ليس سيدا. غير السيّد هو صاحب تاريخ القرآن وهو أخو شيخ الإسلام الزنجاني وكان له ارتباط بعلماء مصر وقد ولد سنة ١٣٠٩. والميرزا أبو عبد الله الزنجاني السيّد هو الولد الثالث للميرزا أبو القاسم جد عائلة الميرزائي في زنجان. هذا الميرزا أبو عبد الله هو صهر السيّد محمد طاهر من ابنة الشيخ الأنصاري. الميرزا مهدي الزنجاني رئيس علماء زنجان ابن هذا الميرزا أبو عبد الله. الميرزا مهدي كان له ٣ أولاد من العلماء الكبار كنت على معرفة باثنين منهما أحدهما السيّد حسين المعروف بالنجفي والآخر السيّد أبو طالب الميرزائي. (رجب ١٤٣٢ ق).

أبعاد شخصية الشيخ الانصاري[١]

لم أكن أرغب في الحديث عن خاتمة المجتهدين الشيخ الأنصاري لأن معلوماتي خصوصًا بالنسبة إلى الشيخ قليلةً جدًّا ولا تساوي شيئًا. مثل الشيخ يجب أن يقوم بتعريفه شخص لديه اطلاع واسع جدا عنه. الشيخ ليس شخصية صغيرة حتى يمكن تعريفها بمعلومات مختصرة.

وعلى كل حال، فأنا أتحدث قليلًا عن الشيخ بما سمعتُ بعضه مسندًا، وبعضه الآخر كان معروفًا وسمعته من الألسنة.

للشيخ الأعظم الأنصاري أبعاد مختلفة: البُعد العلمي، وبُعد الزهد والتقوى، وبُعد السلوك والعرفان، والبُعد السياسي والاجتماعي.



البعد العلمي

منذ وفاة الشيخ إلى الآن مرت ١٣٣ سنة، وإذا افترضنا أن الشيخ قبل وفاته ب ٣٠ سنة كان مُدرسًا ممتازًا، فيكون قد مر على ذلك الزمان ١٦٠ سنة تقريبًا. طوال هذه المدة كانت كل الأفكار التي تطرح ويدور حولها البحث هي كلمات الشيخ، أو أنها مُستفادة من كلماته. هذا الأمر لا يقبل الإنكار فهو محسوس لنا جميعًا، وكل من يدخل إلى الحوزات العلمية يعرف ذلك. طوال هذه المدة تراكمت أفكار العلماء والفقهاء وتبودلت الأفكار ونضجت الآراء وتعدلت الكثير من النظريات ومع ذلك ـ مع مرور ١٦٠ سنة ـ لا تزال آراء الشيخ الفقهية والأصولية تحتل المقام الأول.

في الوقت الحاضر تحقيقات الشيخ في جميع المسائل تحقيقات من الدرجة الأولى. ولا يُقال إنه مع مرور ١٦٠ سنة فإن العلماء توصلوا إلى نظريات أفضل من الشيخ وصارت آراؤه الفقهية والأصولية قديمة، بل

(١) مقالات مؤتمر الشيخ الانصاري خريف ١٤١٤ ق.

على العكس من ذلك، يبدو أن الشيخ وصل إلى المرحلة النهائية وبعده بدأ التراجع. في هذه الأيام كنا نتباحث في موضوع التعادل والتراجيح فلاحظنا أن مطالب المتأخرين أقل مستوى من مطالب الشيخ، مع أن الشيخ طرح ذلك قبل ١٦٠ سنة وقد رأى المتأخرون آراءه.

هذا هو الأمر الذي نلمسه بأنفسنا وهناك شواهد نقلها العلماء حول الشيخ وسمعناها فننقلها.

سمعت المرحوم السيّد حاج روح الله الخاتمي الأردكاني، إمام جمعة يزد، ينقل عن السيّد علي النجف آبادي ـ الساكن في أصفهان والذي كان من علماء الدرجة الأولى ـ يقول: إن آراء الميرزا محمد تقي الشيرازي أقرب إلى آراء الشيخ الأنصاري من آراء الآخوند الخراساني والسيد اليزدي. فهؤلاء الثلاثة قد علقوا على (المكاسب) لكن آراء الميرزا محمد تقي أقرب إلى مباني الشيخ. والسرُّ في هذا التفاوت أن الميرزا محمد تقي كان من تلامذة الميرزا الشيرازي الكبير في سامراء، بينما كان الآخوند والسيد اليزدي من تلامذته في النجف، وعندما هاجر الميرزا إلى سامراء سنة ١٣٩١ لم يهاجروا معه. كان الميرزا في أوائل الأمر يناقش نظريات الشيخ، لكنه رجع بعد ذلك وصارت آراؤه أقرب إلى أستاذه، ولذلك صارت آراء الميرزا محمد تقي تبعًا لأستاذه في هذه المرحلة أقرب إلى الشيخ. وأما الآخوند والسيد فلم يحضرا مرحلة تكامل الميرزا وعدوله عن مبانيه السابقة.



وقد نقلت هذا المطلب للسيد رضي الشيرازي ـ وهو حفيد الميرزا الشيرازي من كبار علماء طهران ـ فقال: كان الميرزا يبحث في مسألة معينة طيلة الأسبوع وينهيها مخالفًا للشيخ الأنصاري، لكنه في يوم السبت ـ بدل أن يبدأ بحثًا جديدًا ـ يقول: نحن اخترنا رأيًا مخالفًا للشيخ، لكننا

الآن نرى أنه لا يمكن العدول عن رأي الشيخ. ويقول للطلاب أيضًا: أنتم لم تدركوا الشيخ ورأيتم كتبه فقط. نحن أدركنا حياة الشيخ أيضًا ونعلم أن الشيخ ليس شخصًا يمكن العدول بسهولة عن آرائه.

فكان أمثال الميرزا الشيرازي، وهو من نوابغ العلم ومن مفكري الدرجة الأولى، يخضعون أمام المقام العلمي للشيخ.

■ **سؤال: هل حواشي الميرزا الشيرازي على كتب الشيخ الأنصاري موجودة؟**

لا. لأن الميرزا أمر أن تُلقى جميع كتاباته في الشط وتتلف. كان لا يسمح بطبعها لأنه كان كثيرا ما يتجدد رأيه. نعم، بقيت بعض تقريرات دروس الميرزا، وقد طرح طلابه كثيرًا من المطالب هي له في الواقع.



هذه القضايا التي سمعتها بالسند.

ومن المطالب المشهورة أن الميرزا الشيرازي كان قد درس في أصفهان عند الشيخ محمد تقي صاحب (الحاشية)، ثم جاء إلى النجف فحضر درس صاحب (الجواهر) لكنه لم يقنعه. وكأنه حضر الدرس العام للشيخ الأنصاري بإشارة بعض أهل العلم ولم يقنعه أيضًا، فقرر العودة. قالوا للشيخ: هذا الطالب شخص فاضل، ولم يقتنع بدرسك، وقد قرر العودة! فقال الشيخ: قولوا له يجيء لأراه.

جاء الميرزا لزيارة الشيخ، فطرح الشيخُ مسألة تتعلق ببيع الفضولي، وسأل الميرزا عن رأيه فيها. أجاب الميرزا، فقال له الشيخ مثلًا: لو قلنا بالكشف بهذا البيان فما رأيك؟ أجاب الميرزا: كلام صحيح. فقال الشيخ: لكن فيه إشكالًا وهو كذا. فقال الميرزا: نعم، الإشكال وارد. بعد ذلك قال الشيخ: إذا أجبنا عن الإشكال بهذا الجواب فكيف؟ فرأى

الميرزا أن الجواب مقنع أيضًا. فأشكل الشيخ مرة أخرى على الجواب ووجد الميرزا أن الإشكال صحيح. استمر ذلك إلى سبع مرات يستدل فيها الشيخ ثم يشكل، وفي جميعها كان الميرزا على نبوغه وفهمه يوافق الشيخ. وجد الميرزا أن الشيخ أستاذ لا يمكن التفريط فيه، وكذلك رأى الشيخ فضل الميرزا فقال له: احضر في الدرس الخاص. فحضر الميرزا في ذلك الدرس، فوجد الشيخ بحرًا من العلم والفكر. وقال له الشيخ: ذلك الدرس كان درسًا عامًا أدرِس فيه وفقا للمستوى العام. لكن هذا درس خاص، ولذلك يختلف المستويان.

وعلى كل حال فتفوق الشيخ علميًا في القرن والنصف الأخير أمر متفق عليه. قارنوا كتاب (الرسائل) بالكتب الأخرى ولاحظوا مستوى الفكر الرفيع. لاحظوا مسألة الانسداد. إنها مذهلة واقعًا. لقد قرأتُ بحث الانسداد عدة مرات وبحثتُ فيه، لكني كلما عدت إليه أحس أن فيه كلامًا جديدًا لم نسمعه من قبل. ما قيل في الشيخ: آية الله الباري الشيخ مرتضى الأنصاري يليق به واقعًا على وجه الاستحقاق.



سمعتُ من المرحوم الوالد: إن الشيخ عبد الكريم الحائري كان قد أشكل على الشيخ في درسه بعض الإشكالات، لكنه رجع عنها بعد عدة سنوات. وكان يقول: عندما كنا لم ينبت لنا ضرس العقل بعدُ أشكلنا على الشيخ إشكالات، لكننا التفتنا بعد ذلك إلى أنها ليست واردة على الشيخ.

هو الشيخ على الإطلاق ولا يستطيع أحد أن ينكر المقام العلمي للشيخ. كان الشيخ في الدرجة الأولى فقهًا وأصولًا، وله تأسيسات كثيرة في الرسائل والمكاسب. لا علاقة لنا بسائر العلوم. في الفقه والأصول لا يوجد من هو أفضل من الشيخ.

■ **ما المقصود بقولهم: شيخ المتأخرين؟**

هذا التعبير في مقابل التعبير عن الشيخ الطوسي بالشيخ عند القدماء، فيطلق على الشيخ الأنصاري الشيخ بالنسبة إلى المتأخرين.

■ **هل يعتبر الشيخ صاحب منهج في الفقه والأصول؟**

لا شك في أن الشيخ صاحب منهج، خصوصًا في الأصول. هناك تفاوت كبير بين الأصول قبل الشيخ وبعده. في الفقه تحقيقات الشيخ رفيعة المستوى. وأما في الأصول فهو مؤسس حقًا.

للشيخ الأنصاري حقٌّ عظيم على جميع الحوزات العلمية والمجتهدين من بعده. ولا يمكنكم أن تجدوا كتابا في ال ١٥٠ سنة الأخيرة لم يتأثر بنظريات الشيخ.



■ **ما هي ابتكارات الشيخ في الأصول؟**

ابتكارات الشيخ في الأصول كثيرة: الأصل السببي والمسببي، وفي الأصل المثبت، وفي الاستصحاب التعليقي، وفي الاشتغال. وفي كل بحث له ابتكار فابتكاراته كثيرة بحيث لا يمكن فهرستها.

زهد الشيخ وتقواه

قصة مرجعية الشيخ كافية في زهده وتقواه[١].

وهناك موقف آخر سمعته من السيّد محمد علي السبط (ت ١٣٦٦ ق) في طهران، ولم يذكر السند، لكنه حفيد الشيخ. يقول:

ذات مرة عطّل الشيخ درسه، فانزعج الطلابُ من التعطيل في غير وقته لحرمانهم من عطاء الشيخ. كان هناك شخصان مقربان من الشيخ بحيث لا يُردّ كلامهما وهما: السيّد علي الشوشتري والميرزا الشيرازي. وجد

(١) تقدمت هذه القصة عند الحديث عن صاحب الجواهر.

الطلاب أنَّ من المناسب أن يذهبوا للميرزا ويطلبوا منه أن يقنع الشيخ بالحضور للدرس من جديد. ذهب الميرزا للشيخ وقال له: وجودكم الشريف سالم ـ ولله الحمد ـ وليس هذا وقت عطلة، فلماذا انقطعتم عن الدرس؟

أجاب الشيخ: مكتوباتي وصلت إلى أحد العلماء فقرأها، وكتب عليها تعليقات وأرسلها لي. قرأت النقد والملاحظات فوجدتها لا ترتبط بكلامي أصلًا. فأخذت أفكر: لعل الإشكالات التي نوردها على العلماء السابقين من هذا القبيل. ربما لو كان المحقق والعلامة وأمثالهما أحياء لقالوا لنا: إشكالاتكم غير واردة. ما نقصده غير ما تنفونه، حيث إن المصطلحات تتغير بمرور الزمان لكن الإنسان يحمل الكلام على المصطلح الذي يعرفه مع أنه ربما يكون له معنى آخر في الواقع.



بالنتيجة قال الشيخ: ربما تكون ملاحظاتنا على السابقين مثل ملاحظات ذلك العالم، ونحن نحاكم هؤلاء العظماء كل يوم فأخاف أن أكون قد ظلمتهم، وهم ليسوا موجودين حتى يدافعوا عن أنفسهم. درَسنا بالمقدار الذي يقوي مستوى الطلبة ويفتح أذهانهم، وهذا يكفي وأما الأكثر من ذلك فقد يكون فيه مسؤولية شرعية.

قال الميرزا: إن بينكم وبين ذلك العالم فرقًا، ذلك العالم قرأ كلامكم وتأمل فيه لوحده فبدا له أن فيه إشكالًا فأرسل إليكم. وأما أنت فتفكر لمدة طويلة ثم تطرح إشكالاتك في مجمع المجتهدين ـ وبدأ الميرزا يعدد أسماء المجتهدين من طلبة الشيخ ـ وهؤلاء المجتهدون كلهم يدافعون عن أولئك العلماء الغائبين، كلهم يفكرون من أجل أن يدافعوا عن الماضين إذا كان في إشكالاتكم نقطة ضعف. وإذا تمت الموافقة على إشكال ما فلم تمضه أنت فقط، بل أمضاه جميع أولئك المجتهدين.

قال الشيخ: نعم، هذا الفرق موجود. سوف آتي غدًا للدرس.

دققوا في هذه القصة. هذا الأمر مهمٌ جدًّا أنه: (قد يكون قد حصل ظلم من قبلنا للآخرين). ما لم يكن الإنسان أرفع بكثير من المستوى العادي فإنه لا يصل إليه.

كان زهد الشيخ وورعه قد بلغ حدًا ـ كما سمعت ـ يُضرب به المثل بين أبناء المذاهب الأخرى.

وهناك مطالب كثيرة بالنسبة إلى الشيخ، فقد سمعتُ من بعض كبار العلماء أنه في آخر حياة صاحب (الجواهر) كان الكثير من الخواص يعتقدون بتقدم الشيخ الأنصاري عليه. وهذا أمر لا شك فيه من عدة جهات، فإنَّ الشيخ مُقدم قطعًا على صاحب (الجواهر) في الأصول، بل لا تصح المقارنة بينهما فالفرق كبير جدا. وكذلك فإن الشيخ مقدم قطعًا على صاحب الجواهر في الجهات الفكرية في الفقه وقوة الاستدلال. ومع أن الكثير من الخواص كانوا يعتقدون بتقدمه ويصرون عليه بأن يكتب رسالة عملية، لكنه يقول: صاحب الجواهر موجود. ولا يسمح لنفسه أن يظهر أمام صاحب الجواهر، وهذا يدل على عقل وتقوى يقل نظيرهما. قد يكون العقل استثنائيًا لكن إذا لم تكن التقوى رفيعة المستوى فإن الإنسان لا يعتني بكلام العقل ويقول: مع هذا المستوى العلمي لماذا لا أظهر نفسي؟



من القصص التي تدل على تقوى الشيخ، وتدل أيضًا على حسن تدبيره واهتمامه بقضايا الشيعة: ما سمعته من أن أحد أعيان طهران من أهل البلاط ذهب لزيارة الشيخ، فلما رأى حالة منزله وزهده أخذ ينتقد الملا علي كني ويقول: إنه صاحب أموال وأنت تختلف عنه كثيرًا. انزعج الشيخ من هذا الكلام وقال: يجب عليك الاستغفار من هذا الكلام. إن بيني وبينه

بونًا شاسعًا، أنا أعيش مع طلاب العلم، فلو عشت حياة مرفهة فستصعب على الطالب الدراسة ولن يشتغل بها، فيجب عليَ أن أعيش الحياة التي تتناسب مع حياتهم، وأما الملا علي كني فارتباطه بالأمراء والسلاطين وأمثالكم، فيجب أن يعيش كذلك، ولو عاش هو بمثل حياتي لكان خطأ، ولو عشتُ بمثل حياته لكان خطأ كذلك، يجب عليك أن تستغفر الله من سوء الظن والإهانة التي وجهتها إلى شخصية عظيمة.

وكذلك كان الشيخ زاهدًا في المال، فكان لا يأخذ من الحقوق الشرعية أكثر مما يأخذه أقل الطلبة بالرغم من الثروة الطائلة التي كانت تصل إليه. كان يأمر باختيار أرخص الأشياء لشراء حاجات المنزل. لم يكن يقول: أنا رئيس كبير فيجب أن أكون مرفهًا. لم يكن لهذا الكلام وجود في مؤسسة الشيخ. وقد سرَت هذه الحالة إلى المقربين منه، فقد كان له خادم اسمه رحمة الله، وكان مثل الشيخ.



بُعد السلوك والعرفان

يُمكن معرفة مقام الشيخ من هذه القصة التي نُقلت في بعض الكتب عن الشاعر وفائي.

يقول: توسلتُ بالإمام الرضا(عليه السلام) في مشهد ليدلني على مرشد معنوي أهتدي بهداه. وفي حالةٍ خاصة ألقي في روعي أنَّ مرشدك في النجف، (لا أدري هل كانت في النوم أو بين النوم واليقظة او غير ذلك).

ظنَّ الشاعر أن المقصود بذلك أحد كبار الصوفية البكتاشية الذي كان له نشاط آنذاك في النجف. فذهب إلى النجف ودخلها ليلًا، وذهب عند السحر إلى الحمام ليغتسل ويذهب لزيارة الإمام(عليه السلام)، ثم يذهب إلى ذلك المرشد ليبدأ تصفية باطنه على يديه. قُبيل أذان الصبح مرّ ببيت

السيّد علي الشوشتري، ففُتح الباب، وقال له الخادم: إن السيّد يريدك. دخل وفائي البيت فقال له السيد: إن مرشدك هو الشيخ الأنصاري، فبدأ اتصاله بالشيخ على أثر هذا الموقف.

وهناك قصةٌ أخرى تُنقل عن الارتباط بين الشيخ والسيد علي الشوشتري وتبين المقام المعنوي للشيخ:

نقلوا أن الشيخ الأنصاري كان مع السيّد علي الشوشتري في طريق كربلاء. كانا يعبران الشط، وكان في القارب رجل يزاحم الشيخ ويتعمد دفعه في المكان الضيق، لكن الشيخ بقي ساكتًا لا يتكلم. فقال له السيد: اعترض عليه بشيء! لكنه بقي صامتًا. أخذ ذلك الرجل يواصل مضايقته وإهانته للشيخ، وعندما اقتربوا من الساحل المقصود اسودّ ذلك الرجل فجأة ومات! فقال له السيد: هذا ما كنت أخافه. طلبت منك أن تعترض عليه حتى يخفف ذلك من جرمه ولا يبتلى بهذه العاقبة!



كان الشيخ يستمع مرة في الأسبوع لنصائح السيّد علي وكلماته الأخلاقية بشكل خاص.

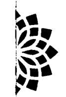
فكان الشيخ من ناحية المعرفة أيضًا من النوادر وعلى مرتبة قليلة النظير.

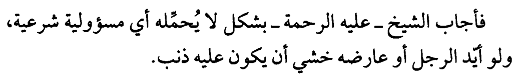
البُعد السياسي والاجتماعي

كانت في الهند موقوفةٌ للعلماء الساكنين في العراق، بحيث يصرفون ريعها ظاهرًا في نفقات الحوزة العلمية. جاؤوا بأموال هذه الموقوفة للشيخ، فالتفت الشيخُ إلى أنها كانت بيد الإنجليز؛ لأن الهند كانت محتلة في ذلك الزمان من قبلهم، فرفض استلامها في حين قبلها بعض العلماء الآخرين. كان الشيخ حريصًا على حفظ سمعة المجتمع الشيعي فخشي

أن يُسبب قبوله لأموال الموقوفة مشكلة باعتبارها من أيدي البريطانيين فلم يقبلها.

وقصة أخرى تعكس حسن تدبير الشيخ وسياسته من ناحية، كما تعكس تقواه من ناحية أخرى، حيث أن كلا الأمرين دخيل فيها. وهي قصة الاستفتاء الذي وُجِه إلى الشيخ حول وضع الشاعر المعروف مولوي من حيث العقيدة والفكر. أراد الشيخ أن يجيب بحسب القواعد فكتب في الجواب كما سمعت: لقد قرأت كتاب هذا الرجل قليلًا، واطلعت على بعض مواضيعه في أيام الشباب. وقد بقي في خاطري بيت من أبياته يقول فيه: إن الجميع يتخيلون أنهم أصدقائي في حين أن أحدًا لم يطلع على ما بداخلي من أسرار. فإذا كان معاصروه ـ كما يقول ـ لا يعلمون ما هو فكيف أستطيع أنا بعد ٦٠٠ سنة أن أحكم عليه؟





فأجاب الشيخ ـ عليه الرحمة ـ بشكل لا يُحمِّله أي مسؤولية شرعية، ولو أيّد الرجل أو عارضه خشي أن يكون عليه ذنب.

وكانت للشيخ مزحات جميلة مع المحافظة على الوقار وبأسلوب خاص.

يقولون إن الفاضل الدربندي، الذي كان معاصرًا للشيخ وزميلًا له في درس شريف العلماء ـ وهو عالم جليل، لكنه بسيط، وكان يعتقد أنه أعلم من الشيخ ـ قال للشيخ ذات مرة في حرم أمير المؤمنين (ﷺ): أقسم بالله (أو بصاحب هذه القبة) أني أعلم منك! فقال له الشيخ: شيخنا لماذا تقسم أنت؟ القسم وظيفة المنكر وليس المدعي!

آثار الشيخ

■ يبدو من خلال ملاحظة كتاب (الرسائل) أنّه ألَّف على فترات،

فهل هذا صحيح؟

نعم، من النكات اللافتة للنظر في هذا الكتاب هذا الأمر، وأنَّ الشيخ كان يُعيد النظر فيه كثيرًا، لأن تفكيره كان متجددًا. كان قد دفع الكتاب إلى الميرزا الشيرازي ليُصلحه، وهذه علامة على الاعتماد الكبير من الشيخ على الميرزا. وقد أمر أن يطبع بتصحيحات الميرزا، وربما حصل هذا الأمر في بعض طبعات الدورة الأولى. أصح النسخ هي التي طبعت بتصحيح الميرزا.

سمعتُ أحد العلماء يقول: للشيخ في باب الاشتغال إشكالات وأجوبة كثيرة يذكرها بقوله: إن قلتَ قلتُ، لكنها أحيانا لا تتلاءم مع بعضها. يقول ذلك العالم: وقد وجدتُ في حاشية (الأوثق) أو حاشية (الآشتياني) أنَّ السبب في ذلك أن الإشكال كُتب في زمان والجواب في زمان آخر.



كان يجب أن يُحذف الإشكال والجواب المتعلقين بالزمان السابق معًا، ويُطرح الإشكال والجواب الجديدان. لكن حصل خطأ في ذلك، فكان الإشكال لا يتناسب مع الجواب لأن كلًا منهما كتب في زمان مختلف.

كان هذا العالم ينقل ذلك عن إحدى الحاشيتين المذكورتين على الترديد في باب الاشتغال. لكني لم أجده في أي منهما ووجدته أثناء مطالعتي لحاشية (الأوثق) في باب الانسداد.

- **ألا يبدو أن ترتيب المباحث في الكتاب ليس منطقيًا أحيانًا وأنه يحتاج إلى تهذيب؟**

هذه خاصية التأسيس. فالشيخ مُؤسس بمعنى؛ أنه أول من جاء بهذه البحوث، فلذلك يحتاج كتابه إلى تحرير وإعادة صياغة. كما قام الشيخ

نصير الدين الطوسي بتحرير كتب العلماء السابقين، فألّف كتبًا قيمةً تزيد قيمتها على الأصل. كان الشيخ الطوسي مناسبًا للتحرير، لكن الشيخ الأنصاري لم يأت بعده من يحرر كلماته.

■ سؤال: الرسائل والكفاية هما الكتابان الدراسيان في السطوح العليا للحوزة في أصول الفقه فأيهما ترجحون من جهة الدقة والإتقان؟

أنا لا أستطيع الآن أن أقوم بمقارنة عامة فالبحوث مختلفة المستوى.

بحث القطع في الكفاية أكمل من الرسائل، ولا يبعد أنه مأخوذ من تحقيقات الميرزا الشيرازي. الظاهر أن كثيرًا من مطالب الكفاية مستفادة من كلمات الميرزا.



وبشكل عام يبدو لي أن الرسائل أقوى من حيث المجموع، ولكن بعض مباحث الكفاية أكثر فنيةً ونضجًا، كما في: بحث الأصل المثبت وبعض تنبيهات الاستصحاب على سبيل المثال.

■ سؤال: كُتبت شروح كثيرة على كتاب الرسائل نظرًا لأهميته قد تقرب من ١٠٠ شرح، فأيها أفضل في رأيكم الكريم في بيان كلمات الشيخ وتوضيحها؟

في رأيي أفضل الشروح شرح الشيخ آغا رضا الهمداني. في أحد المواضع يشرح كلمات الشيخ شرحًا قويًا وفي مستوى المحققين. لكن حواشيه ليست كثيرة. نعم حواشي الميرزا الآشتياني تعد أقوى من جهةٍ؛ لأنه شرح الكثير من المطالب التي لم يشرحها الآغا رضا. وأما المواضع التي شرحها الآغا رضا كان شرحه فيها أفضل.

أفضل الحواشي للطلاب المتوسطين (أوثق الوسائل)، وللمبتدئين

(قلائد الفرائد) الذي هو شرح سهل ومختصر وقد فهم الشارح كلام الشيخ. الشيخ الحاج آغا رضا أو الآخوند فهما مطالب الشيخ بشكل أعمق، لكن كتاب القلائد يفيد المبتدئين.

■ **سؤال: ما هي الحاشية التي توصون بها من أجل تحقيق كلمات الشيخ؟**

بالنسبة إلى تحقيق المطالب الجزئية والتفصيلية الميرزا الآشتياني بيّنها بشكل ممتاز، لكن بيان الآخوند والآغا رضا للمطالب الأصلية أفضل في نظري.

■ **سؤال: بالنسبة إلى شروح كتاب المكاسب وحواشيه ما رأيكم؟**



أفضل الحواشي من جهة التحقيق حاشية المرحوم الآخوند، فهي مفيدة جدًّا في تحقيق لب المطالب. ومن جهة التدقيق يتقدم الميرزا محمد تقي الشيرازي على الجميع؛ لأنه بيّن تفاصيل المطالب بشكل ممتاز جدًا. لكن أفضل الحواشي وأجمعها بشكل عام هي حاشية المرحوم السيّد محمد كاظم اليزدي؛ لأنه علَق على أكثر المطالب وهو مقدَم على الأخرين في التتبع بلا إشكال. إضافةً إلى كون حاشية السيّد كتابًا تحقيقيًا فيه نكات فقهية قوية فقد نقل الروايات والأقوال بشكل صحيح ومرتب، وهو يحيط بكلمات العلماء بالمقدار الكافي.

■ **سؤال: ماذا عن حاشية المرحوم الأيرواني؟**

مراجعتي لحاشية المرحوم الأيرواني كانت قليلة. هو أيضًا من أهل النظر في المطالب، لكن حاشيته ليست في مستوى الحواشي المذكورة من ناحية الإتقان والإحاطة الفقهية أو القوة الفكرية. نعم المرحوم الأيرواني كان صاحب فكر سيَال، ولديه التفاتات كثيرة. لكن الشخص

العميق والمفكر يستطيع أن يجيب على إشكالاته.

■ **سؤال: تقريرات دروس الشيخ أيها أفضل؟**

أنا لم أر كتبًا تحمل عنوان التقرير. نعم رأيت مطارح الأنظار وقوامع الفضول. الفضلاء يميلون إلى المطارح أكثر. وفي آخر المطارح المطبوع بحثان في تقليد الميت وتقليد الأعلم بقلم مُقرِّر آخر غير السيّد كلانتر، لكنها لا تقل مستوى عن تقريرات كلانتر.

علاقته بمعاصريه

■ **سـؤال: إذا كان لدى جنابكم الكريم حديث حول علاقة الشيخ بمعاصريه وخصوصا الفاضل الأردكاني فتفضلوا ببيانه.**



نقل أحد العلماء أن الفاضل الأردكاني عندما جاء إلى النجف حضر تشييع جنازة، وكان المنزل الذي تخرج منه الجنازة صغيرًا جدًا فجلس هو والشيخ الأنصاي في الطريق ينتظران خروج الجنازة.

كان الفاضل متجافيًا عن الأرض على كبر سنه، والشيخ جالس على الأرض. فسأله الشيخ: لماذا لا تجلس على الأرض؟ قال الفاضل الذي كان من الزهاد: هذا اللباس من سهم الإمام(ﷺ) وإذا جلستُ على الأرض اتسخ، فإذا غسل بالماء والصابون يصبح أكثر قابلية للتمزق. ومال الإمام(ﷺ) لا يجوز التصرف فيه إلا بعد اليقين بإحراز رضاه، وأنا لا أتيقن برضاه في هذا المورد ولذلك جلست متجافيًا. جرى النقاش بينهما حول ذلك بعض الوقت، وأثناء النقاش رأوا الشيخ قد تجافى في جلسته ... ويُقال: إنه لم يجلس على الارض إلى آخر عمره.

والموقف الآخر أني سمعت أن الميرزا الشيرازي كان يحضر درس الفاضل الأردكاني ـ ربما يكون الشيخ قد أرسله ـ فقام الفاضل الأردكاني

ذات مرة بطرح كلام للشيخ حول استصحاب الكلي من القسم الثالث وأشكل عليه. طرح الميرزا الإشكال على الشيخ وهما في الطريق من النجف إلى كربلاء، ففكر الشيخ في الجواب عليه طوال الطريق لكنه لم يجد جوابًا، فوافق على الإشكال. في كتاب (الرسائل) في هذا المبحث أن العرف يرى استصحاب الكلي من استصحاب الفرد عرفًا وإن كان كليًا بالدقة العقلية مع فرض وجود الكلي في الزمان الثاني وقد تحول الفرد إلى فرد آخر. يقولون إن هذا المطلب من كلام الفاضل الأردكاني. كان الفاضل استثنائيًا في قدرته العلمية، وقد وافق الشيخ عليه لأنه كان يقبل الحق. هذا الفاضل هو الذي يقول عن الشيخ أن كلماته مثل المسمار.



طلاب الشيخ

- **من هو الأفضل من طلاب الشيخ؟**

الذي يُفهم من النقول التاريخية أن الطلبة المبرزين للشيخ في الدرجة الأولى أربعة: الميرزا الشيرازي والميرزا الرشتي والشيخ حسن النجم آبادي والسيد حسين الكوه كمري.

ينقلون أن السيّد حسين الكوه كمري كان يدرِّس مجموعة من الطلاب قبل درس الشيخ يوميًا. ذات يوم جاء مبكِرًا وكان الشيخ يدرس خارج الأصول على كتاب القوانين (حيث كان القوانين يدرس في الخارج قبل الرسائل). رأى السيّد شيخًا جالسًا يدرس بعض الطلبة فيبين كلام صاحب القوانين بدقة، ثم يشكل عليه بقوة. جاء في اليوم التالي مبكرًا أكثر حتى يرى من هو هذا الشيخ فرآه يطرح كلام صاحب القوانين ويشكل عليه أيضًا بقوة. استمر على هذا المنوال عدة أيام، فوجد مستوى الشيخ أعلى بكثير من مستواه فطلب منه أن يأتي لتدريسه هو وطلابه وصار الشيخ يدرّسهم. فالسيد أحد طلبة الشيخ المبرزين، وقد بدأت مرجعية الميرزا

الشيرازي المطلقة بعد وفاته.

ذهب الميرزا الشيرازي إلى سامراء سنة ١٢٩١، وتوفي السيّد حسين الكوه كمري في سنة ١٢٩٩. يكتب المرحوم الشيخ آغا بزرك في كتابه (نقباء البشر): إني سمعت من جمع من أعاظم المشايخ أن الشيخ كان يقول كرارًا: إني أباحث لثلاثة: الميرزا محمد حسن الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي والآغا حسن الطهراني.

لم يذكر اسم السيّد حسين، ولعله لم يستمر في حضور الدرس بسبب كبر السن. فهؤلاء الأربعة هم تلامذة الشيخ في الدرجة الأولى دون أي ترديد.



■ **سؤال: ماذا عن السيّد علي الشوشتري؟**

ربما كان السيّد علي نفسه لا يريد من الشيخ أن يطرح اسمه. وربما كان السيّد غالبا يرى نفسه مستغنيًا عن علم الشيخ، وإنما يحضر الدرس احترامًا ومحبةً للشيخ. فاهتمام الشيخ في الجانب التعليمي كان منصبًا على هؤلاء الثلاثة. ويبدو أن الشيخ حسن الطهراني مقدم على الميرزايين.

رأيت في مقدمة (تحرير العقلاء) لأبي الحسن فروغي أنَّ العلماء عقدوا اجتماعًا بعد وفاة الشيخ لتعيين مرجع التقليد، فاتفقت آراؤهم على اختيار الشيخ حسن، لكنه قال: أنا لا أمتلك المؤهلات لحمل هذا العبء الثقيل، والذي أراه صالحًا للمرجعية من جميع الجهات هو الميرزا الشيرازي. فوافقه الآخرون، والتفت إلى الميرزا قائلا: أنا مستعد لمساعدتك في أجوبة المسائل الشرعية لكن الزعامة يجب أن تكون بيدك.

■ **سؤال: يقال إن الشيخ كانت له عناية خاصة بالميرزا الشيرازي، ماذا تقولون بهذا الصدد؟**

نعم، علاقة الشيخ والميرزا تتضح من نفس القصة التي نقلتها عن تعطيل درس الشيخ في غير وقته، حيث أنه كان يعتد به من الناحية العلمية ومن ناحية التقوى ونية الخير. ولا يوجد دليل أكبر من أن الشيخ يعطي الميرزا كتاب الرسائل لتصحيحه بالرغم من تشكيكاته الكثيرة في المطالب العلمية.

ينقل السيّد عز الدين الزنجاني ـ المقيم في مشهد ـ عن والده يقول: ذات يوم ذهبت إلى بيت السيّد أحمد السبط. فقال لي: هل تحب أن ترى كتاب الرسائل بخط الشيخ؟ قلت: نعم، بمنتهى الرغبة! فأحضر الكتاب فرأيت في بعض المواضع السطر والسطرين ـ وأحيانًا أكثر ـ ممحوةً ومكتوبةً في الحاشية بخط ممتاز جدًا، فقال السيّد أحمد: هذا خط الميرزا الشيرازي، حيث صحَح الرسائل بهذا الشكل، وقد أمر الشيخ بطباعتها بناء على هذه النسخة المصححة.



ويقول الشيخ محمد علي الكاظمي في بحث أصالة الصحة من تقريرات الميرزا النائيني رحمه الله (فوائد الأصول ج٤ ص٦٧): النسخ في هذا المقلم مختلفة ففي بعضها كلام الشيخ في المتن وكلام الميزا في الحاشية، وفي بعضها بالعكس، وفي بعضها كلاهما في المتن.

يقول: في النسخة المصححة كلام الشيخ في الحاشية وكلام الميرزا في المتن.

- **نشكركم كثيرًا على إعطائنا هذه الفرصة من وقتكم وآخر سؤال نطرحه: ما هي التحقيقات التي ترون من المناسب أن يتم عملها حول كتب الشيخ؟**

أتصور أن من المناسب أن نقوم بالمقارنة بين بحوث (الرسائل) وبين

الكتب المتقدمة، لنرى حجم المطالب الجديدة التي طرحها الشيخ. مثلا: بحثَ الشيخ مسألة الشبهة المحصورة في حوالي ٣٠ صفحة في حين أن جميع المطالب المتقدمة في هذا الموضوع لا تتجاوز الصفحتين أو الثلاث. إذا قارنا الرسائل بالكتب المتقدمة مثل (القوانين) و(الفصول) و(حاشية الشيخ محمد تقي) يتبين بشكل واضح دور الشيخ التأسيسي في هذا المجال. نعم عمدة تحقيقات الشيخ كانت في المباحث العقلية للأصول، وأما المباحث اللفظية فقد سمعت أنه كان يعتمد كثيرًا على الشيخ محمد تقي[١].

كرامة للشيخ



كان الشيخ محمود الميثمي العراقي مؤلف كتاب (دار السلام) تلميذًا للشيخ الأنصاري. وقد كتب تقريرات درسه الأصولي تحت عنوان (قوامع الفضول عن وجه حقائق الأصول).

نقل الشيخ محمود في كتابه عن الميرزا حبيب الله الرشتي عن ابن السيّد علي الشوشتري قوله: إن الوباء شاع ذات مرة في النجف فأصيب به والدي في الليل فجأة، وساءت حاله كثيرًا! فقررنا أن نخبر الشيخ الأنصاري حتى لا يؤاخذنا غدًا بسبب عدم إخباره. أشعلنا الفانوس حتى نذهب إليه، فانتبه الوالد وسأل: ماذا تريدون أن تصنعوا؟ قلت: نريد أن نخبر الشيخ. قال: لا داعي لذلك. الشيخ سيأتي الآن. أطفئوا الفانوس واجلسوا. أطفأنا الفانوس وجلسنا فطُرق الباب! قال الوالد: هذا هو الشيخ. افتحوا الباب. فتحناه فرأيت الشيخ مع الملا رحمت الله واقفا عند الباب! قال الشيخ: كيف حال الحاج السيّد علي؟ قلت له: تحت الرحمة الإلهية. قال الشيخ: لا خوف عليه إن شاء الله. دخل الشيخ ورأى السيّد

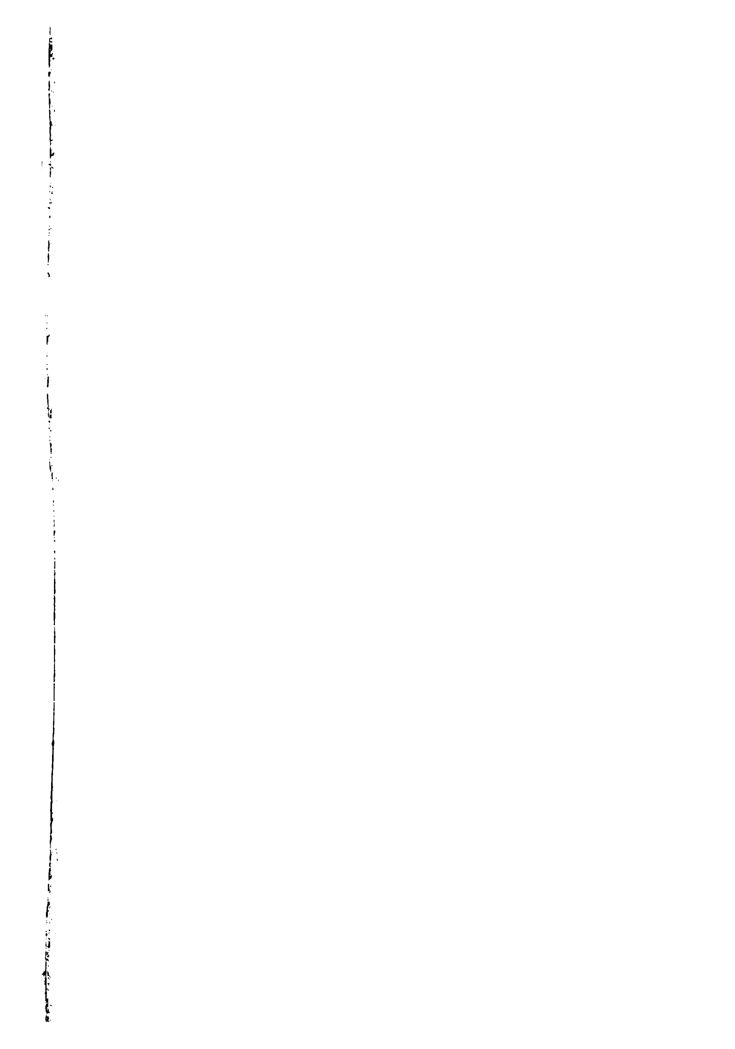
(١) إلى هنا ينتهي ما تيسر لنا ترجمته من المقالة.

مضطربًا. فقال: لا تضطرب. ستشفى إن شاء الله. قال السيد: من أين لك العلم بذلك؟ قال: طلبت أن تبقى بعدي وتصلي على جنازتي. قال السيد: لماذا طلبت ذلك؟ قال الشيخ: حصل ذلك على كل حال. ثم تحادثا قليلًا وتمازحا وقام الشيخ وذهب.

في اليوم التالي قال الشيخ بعد انتهاء الدرس وهو على المنبر: يقولون: إن الحاج السيّد علي مريض فمن أراد أن يذهب لعيادته فليأت. ثم ذهب مع جمع من الطلبة لعيادة السيد.

عندما دخل الشيخ منزل السيّد أخذ يسأله عن أحواله كأنه لا يعلم عن الأمر. يقول ناقل القصة: أردت أن أقول له: إنك شرفت المكان البارحة ورأيت حال السيد! فإذا السيّد يضع يده على فمه فجأة ويشير إلى أنه ليس راضيًا أن أقول شيئًا. فسكتُّ. بعد ذلك شفي السيّد من المرض وكان كما قال الشيخ بقي بعده وصلى على جنازته.





٢٦

السيد علي الشوشتري(قدس سره)

(ت١٢٨٣ ق)

نقل الآخوند ملا علي المعصومي الهمداني: أنَّ الملا حسين قلي الهمداني عندما ذهب إلى النجف حضر درس الشيخ الأنصاري، واسترعى انتباهه في الدرس أن الشيخ يلتفت بشكل خاص إلى سيد كبير في السن. بعد ذلك علم أن الشيخ يذهب إلى بيت ذلك السيّد أسبوعيًا في وقت معين. أثار الأمر فضول الملا فذهب إلى بيت السيّد في وقت مجيء الشيخ بحجة الاستخارة. طرق الباب ودخل البيت فوجد الشيخ جالسًا والسيد ينصحه. فعرف أن الشيخ يذهب للسيد لأجل الموعظة. كان ذلك السيّد هو المرحوم السيّد علي الشوشتري. عندما ذهب الشيخ طلب الآخوند من السيّد أن يسمح له بالحضور في تلك الجلسة، فلم يقبل وقال له: إن الشيخ رئيس، وليس لديه وقت آخر، وهذه الساعة خاصة به. لكنه سمح له بالحضور مع بقية الطلاب في وقت آخر.



استخارة الإمام الحجة(عليه السلام)

سمعت أنا والسيد رضا الصدر من الميرزا أحمد الكفائي في بيته أن والده الآخوند الخراساني نقل عن السيّد علي الشوشتري أن استخارة الإمام الحجة(عجل الله فرجه) بهذا الشكل: (البسملة وثلاث صلوات ودعاء) ثم

يقبض من السبحة ويعد اثنتين اثنتين فإن بقيت واحدة فهي جيدة وإلا فهي سيئة.

أنا الحقير أستخير بهذه الطريقة، والدعاء الذي أقرأه هو: أستخير الله برحمته خيرة في عافية. يا من يعلم اهدِ من لا يعلم.



٢٧

الميرزا باقر آغا المجتهد التبريزي (قدس سره)

(ت ١٢٨٥ أو ١٢٨٦ ق)

الميرزا باقر آغا المجتهد (جد الميرزا عبد الله المجتهدي) أُبعد من تبريز إلى طهران بأمر من أميرٍ كبيرٍ، وقد كان الميرزا مرجعًا في ذلك الوقت. قصة التبعيد وكيفية نجاة الميرزا وعزل أمير كبير منقولة في كتاب (دار السلام) للعراقي، وهي قصة جميلة.



يقول صاحب (دار السلام): ذات مرة سافرتُ إلى طهران، وسكنتُ في منزل مجتهد تبريز الذي كان مُبعدًا إلى هناك؛ لأنه كانت بيني وبينه علاقة. كان المجتهد ساكنًا في بيت الحاج مهدي ملك التجار التبريزي. لم أكن أنوي البقاء في طهران ولذلك لم يكن لديَ المال اللازم. من ناحية الأكل والشرب كنت ضيف المجتهد، ولم يكن هناك مشكلة لكن من الجهات الأخرى كنت في ضيق. مثلًا لم يكن لدي المال الكافي للذهاب إلى الحمام، وكنت أستحي ان آخذ من المجتهد ذلك ولم أكن أعرف أحدا أقترض منه. فكنت منزعجًا ومتحيرًا. في تلك الأيام كنت أقرأ ترجمة المجلد الثالث عشر من كتاب (بحار الأنوار) ووجدتُ فيه عَملًا لابن أبي البغل الكاتب، أنه كان مغضوبًا عليه من أحد الوزراء، فأدَّى هذا العمل فرضي عنه الوزير. صعدتُ إلى أعلى المنزل وأديتُ العمل ونزلت. بعد دقائق جاء شخص وقدم ظرفًا للميرزا باقر آغا. نظر الميرزا إلى الظرف وأعطاني إياه قائلًا: هذا لك. فتحت الظرف فوجدت فيه مبلغًا

من المال. لاحظت أن المقدار الفاصل بين أداء العمل ووصول المال هو المقدار اللازم لأن يعد شخص هذا المقدار من المال في مكان معين ثم يأتي به سريعًا إلى البيت الذي نحن فيه. عند ذلك تعجبتُ وقلت: الله أكبر! سألني المجتهد عن سبب تعجبي فأخبرته بالقصة. قال المجتهد: إذا فلأقم انا بهذا العمل لتُحلَ مشكلتي. ذهب المجتهد وأدى العمل وبعد مدة قصيرة جاء خبر عزل أمير كبير واعتذر الشاه من المجتهد وأعاده إلى تبريز محترمًا.

نقلُ (دار السلام) يختلف قليلًا عن (بحار الأنوار). ويقول صاحب (دار السلام): (من مضمون هذا الخبر يفهم أنه مشروط بالاضطرار وقد ذكرته لعدة أشخاص كانوا مضطرين فحلت مشكلتهم).



ذات مرة حصلت لي أنا مشكلة لم أر مثلها في حياتي وكانت بحيث ستودي بحياتي. كنت مضطرًا تماما فأديت هذا العمل وبمجرد انتهائي منه حلت مشكلتي. كانت مشكلتي غير قابلة للحل بحسب الأسباب العادية أصلا لكنها ومن العجيب أنها انتهت بهذا العمل.

حكاية ابن أبي البغل الكاتب وكيفية ذلك العمل كالتالي:

وَ بِإِسْنَادِنَا إِلَى الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ فِي كِتَابِهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ مُوسَى التَّلَّعُكْبَرِيُّ: قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي الْبَغْلِ الْكَاتِبُ قَالَ: تَقَلَّدْتُ عَمَلًا مِنْ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ صَالِحَانَ وَجَرَى بَيْنِي وَ بَيْنَهُ مَا أوجبت [أَوْجَبَ اسْتِتَارِي فَطَلَبَنِي وَأَخَافَنِي فَمَكَثْتُ مُسْتَتِرًا خَائِفًا ثُمَّ قَصَدْتُ مَقَابِرَ قُرَيْشٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَاعْتَمَدْتُ الْمَبِيتَ هُنَاكَ لِلدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ وَكَانَتْ لَيْلَةَ رِيحٍ وَمَطَرٍ فَسَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْقَيِّمَ أَنْ يُغْلِقَ الْأَبْوَابَ وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي خَلْوَةِ الْمَوْضِعِ لِأَخْلُوَ بِمَا أُرِيدُهُ مِنَ الدُّعَاءِ وَ الْمَسْأَلَةِ وَآمَنَ مِنْ دُخُولِ إِنْسَانٍ مِمَّا لَمْ آمَنْهُ وَخِفْتُ مِنْ لِقَائِي لَهُ

فَفَعَلَ وَقَفَّلَ الْأَبْوَابَ وَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَوَرَدَ مِنَ الرِّيحِ وَ الْمَطَرِ مَا قَطَعَ النَّاسَ عَنِ الْمَوْضِعِ وَمَكَثْتُ أَدْعُو وأَزُورُ وَأُصَلِّي. فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ سَمِعْتُ وَطْئًا عِنْدَهُ مَوْلَانَا مُوسَى (عليه السلام) وَ إِذَا رَجُلٌ يَزُورُ فَسَلَّمَ عَلَى آدَمَ وَ أُولِي الْعَزْمِ ع ثُمَّ الْأَئِمَّةِ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنِ انْتَهَى إِلَى صَاحِبِ الزَّمَانِ ع فَلَمْ يَذْكُرْهُ فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ لَعَلَّهُ نَسِيَ أَوْ لَمْ يَعْرِفْ أَوْ هَذَا مَذْهَبٌ لِهَذَا الرَّجُلِ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ زِيَارَتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ عِنْدَ مَوْلَانَا أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) فَزَارَ مِثْلَ تِلْكَ الزِّيَارَةِ وَذَلِكَ السَّلَامِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَأَنَا خَائِفٌ مِنْهُ إِذْ لَمْ أَعْرِفْهُ وَرَأَيْتُهُ شَابًّا تَامًّا مِنَ الرِّجَالِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ وَعِمَامَةٌ مُحَنَّكٌ وَذُؤَابَةٌ وَرِدَاءٌ عَلَى كَتِفِهِ مُسْبَلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ أَبِي الْبَغْلِ أَيْنَ أَنْتَ عَنْ دُعَاءِ الْفَرَجِ؟ فَقُلْتُ: وَمَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَتَقُولُ: يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ يَا مَنْ لَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ وَلَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ يَا عَظِيمَ الْمَنِّ يَا كَرِيمَ الصَّفْحِ يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ يَا مُنْتَهَى كُلِّ نَجْوَى وَيَا غَايَةَ كُلِّ شَكْوَى يَا عَوْنَ كُلِّ مُسْتَعِينٍ يَا مُبْتَدِئًا بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا يَا رَبَّاهْ عَشْرَ مَرَّاتٍ يَا سَيِّدَاهْ عَشْرَ مَرَّاتٍ يَا مَوْلَيَاهْ عَشْرَ مَرَّاتٍ يَا غَايَتَاهْ عَشْرَ مَرَّاتٍ يَا مُنْتَهَى غَايَةِ رَغْبَتَاهْ عَشْرَ مَرَّاتٍ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ (عليهم السلام) إِلَّا مَا كَشَفْتَ كَرْبِي وَنَفَّسْتَ هَمِّي وَفَرَّجْتَ غَمِّي وَأَصْلَحْتَ حَالِي وَ تَدْعُو بَعْدَ ذَلِكَ مَا شِئْتَ وَ تَسْأَلُ حَاجَتَكَ ثُمَّ تَضَعُ خَدَّكَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَرْضِ وَتَقُولُ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي سُجُودِكَ يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ وَانْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ وَتَضَعُ خَدَّكَ الْأَيْسَرَ عَلَى الْأَرْضِ وَتَقُولُ مِائَةَ مَرَّةٍ أَدْرِكْنِي وَتُكَرِّرُهَا كَثِيرًا وَتَقُولُ الْغَوْثَ الْغَوْثَ الْغَوْثَ حَتَّى يَنْقَطِعَ النَّفَسُ وَتَرْفَعُ رَأْسَكَ فَإِنَّ اللَّهَ بِكَرَمِهِ يَقْضِي حَاجَتَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.



فَلَمَّا شَغَلْتُ بِالصَّلَاةِ وَ الدُّعَاءِ خَرَجَ فَلَمَّا فَرَغْتُ خَرَجْتُ إِلَى أَبِي

جَعْفَرٍ لِأَسْأَلَهُ عَنِ الرَّجُلِ وَكَيْفَ دَخَلَ فَرَأَيْتُ الْأَبْوَابَ عَلَى حَالِهَا مُغَلَّقَةً مُقَفَّلَةً فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ وَ قُلْتُ لَعَلَّهُ بَاتَ هَاهُنَا وَ لَمْ أَعْلَمْ فَانْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْقَيِّمِ فَخَرَجَ إِلَى عِنْدِي مِنْ بَيْتِ الزَّيْتِ فَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ وَ دُخُولِهِ فَقَالَ الْأَبْوَابُ مُقَفَّلَةٌ كَمَا تَرَى مَا فَتَحْتُهَا فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا مَوْلَانَا صَاحِبُ الزَّمَانِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْتُهُ مِرَارًا فِي مِثْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ عِنْدَ خُلُوِّهَا مِنَ النَّاسِ فَتَأَسَّفْتُ عَلَى مَا فَاتَنِي مِنْهُ وَخَرَجْتُ عِنْدَ قُرْبِ الْفَجْرِ وَقَصَدْتُ الْكَرْخَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ مُسْتَتِرًا فِيهِ فَمَا أَضْحَى النَّهَارَ إِلَّا وَأَصْحَابُ ابْنِ الصَّالِحَانِ يَلْتَمِسُونَ لِقَائِي وَيَسْأَلُونَ عَنِّي أَصْدِقَائِي وَ مَعَهُمْ أَمَانٌ مِنَ الْوَزِيرِ وَرُقْعَةٌ بِخَطِّهِ فِيهَا كُلُّ جَمِيلٍ فَحَضَرْتُهُ مَعَ ثِقَةٍ مِنْ أَصْدِقَائِي عِنْدَهُ فَقَامَ وَالْتَزَمَنِي وَ عَامَلَنِي بِمَا لَمْ أَعْهَدْهُ مِنْهُ وَقَالَ: انْتَهَتْ بِكَ الْحَالُ إِلَى أَنْ تَشْكُوَنِي إِلَى صَاحِبِ الزَّمَانِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ؟ فَقُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنِّي دُعَاءٌ وَمَسْأَلَةٌ. فَقَالَ وَيْحَكَ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ مَوْلَايَ صَاحِبَ الزَّمَانِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي النَّوْمِ ـ يَعْنِي لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ـ وَهُوَ يَأْمُرُنِي بِكُلِّ جَمِيلٍ وَيَجْفُو عَلَيَّ فِي ذَلِكَ جَفْوَةً خِفْتُهَا. فَقُلْتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنَّهُمُ الْحَقُّ وَمُنْتَهَى الْحَقِّ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ مَوْلَانَا فِي الْيَقَظَةِ وَقَالَ كَذَا وَكَذَا وَشَرَحْتُ مَا رَأَيْتُهُ فِي الْمَشْهَدِ فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَجَرَتْ مِنْهُ أُمُورٌ عِظَامٌ حِسَانٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَبَلَغْتُ مِنْهُ غَايَةً مَا لَمْ أَظُنَّهُ بِبَرَكَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ الزَّمَانِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ[1].

في كيفية ذلك العمل في نقل العراقي أخطاء يجب أن تصحح من خلال المقارنة ببحار الأنوار ودلائل الإمامة. أنا أيضًا عندما أديت هذا العمل راعيت الكتابين وفي موارد الحاجة عملت بالاحتياط.

(١) بحار الأنوار ج٥١ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦.



الشيخ عبد الحسين شيخ العراقين الطهراني (تتمُّنْ)

(ت ١٢٨٦ ق)

منصب القضاء

الشيخ عبد الحسين معاصر للشيخ الأنصاري، وقد توفي في سنة ١٢٨٦ ق. كان عالما كبيرًا، وهو أستاذ الشيخ النوري.



حسين مكي ينقل في كتابه عن حياة أمير كبير مطلبًا يُحتمل بقوة أنه موضوع. يقول: ذات مرة اختلف أمير كبير مع شخص على ملك معين فأرسل إلى أحد علماء طهران الذي كان في الدرجة الأولى في القضاء يَطلب منه حل هذا الاختلاف وفقا للضوابط الشرعية. فرد ذلك العالم بأن دائرة الأحكام الشرعية في باب القضاء واسعة فيجب أن نعرف رأيك في القضية حتى نحكم وفقه! انزعج أمير كبير من هذا الجواب وعزل ذلك العالم وأصبح ذلك العالم منزويًا. بعد ذلك أعطى منصب القضاء لشيخ العراقين.

في نظري أن هذا النقل موضوع، وربما نقله مخالفو العلماء لتشويه صورتهم؛ لأنه من الجنون المحض أن يقوم شخص بمثل هذا العمل ويضع مستندًا كهذا في يد أمير كبير الذي كان معروفًا في كل مكان بالالتزام بالقانون.

وصي أمير كبير

كان شيخ العراقين ملتزمًا جدًا وقويًا في ذلك. وكان من علماء الدرجة الأولى. لم يكن يتأثر في القضاء بمناصب أهل الدنيا وشخصياتهم. أمير كبير جعل شيخ العراقين وصيه، وعندما قتل أمير كبير صارت تولية مدرسة أتراك طهران ومسجدهم ـ الذين هما من أوقاف أمير كبير ـ بيد شيخ العراقين. عندما تولى الرئاسة ميرزا آغا خان نوري قرر أن يسمي المدرسة والمسجد باسمه فاختلف معه شيخ العراقين الذي كان وصي أمير كبير وانتهى الأمر بالمصالحة على أن يكون اسمها باسم الوصي يعني شيخ العراقين.



كما قلنا كان الشيخ لا يخضع للألقاب والمناصب، وحتى بالنسبة إلى الشاه عندما يحصل بينه وبين أحد من الناس خلاف حول ملك ما ويراجعون الشيخ كان الشيخ يحكم وفقًا للموازين الشرعية. لذلك كان ناصر الدين شاه يتحين الفرصة لإبعاده عن مركز الحكومة.

ذات مرة استولى أحد الشخصيات الكبيرة على بعض أملاك أمير كبير في العراق، وحيث أن الشيخ لم يكن يقدر على استردادها منه، فإنه كتب رسالة إلى الشاه يستعين به. فقال أصحاب الشاه له: حانت الفرصة الآن لترسل شيخ العراقين إلى العراق للإشراف على الأملاك.[1]

ناصر الدين شاه زار العراق في سنة ١٢٨٧ وزار قبر الشيخ في كربلاء. وقد ذكر ذلك في كتاب رحلته قائلا: (ذهبت وقرأت الفاتحة على قبر شيخ عبد الحسين الذي كان منصوبًا من قِبلنا للإشراف على أملاكنا في العراق)

(١) الكرام البررة ج٢ ص ٧١٤ رقم ١٣٠٧.

٢٩

الملا علي القاربوزآبادي (قدس سره)

(ت ١٢٩٠ ق)

من تلامذة صاحب الجواهر

نقل السيّد الوالد، عن أستاذه الحاج الشيخ زين العابدين العابدي الزنجاني عن الميرزا أبو المكارم الزنجاني ـ الذي كان محترمًا للغاية في زنجان وكانت أسرته من الأسر المحترمة كذلك ـ هذه القصة.



يقول: كُنا في طريق العودة من مكة في السفينة، فانتشر خبر وفاة الآخوند ملا علي القاربوزآبادي فجأة. عندما انتشر الخبر سجلنا التاريخ وعندما وصلنا إلى اليابسة سألنا عن ذلك فقالوا: إنه مات في ذلك الوقت.

كان الوالد (وأمثاله) يحدسون أن السبب في انتشار الخبر في السفينة هم الجن؛ لأنه لم يكن لديهم أي وسيلة للارتباط باليابسة. هذه القصة تتعلق بما قبل ١٤٠ سنة تقريبا في أوائل محرم سنة ١٢٩٠.

الجنازة سالمة

بعد وفاة الملا علي القاربوزآبادي ب ٦٦ سنة تقريبًا نقلوا جنازته إلى مكان آخر فلما أخرجوها كانت جديدة.





السيد حسين الكوه كمري (قدّس سرّه)

(ت ١٢٩٩ ق)

سمعتُ من أحد أبناء السيّد محمد الزنجاني عن والده، وهو تلميذ الشيخ حسن المامقاني الذي كان تلميذ السيّد حسين الكوه كمري وكان السيّد حسين هو القائم على تربيته حيث توفي أبوه وهو صغير، يقول الشيخ حسن: كنتُ أمضي مع السيّد حسين إلى سجادته في المسجد لمدة ١٨ سنة تقريبًا وأطرح عليه أسئلتي لكني لا أصلي خلفه! كنت أقول: لعله لا يكون عادلا. بعد تلك المدة الطويلة أحرزت أنه ليس من أهل الهوى فصليت خلفه!



طوال تلك المدة لم ألاحظ أبدًا أنه تضايق مني لأني لا أصلي خلفه أبدًا مع أني أجيء معه إلى السجادة.

أنا كنت مع الميرزا عبد الله المجتهدي كذلك، ولم ألاحظ إلى النهاية أنه تضايق مني لهذا السبب. رضوان الله عليه.

درس الشيخ

كان الشيخ الأنصاري يُباحث على القوانين. كان السيّد حسين يُدرِس بعد الشيخ وذات يوم جاء مبكرًا بالصدفة فرأى شيخًا يُدرِّس القوانين. كان ذلك هو الشيخ الأنصاري. كان يبيِّن كلام القوانين، ثم يشكل عليه. كان ملفتًا للنظر جدًا. ومع أن السيّد كان يدرس الخارج إلا أنه بدأ يتساءل:

من هو هذا الشيخ القوي؟

في اليوم التالي جاء باكرًا وأخذ يستمع إلى درس الشيخ فوجده يُشكل مرة أخرى. استمر على هذا المنوال عدة أيام فوجد الشيخ على مستوى رفيع ولذلك قرر أن يستفيد منه وأصبح من طلابه. سمعت هذه القصة على الألسنة[1].



(١) تقدمت هذه القصة في الحديث عن الشيخ الأنصاري.

٣١

السيد محمد صادق الطباطبائي (تَتِّئُ)

(ت ١٣٠٠ ق)

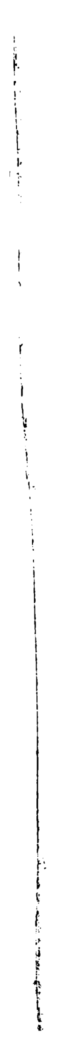
سمعتُ من الميرزا فخر الدين الجزائري أنّه كانت تُقام في تكية الدولة مراسم تمثيل لأحداث عاشوراء. في تلك المراسم كان أحد الأشخاص يدخل في نعش، ويتم تدريب أسدٌ على استخراج السهام من ذلك النعش. في ذلك الزمان كان الشخص الذي يدخل في النعش يأخذ ١٠٠ تومان! ذات مرة أفلت الأسد من يد مدربه وهجم على الناس ففروا خائفين. السيّد صادق الطباطبائي كان هناك أيضًا ولأنه كان بدينًا لم يتمكن من الركض فجاء الأسد إليه. عند ذلك خاطب السيّد الأسد قائلًا: أيها الحيوان! اهدأ! اهدأ! فهدأ الأسد. وعلى أثر هذه القضية ازدادت مكانة السيّد عند الناس.



عندما تخرج من حرم السيّد عبد العظيم الحسني متوجها إلى قم تكون مقبرة الطباطبائيين على يمينك في أول الطريق وقد بناها مستوفي الممالك. قبر السيّد صادق هناك. السيّد محمد من مؤسسي المشروطة ابن السيّد صادق هناك أيضًا. الدكتور مدرسي صهر السيّد صادق ابن السيّد محمد[1] أيضًا هناك.

---

(١) السيّد صادق هذا حفيد السيّد صادق الأول وقد كان رئيسًا للمجلس. كان هذا السيّد لا يعتني بالأموال أصلًا. ينقل: أنه كان على موعد مع الشاه فتأخر لأنه لم تكن لديه ساعة. فأراد الشاه أن يعطيه ساعة فأبى. (السيد)





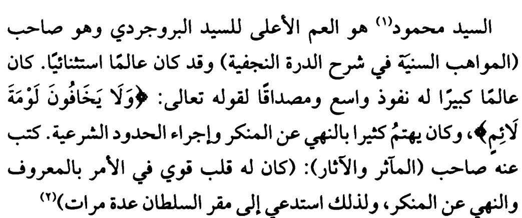
الحاج ميرزا محمود البروجردي (قدس سره)

(ت ١٣٠٠ ق)

النهي عن المنكر

كنت قد سمعت قصة عن السيّد محمود البروجردي من الشيخ الدواني فنقلتها لأحد الأشخاص، ونقلها هو بدوره للشيخ الدواني فقال الشيخ: أنا لا أتذكر لكن السيّد الزنجاني ذاكرته قوية ولا بد أن الأمر كما قاله.





السيد محمود[1] هو العم الأعلى للسيد البروجردي وهو صاحب (المواهب السنيّة في شرح الدرة النجفية) وقد كان عالمًا استثنائيًا. كان عالمًا كبيرًا له نفوذ واسع ومصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾، وكان يهتمُ كثيرا بالنهي عن المنكر وإجراء الحدود الشرعية. كتب عنه صاحب (المآثر والآثار): (كان له قلب قوي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك استدعي إلى مقر السلطان عدة مرات)[2]

(١) السيّد البروجردي ابن السيّد علي ابن السيّد أحمد والسيد أحمد أخو السيّد محمود. (السيد).

(٢) المآثر والآثار (٤٠ سال (سنة) تاريخ إيران) ج١ ص ١٩٣.

كتب عنه السيّد حسن الصدر بهذا الصدد: (لم أجد أقوى قلبا منه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى ان سلطان إيران طلبه مرارًا إلى طهران، من جهة ما كان عليه من قوة الإيمان لم يقدر السلطان على منعه عما كان لاتفاق أهل الإيمان على نصرة هذا السيّد القوي الأركان. لم يكن في عصرنا أبسط يدا منه في العلماء والاعيان، وكلما طلبه السلطان إلى طهران كانت النتيجة غلبة السيّد ونصرته بالعيان وقوة الشرع وأهل الإيمان وضعف كلمة السلطان) تكملة أمل الأمل ج٦ ص ١٨.

كان الشيخ الدواني ينقل عن السيّد البروجردي أن الميرزا محمود أخذ يفكر في أواخر عمره أن يذهب إلى النجف حتى يموت هناك ويدفن في مقبرة عمه الأعلى السيّد بحر العلوم[١]. في ذلك الزمان كان السفر إلى النجف شاقًا جدًا. عندما وصل إلى النجف وفي بداية الأمر علم أن أحد أبنائه تصدى للإفتاء والقضاء. كان الميرزا محمود يعتقد أن هذا الولد ليس أهلًا لهذا المنصب الخاص بالفقهاء والمجتهدين، ومن ناحية أخرى كان يرى إرسال رسالة لا ينفع في ردعه عن هذا الأمر. ومع أنه كان كبيرًا في السن ومتعبًا من السفر إلا انه قرر العودة إلى بروجرد مباشرة لأجل نهي ولده عن المنكر. يقول السيّد البروجردي: كان عمري آنذاك ثمان أو تسع سنوات[٢] وكنا قد ذهبنا مع الوالد إلى بيت الميرزا محمود ولا يزال صدى صوت الميرزا محمود في أذني حيث كان يصرخ: اذهبوا وقولوا له: اترك هذا العمل! توقف عن هذه الأعمال! أنت لا تليق لها!)



يقول السيّد البروجردي: لا أظن أن ناحية غرب إيران سترى نظيرًا لهذا العالم!

الشيخ الدواني نقل لي هذه القصة ثم نسيها هو.

موقف علماء طهران

السيد صادق الطباطبائي كان يعتبر منافسًا للملا علي كني. السيّد توفي سنة ١٣٠٠ والملا علي توفي سنة ١٣٠٦.

(١) الميرزا محمود بن السيّد علي نقي بن السيّد جواد أخي السيّد مهدي بحر العلوم فلذلك يكون السيّد بحر العلوم العم الأعلى للسيد محمود. (السيد)

(٢) ولد السيّد البروجردي في صفر سنة ١٢٩٢ ق وتوفي الميرزا محمود في ذي الحجة سنة ١٣٠٠ فيكون السيّد البروجردي عند وفاة عمه لم يكمل السنة التاسعة.

الميرزا محمود توفي في بروجرد وبنيت على قبره قبة. (النصف الثاني من صفر ١٤٣٢ق).

من ناحية العائلة كان السيّد من عائلة محترمة جدًا من أسرة صاحب (الرياض) بينما كان الملا علي قرويًا بسيطًا. الميرزا فخرالدين الجزائري ينقل أن العلاقة بينهما لم تكن جيدة.

هذه القصة سمعتها من الميزا فخرالدين ومن الميرزا محمود الروحاني: ذات مرة استدعت الحكومة الميرزا محمود صاحب المواهب، العم الأعلى للسيد البروجردي من بروجرد إلى طهران. الملا علي كني كان لا يخرج من بيته، ويُنقل أنه كان يذهب إلى صلاة الجماعة في مدرسة مروي في شهر رمضان فقط، وكان المسجد يمتلئ بالمصلين، ولم تكن بينه وبين السيّد صادق مراودة. مع ذلك خرج من بيته مع خادمه في منتصف الليل وذهب إلى بيت السيّد صادق وطرق الباب. جاء خادم السيّد إليه وقال له: الملا علي كني على الباب، فجاء السيّد حافي القدمين، فقال له الشيخ: إذا كانت بيني وبينك خلافات فهي في محلها، لكن الحكومة تريد الآن أن تستدعي عالمًا ومجتهدًا جليل القدر وتهينه بسبب النهي عن المنكر ونحن يجب أن لا نسمح بذلك. قال السيد: أنا تحت أمرك. وتجاملًا في أن الميرزا محمود ينزل ضيفًا على أي منهما. هنا اختلف النقلان في أن الميرزا نزل عند أي منهما، لكن المفروض أن يكون قد نزل عند الملا علي كني؛ لأن نفوذه وإمكاناته كانت أكبر. على أي حال اتفقا على أن ينزل الميرزا محمود عند أحدهما.



الملا علي كني ذهب من هناك مع خادمه الذي كان يحمل الفانوس إلى منزل عالم آخر وطرح عليه الأمر فأبدى استعداده. وفي تلك الليلة ذهب الملا علي كني بنفسه إلى منازل جميع علماء طهران المعروفين وأبدوا استعدادهم.

في اليوم التالي، وصل الميرزا محمود إلى طهران، ونزل في البيت

المقرر. وفي اليوم الذي بعده كان الناس يرون أحد العلماء الكبار يمشي مع جماعة من أصحابه فيسألون: أين يذهبون؟ فيقال: إن مجتهد بروجرد جاء إلى طهران ونحن نذهب إلى زيارته، فيغلق الناس محلاتهم وينطلقون مع عالمهم. وعندما تكرر هذا الأمر في الأحياء المختلفة أصبحت طهران في حالة تعطيل وانطلقت جماعة كبيرة جدًا من الناس إلى البيت المقصود.

نُقل أن جماعة كبيرة أقيمت هناك واقتدى ملا علي كني وجميع علماء طهران بالميرزا محمود، ثم كان جميع العلماء ضيوفًا على الملا علي كني في وجبة الغداء.

عندما رأى ناصر الدين شاه هذا الأمر أرسل ولده الميرزا كامران. أبلغ الولد سلام الشاه وقال للميرزا محمود: إذا كنت تريد التشرف بزيارة الأرض المقدسة فنحن في خدمتك. في النهاية صار موقف الحكومة أن يعلن ابن الشاه أننا حاضرون لخدمتك بكل ما تأمره بعنوان الزيارة.





الشيخ محمد حسين الفاضل الأردكاني (قدس سره)

(ت ١٣٠٢ ق)

الهروب من المرجعية



عندما جاء الحاج السيّد روح الله الخاتمي إلى قم ذهبنا إلى زيارته. كان الشيخ مرتضى الحائري والشيخ محمد علي الصدوقي حاضرين أيضًا. في ذلك اللقاء نقل لنا السيّد قصةً عن الشيخ محمد اليزدي عن والده الحاج محمد جعفر الذي كان وكيل الميرزا الشيرازي في كربلاء.

يقول: كتب الميرزا الشيرازي رسالة إلى الحاج بأن يذهب إلى الفاضل الأردكاني ويقول له أن يتقبل التصدي لأمور كربلاء، فلا حاجة أن يرسلوا الحقوق الشرعية والاستفتاءات من كربلاء إليّ.

يقول الحاج: ذهبتُ إلى الفاضل وأبلغته سلام الميرزا ورسالته، فقال: لا أقبل دينارًا واحدًا من الحقوق الشرعية، ولا أجيب الاستفتاءات، ولا أكتب رسالةً عمليةً، فهل كان عمل فلان الذي كتب رسالة عملية جيدًا؟! مرجعية الميرزا كافية. الميرزا أراحنا من عبء المرجعية.

عدم الاهتمام بالشاه

عندما سافر ناصر الدين شاه إلى العراق سنة ١٢٨٧ كان الأذان في كربلاء والنجف يُرفع وفقا لطريقة أهل السنة. فلما سمع الشاه الأذان كذلك أمر بأن يؤذن وفقًا لمذهب الشيعة. ومنذ ذلك الوقت صار الأذان

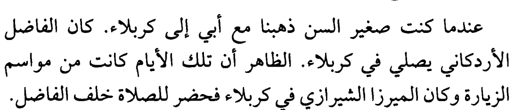
في المدينتين شيعيًا.

وقد اتفق يومًا أن الشاه كان في حرم الإمام الحسين(ﷺ) عند أذان الظهر، وكان الفاضل الأردكاني هناك أيضًا. فأمر الشاه بأن يقيم الشيخ الصلاة حتى نصلي معه نحن أيضًا. لكن الفاضل الذي كان لا يهتم للدنيا وما فيها قال: لست على وضوء. لم يكن يعير ذلك أي أهمية أن هذا هو الشاه أو يقول: اصبر حتى أذهب وأتوضأ.

جهاد النفس

نقل الحاج الشيخ مرتضى الأردكاني (صاحب الحاشية على المكاسب) عن المرحوم الحاج ميرزا علي آغا الشيرازي (أستاذ الشهيد المطهري في نهج البلاغة) قوله:





عندما كنت صغير السن ذهبنا مع أبي إلى كربلاء. كان الفاضل الأردكاني يصلي في كربلاء. الظاهر أن تلك الأيام كانت من مواسم الزيارة وكان الميرزا الشيرازي في كربلاء فحضر للصلاة خلف الفاضل.

جاء الفاضلُ، فلما رأى الحضور كثيرًا للغاية رجع. دخل وقت الصلاة ولم يجيء الفاضل. قال الميرزا الشيرازي لوالد الميرزا علي آغا: ليذهب شخص للفاضل ويطلب منه المجيء حتى لا تتأخر الصلاة.

عندما ذهبوا للفاضل وقالوا له ذلك قال: الميرزا موجود فليصلِ. قالوا له: الميرزا ينتظرك. فلم يقبل وقال: ربما يكون قد خلج في نفسي خاطر ما.

عادة المتدينين

نقل السيّد رضا الزنجاني ـ عليه الرحمة ـ عن المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري هذه القصة:

كان في كربلاء تاجر لديه محل لبيع التتن في السوق الواقع بين

الحرمين. توفي التاجر وانتقل دكانه إلى ولديه ففتحوه ليواصلوا مهنة والدهم. كان الولدان غايةً في الجمال بحيث كان الناس يتجنبون التعامل معهما خوفًا من التهمة. مرت أيام ولم يأت أحد للشراء، فقال أحدهما للآخر: لديّ فكرة إن نجحت فبها، وإلا أغلقنا المحل وذهبنا إلى بغداد. كان الفاضل الأردكاني يمر في ذهابه وإيابه من السوق ومن أمام دكانهما. في اليوم التالي لما عبر الفاضل من هناك طلبا منه أن يدخّن قليلًا في محلهما ثم يذهب. وافق الفاضل لأنه لم يكن يعير أهمية لأقاويل الناس. وعندما عاد الفاضل مرة أخرى طلبوا منه ذلك أيضًا. تكرر الأمر عدة مرات فلما رأى الناس الفاضل هناك أخذوا يشترون منهما ونجحت تجارتهما إلى أن وصل الأمر أن عادة المتدينين كانت هي الشراء من ذلك المحل.



وفاته

توفي الفاضل سنة ١٣٠٢ وقد أرّخ ذلك تلميذه الميرزا محمد حسين الشهرستاني شعرًا بقوله:

وقـد تلقتـه حـور ونضـرة وسـرور

أرخـن (حبًا وأهلًا لفاضـل الأردكان)[١].

المزاح

كان الفاضل الأردكاني من علماء الدرجة الأولى المعاصرين للميرزا الشيرازي والشيخ الأنصاري. كان كثير المزاح ولا يهتم للدنيا وما فيها. ينقل أن ناصر الدين شاه أراد ان يصلي بإمامته في حرم أمير المؤمنين(ﷺ) لكنه قال إني لست على وضوء ولم يقبل.

(١) وقد أضيفت الياء إلى كلمة الأردكان في بعض الكتب لكن ذلك خطأ.

وقد ذكر صاحب كتاب المآثر والآثار أن وفاته سنة ١٣٠٥ لكنه عندما وصل إلى ترجمة تلميذه المذكور نقل عنه أنه نظم تاريخ وفاته بما يساوي ١٣٠٢.

تنقل عن مواقفه في المزاح أمور لا نريد أن نذكرها.

الهواء

ذات مرة أصيب الفاضل الأردكاني بريح الفتق. وذات يوم زاره شخص وسأله ما هو مرضك؟ فأجاب: لا شيء. الهواء الذي في رؤوس الآخرين جاء إلى بطني!

مثل المسمار

كان الفاضل الأردكاني كثير المزاح وكانت له طريقة خاصة في بيان الأمور.

كان الشيخ مرتضى الحائري يقول من خصوصيات أهالي أردكان المزاح الصريح. كان الفاضل الأردكاني يقول: كلمات الملا مرتضى (ويقصد الشيخ الأنصاري) مثل المسمار! كلما تحرك الإنسان أكثر، دخل في جسمه أكثر!



مقصوده أن الإنسان كلما تأمل أكثر في كلمات الشيخ تبينت له دقته وعمقه أكثر.

أعلم من الشيخ

السيد محمد حسين الشهرستاني كان تلميذ الفاضل الأردكاني. سمعت الشيخ مرتضى الحائري يقول إن السيّد محمد حسين الشهرستاني أقسم بالله أن الفاضل الأردكاني أعلم من الشيخ الأنصاري. على القاعدة لا بد أن يكون الشيخ مرتضى سمع ذلك من أبيه الشيخ عبد الكريم الحائري.

السيد محمد حسين كتب تقريرات درس الأصول للفاضل الأردكاني وطبعت هذه التقريرات باسم (غاية المسؤول).

٣٤

الملا علي كنّي (قدّس سرّه)

(ت ١٣٠٦ ق)

نزول الشيخ جعفر الشوشتري عند الملا علي كني

ينقل الميرزا فخر الدين الجزائري عن الشيخ مرتضى الآشتياني أن الشيخ جعفر الشوشتري جاء في سنة ١٣٠٢ من العراق إلى إيران، ونزل في طهران عند الملا علي كني.



كان والدي (الميرزا حسن الآشنتياني) مريضًا فأرسلني لزيارة الشيخ الشوشتري، وكنت أتصور أني سأرى الشيخ جعفر الذي كان مرجعًا في صدر المجلس، والملا علي في أسفله. لكني عندما دخلت رأيت منظرًا بهرني. رأيت الملا علي مشمرًا عن ذراعيه في أعلى المجلس يكتب أجوبة الاستفتاءات، والشيخ جعفر جالسا أسفل من موقعه بأدب كبير. تعجبت كثيرًا وعندما قلت ذلك لوالدي قال لي: إن الملا علي كني أكبر من هذه الأمور!

الإرجاع إلى الميرزا الشيرازي

لم تكن للملا علي كني رسالة عملية وكان يُرجِع الآخرين إلى الميرزا الشيرازي، مع أنه كان ينظر إليه كولد له، ويقول في المجالس: إن الميرزا تلميذ تلميذي! نقل هذا الميرزا فخر الدين الجزائري.

مع ذلك عندما كانوا يطلبون منه في المجالس الرسمية كتابة رسالة

عملية كان يُرجع إلى الميرزا ويقول: يجب أن تحفظ عظمة سامراء.

بداية الثروة

كان الملا علي في البداية فقيرًا ثم حصلت حادثة أدت إلى ثرائه. أنا لا أعرف تفاصيل تلك الحادثة بدقة، لكن يُنقل أن شخصًا كانت لديه أرض فيها قناة جافة وكانت صخرة تمنع جريان الماء في تلك القناة. صاحب الأرض باعها للملا علي بقيمة زهيدة لأنها لم تكن ذات فائدة. من القدر أنه حدث زلزال في تلك المنطقة وتكسرت تلك الصخرة وامتلأت القناة بالماء وكانت هذه بداية ثروة الملا علي.

الثروة والنفوذ



أحيانًا يعترض بعض المتأثرين بالغرب على ثروة الملا علي كني ويعتبرونها هي السبب في نفوذه بين الناس. وهذا كلام غير صحيح. فالناس بطبعهم لا يحترمون الأثرياء احترامًا واقعيًا. ومن جهة فإن الملا علي لم تكن له عشيرة معروفة تكون هي السبب في نفوذه بين الناس. ومن جهة أخرى لم يكن له ارتباط بالأجانب حتى يكون لهم تأثير في ذلك. ومع ذلك فقد كان نفوذ الشيخ استثنائيًا. هذا النفوذ له عامل وحيد فقط وهو العلم والتقوى. العلم لوحده لا يكفي للنفوذ في قلوب الناس بل للتقوى أثر كبير في ذلك. الملا علي كان يلتزم بالضوابط الشرعية في القضاء بين الناس، ولولا ذلك لم يكونوا ليسمعوا كلامه. السيّد محمد باقر حجة الإسلام كان كذلك أيضًا. بشكل عام عامل نفوذ العالم غير المرتبط بجهات معينة هو العلم والتقوى ولا غير.

أن يوفق شخص ثري للحصول على مثل هذا النفوذ بين الناس يدل على أنه بلغ درجة من العلم والتقوى بحيث لا تكون هذه الثروة مانعًا من ذلك.

عزل سبهسالار

ينقلون قصة عن نفوذ كلمة الملا علي كني، أنه كان معارضًا لسفر الشاه إلى فرنسا، وكان يعتقد أن الشاه إذا سافر إلى هناك فإن البلد ستفقد صبغتها الدينية وتتأثر بالصبغة الغربية. لكن سبهسالار قام بتهيئة الأمور للشاه وأخذه إلى فرنسا. عندما أراد الشاه العودة إلى إيران مع سبهسالار وصل إليه تلغراف من طرف الشيخ أنه إذا كنت ستأتي مع القزويني (سبهسالار) فلا تأت! لأننا لا نقبلك!

اضطر الشاه إلى عزل سبهسالار من منصبه وهو في الحدود الإيرانية ثم دخل إيران. لكنه بعد ذلك قلَده منصبا آخر.



سكة الحديد

في زمان الملا علي كني تم إجراء عقد مع البلجيكيين لإنشاء سكة حديد بين طهران ومدينة الري. الملا علي كني عارض الأمر لأنه كان يعتقد ان الأجانب إذا انفتح لهم الباب للدخول إلى إيران فإن دين الناس سيذهب. كان نفوذ الملا علي كني بدرجة جعل هذا القرار ملغى ما دام على قيد الحياة وبمجرد وفاته في سنة ١٣٠٦ ق أنشئت سكة الحديد في نفس السنة. بقيت تلك القاطرات البخارية موجودة ٦٠ سنة. أنا أدركت أواخرها وركبتها مرة واحدة. أعتقد أنها كانت السنة الأخيرة لتلك القاطرات أعني سنة ١٣٦٦ ق وبعدها ألغيت.

الملا علي كني والقاآني

نقل شخص ما أن القاآني كان من أهل شيراز وكان شاعر السلطان. عندما توفي طلبوا من الملا علي كني لأنه عالم طهران الأول أن يصلي عليه، لكنه رفض؛ لأن القاآني كان مبتلى بالمعاصي. بعد ذلك نقلوا

للشيخ أن هناك بيت شعر مكتوبًا على دواة الشاعر مضمونه: إنا خجلون لأننا لم نرتكب ذنبا يتناسب مع عظمة عفوك! فصار هذا البيت سببا لقبول الشيخ، وأقام الصلاة على الشاعر.

لكنني لست مطمئنًا من صحة هذا النقل؛ لأنه في وقت وفاة القاآني كان عالم طهران الأول هو الملا محمد الأندرماني، وليس الملا علي كني. نعم، بعد وفاة الملا محمد أصبح الملا علي كني هو العالم الأول.

القاآني مدفون في حرم السيّد عبد العظيم الحسني بالقرب من قبر أبو الفتوح الرازي.

وفاته



من التواريخ الشعرية الظريفة تاريخ وفاة الملا علي كني في قول الشاعر:

زجنت شديكي (حورا) برون با جلوه و كفتا
(علي در جنة المأوى علي را ميهمان دارد)

معنى البيت أن حورية خرجت من الجنة وقالت إن عليا (عليه السلام) استضاف عليا في الجنة.

فالمصراع الثاني يساوي ١٥٢١ وعندما ننقص من هذا العدد ٢١٥ المساوية لكلمة حورا (والتي أشير إلى خروجها في الشطر الأول) تصبح النتيجة ١٣٠٦ وهي سنة وفاة الشيخ.

٣٥

المير حامد حسين الهندي(قدس سره)

(ت ١٣٠٦ ق)

أسرته

كان أجداد المير حامد حسين من نيشابور. أنا أعرف فقط أربعة من علماء الأسرة أبًا عن جد ابتداء من السيّد محمد سعيد بن السيّد ناصر حسين بن المير حامد حسين بن السيّد محمد قلي. وكذلك كان السيّد إعجاز حسين أخو المير حامد حسين من العلماء أيضًا.



كان المفتي محمد عباس أستاذ المير حامد حسين، وقد توفيا في سنة واحدة هي سنة ١٣٠٦. في ذهني أن الشيخ آغابزرك ذكر أن المفتي محمد عباس كان أستاذ المير حامد حسين في اللغة والأدب[١].

السيد محمد قلي

السيد محمد قلي هو مؤسس المدرسة الكلامية للمير حامد حسين وأمثاله. سمعتُ الشيخ الأميني ـ عليه الرحمة ـ يقول: السيّد محمد قلي هو مبتكر هذا الأسلوب بأن يكون السُنة قد أشكلوا على الشيعة بأن الحديث الفلاني مرسل لأن الراوي كان عمره ٤ سنوات عند وفاة من روى عنه مثلًا ولا يمكنه أن ينقل الحديث عنه في تلك السن الصغيرة. فيقوم السيّد محمد قلي بإحصاء ٧٠ حديثًا اعتمد عليها أهل السنة وكان

(١) نقباء البشر في القرن الرابع عشر ج١ ص٣٤٧.



الراوي فيها على الصفة المذكورة.

أخطاء الخلفاء

سمعت السيّد رضا الصدر ـ عليه الرحمة ـ يقول:

ذات مرة أقيمت فاتحة لأحد الأشخاص، وكان الحضور مختلطًا من الشيعة والسنة. كان المير حامد حسين هو الرئيس في ذلك المجلس. أثناء قراءة القرآن أخطأ القارئ فأخذ أهل السنة يعيِرون الشيعة بأنهم لا يحسنون التلاوة. استاء المير حامد حسين من ذلك فدعا خادمه ليأتي له بورقة وقلم. جيء له بذلك فكتب أشياء وأعطاها الخادم. مضمون ما كتبه أن هذا القارئ ليس عالمًا فلا أهمية لخطئه ... ثم يعدّد موارد أخطأ فيها أحد الخلفاء في قراءة القرآن وذكرها أهل السنة في كتبهم ... وحيث أن المجلس هناك يمتد لساعتين تقريبًا فقد قاموا بنسخ تلك الورقة وأعطوا كل واحد من الحضور عند خروجه نسخة منها!



السيد محمد سعيد

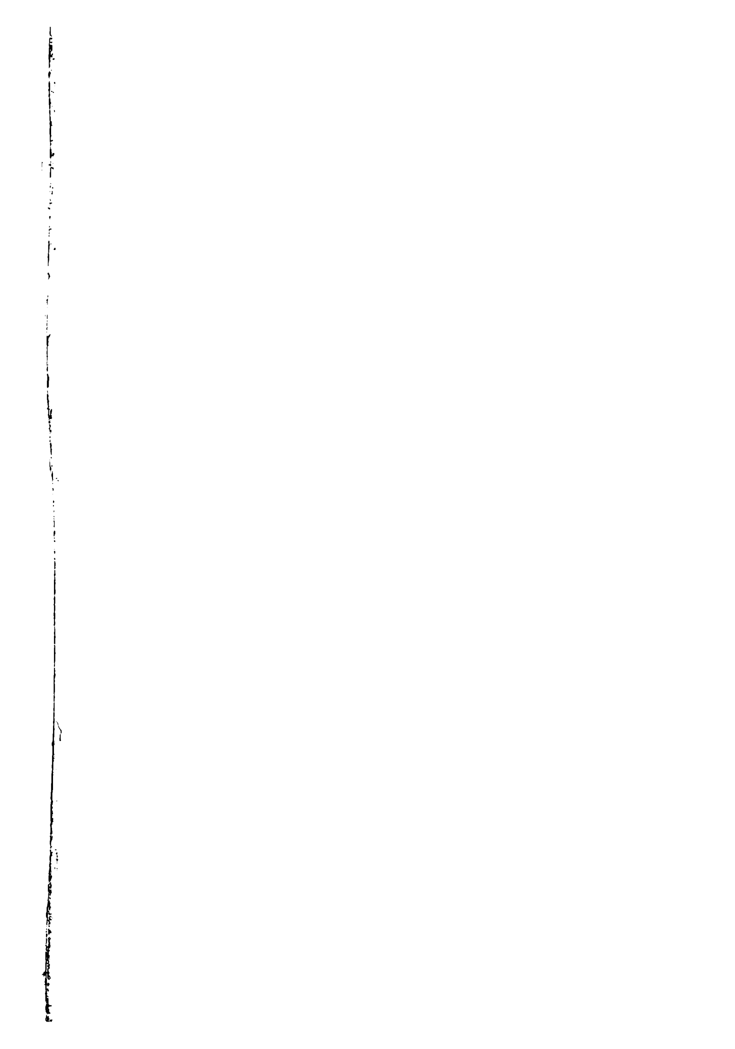
كان السيّد محمد سعيد حفيد المير حامد حسين صاحب (العبقات) يتردد على منزل الوالد. ذات مرة حضر مجلس عزاء في بيت الوالد وكان السيّد حجت موجودًا أيضًا. كان أحد الطلاب قد اتفق مع السيّد حجت أن يتعمم على يده في تلك الليلة فحوّل السيّد الأمر إلى السيّد محمد سعيد وتعمم ذلك الطالب على يديه.

مجالس العزاء في الهند

نقل الوالد عن السيّد محمد سعيد قصة تتعلق بعزاء سيد الشهداء(ﷺ) في الهند. قال: الهندوس والبوذيون يعتقدون كثيرًا بالإمام الحسين(ﷺ). كان أحدهم لا ينجب فنذر إقامة مجلس عزاء فرزق بالولد. كان يطعم

الشيعة في مجالس العزاء بأن يدفع نفقات المجلس ويقف على الباب يستقبل المعزين من دون أن يباشر الإطعام بنفسه. عندما وصل ولد هذا الرجل إلى سن الرابعة عشرة توفي فحزن عليه كثيرًا. قالت له زوجته: لا تحزن فأنت قد أخذت الولد من الإمام الحسين(ﷺ) فتوسل به الآن ليعيد الحياة إلى ولدك. أقاموا مجلس عزاء وعاد الولد إلى الحياة.







الشيخ محمد حسين المسجد شاهي (قدس سره)

(ت ١٣٠٨ ق)

زيارة أمين الله

كان الشيخ محمد رضا المسجد شاهي عالم أصفهان الكبير. كتب رسالة في (آداب شهر رمضان) لولده مجد العلماء، وسمَاها: الرسالة الأمجدية. يقول في تلك الرسالة: سمعتُ من أقرب الناس إليَ نسبًا: أنه كان يقول: كنتُ صائمًا وكنت أقرأ زيارة أمين الله في حرم أمير المؤمنين(عليه السلام). وعندما وصلتُ إلى قوله: (وموائد المستطعمين معدَة) رأيت سفرة قد امتدت أمامي وأنا آكل منها من دون أن يبطل صومي!



الشيخ لم يذكر اسم القائل لكن الميرزا عبد الله المجتهدي سمع منه أن القائل هو أبوه الشيخ محمد حسين المسجد شاهي والذي كان من أهل الكرامات.

كانوا سبعة أخوة، أكبرهم الشيخ محمد تقي الأصفهاني المعروف بآغا نجفي، ويليه الشيخ محمد حسين والآغا نور الله أخوهم أيضًا.

يقول الآغا نجفي: كنتُ مشتغلًا مع أخي الشيخ محمد حسين في العراق بالرياضات الشرعية، لكني اضطررت إلى العودة إلى إيران فلم

تكتمل رياضتي. وأما رياضة الشيخ محمد حسين فقد اكتملت. ويعترف الشيخ محمد تقي بكون أخيه من أهل الكرامات. وهو مما لا شك فيه. له كتاب في تفسير سورة الحمد يمدحونه كثيرًا وقد طبع. والشيخ القمي يمدحه كثيرًا.[١]



(١) الفوائد الرضوية، ج ٢، ص٨٢٥ (٢٧ ـ ٢ ـ ٨٧ ش).

٣٧

الشيخ زين العابدين الحائري المازندراني (قدّس سرّه)

(ت ١٣٠٩ ق)

تلميذ صاحب الجواهر

الشيخ زين العابدين المازندراني من مراجع التقليد، وكان معاصرًا للميرزا الشيرازي الكبير، وتلميذًا لصاحب الجواهر. ينقل الشيخ قدسي محلاتي (الذي كان من أصحاب السيّد أبو الحسن الأصفهاني، ثم جاء إلى قم، وربما توفي قبل الثورة) قضيةً تشبه المزاح عن الشيخ زين العابدين أنه يقول: عندما لا يدفع لي (صاحب الجواهر) شيئًا من المال أشك في اجتهاده! لأن صاحب الجواهر يعرفني ويعرف وضعي أولًا، ويعرف درجتي العلمية ثانيًا، وهو من أهل التقوى والالتزام ثالثًا فمع ذلك كوني أمر بضائقة مالية يدل على أنه حصل انحراف في فقهه، وصار لا يشخص مصارف الحقوق الشرعية بالشكل الصحيح!



الأولاد والأحفاد

من بين أبناء الشيخ زين العابدين أتذكرُ الشيخ حسين، والشيخ علي شيخ العراقين، والشيخ محمد ابن الشيخ، والشيخ عبد الله.

الشيخ حسين هو أكبر الأبناء وأشهرهم، وقد تولى المرجعية بعد أبيه. أعرف من أبنائه الشيخ أحمد والشيخ محمد باقر.

الشيخ أحمد كان في كربلاء وأنا لم أره لكني رأيتُ الشيخ محمد باقر؛

لأنه كان على علاقة مع الوالد.

أعرف من أبناء شيخ العراقين زين العابدين رهنما ورضا تجدُد. زين العابدين كان معروفا أكثر من تجدُد لكن تجدُد أفضل منه على ما يبدو. كلاهما كانا من الكتَاب. تجدُد جاء مرة إلى بيت الوالد ورأيته.





الآخوند الملا حسين قلي الهمداني (قدس سره)

(ت ١٣١١ ق)

لقاء الإمام

سُئل الآخوند الملا حسين قلي الهمداني: هل تشرفت بلقاء الإمام الحجة(عجل الله فرجه)؟ فأجاب: سمعت الهمهمة فقط.



والقصةُ أن الآخوند علم أن الإمام(عجل الله فرجه) موجودٌ الآن في مسجد السهلة في غرفة السيّد علي الشوشتري قدس سره. ذهب إلى هناك، لكنه عندما اقترب من الغرفة ناداه السيد: توقف مكانك ولا تتقدم!

يقول الآخوند: وقفت مكاني، وكنت أسمع همهمة من داخل الغرفة. وبعد مدة سمح لي السيّد بالدخول، لكني عندما دخلت لم أجد أحدًا مع السيد!

نقل أن الآخوند قال: لقد وعدني السيّد في هذا الشأن مرارًا.

كان الآخوند ملا علي المعصومي يقول: أحفاد الملا حسين قلي الهمداني ـ عليه الرحمة ـ يعرفون في زماننا بأسرة (عبد صالحي). والسبب في ذلك أن جماعة من أهل همدان دخلوا ذات مرة على الميرزا الشيرازي فسألهم: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل همدان. فقال: همدان العبد الصالح ملا حسين قلي الهمداني. فاختار بعض عائلته هذا الاسم من ذلك الوقت.

ورقة السيجارة

ينقل المرحوم السيّد علي الخلخالي عن المرحوم الشيخ جواد الجواهري يقول: ابتلي عمنا بالديون ففكرنا أن نأخذ توصية له من مراجع النجف، حيث أنه حفيد صاحب الجواهر، حتى تساعده شخصيات إيران عند ذهابه إلى زيارة الإمام الرضا(ﷺ).

كان الشيخ جواد ماهرًا وقديرًا بحيث أن كل شيء يريده لا بد أن يتحقق. سأل عن الشخصيات الموجودة في الطريق إلى مشهد وعلاقتها بعلماء النجف حتى يأخذ توصيات منهم لهم. كانت همدان إحدى مدن الطريق فسأل عن الشخصية البارزة فيها قالوا: أمير أفخم. قال: من له علاقة به من علماء النجف؟ قالوا: بما أن الآخوند ملا حسين قلي من همدان فقد تكون له علاقة به.



فكر الشيخ جواد في الذهاب إلى الآخوند. وكان الآخوند شخصًا منعزلًا لا يرتبط به إلا بعض خاصته، ولم تكن له علاقة به. ذهب الشيخ إلى المنزل ودخل على الآخوند فوجده جالسًا على فراش من الجلد. قام الآخوند احترامًا له وقدَم له الفراش وأبدى تعجبه من مجيئه. فأخبره بالأمر، وأن عمه مدين ووضعه المالي سيء، وقد فكر في أخذ توصية له، وقال: (اكتب له توصية إلى أمير أفخم). قال الآخوند: أمير أفخم من طبقة الملوك، ونحن من الرعايا. قال له الشيخ مصرًّا: لا ضرر في ذلك. لو كتبتَ له شيئًا فهل فيه ضرر؟ قال: لا. قال: تفضل بالكتابة له.

أخذ الآخوند ورقة سيجارة وكتب لأمير أفخم شيئًا ولفَها قائلًا: أعطها إياه.

استاء الشيخ من عمل الآخوند فهو يقول: إن الرجل من قبيل الملوك

ثم يكتب له على مثل هذه الورقة. قرَر أن يرميها، لكنه احتاط وقال: فلنحتفظ بها وننظر ماذا يحدث؟

أعطى الشيخ عمه التوصيات التي جمعها، ثم تذكر فجأة تلك الورقة فأعطاها إياه. انزعج العم وقال: ماهذا؟! إذا قدمت هذه الورقة إلى الرجل سيقول: هؤلاء العرب حمير وهذا هو الدليل!

أصرَ الشيخ جواد عليه بأن يقدمها للأمير وقال له: إذا قال شيئًا جارحًا فسيقوله في حق الآخوند ولن يضرك شيء.

أخذ العم تلك الورقة من الشيخ بسبب إصراره، وكانت همدان أول مدينة لديه توصية فيها. فلما دخلها سمع الناس يتحدثون دائمًا عن أمير أفخم فتذكر تلك الورقة. سأل عن منزله فقالوا: لديه قصر خارج المدينة. فذهب إلى ذلك المكان فوجده كأنه مدينة مستقلة. ولدى ذلك الرجل جماعة كبيرة جدًا من الخدم والحشم مثل السلاطين.



سألوه: ماذا تريد؟ قال: عندي توصية من الآخوند ملا حسينقلي للأمير. أخبروا الأمير، وبعد مدة ثارت ضجة، ووقف كل شخص في موقف معين بشكل خاص يستقبلون الأمير. جاء الأمير من غرفة إلى غرفة وهو يسلِم على خدمه ويردون(ﷺ) بتلك الطريقة.

قال له أمير أفخم: هل لديك توصية من جناب الآخوند؟ قال: نعم. وأخرج ورقة السيجار وقدمها للأمير فوضعها على عينه وهو يصلي على محمد وآل محمد. كرَر ذلك أكثر من مرة. ثم فتحها وقرأها. كانت عبارة الآخوند: يا أمير جنود النار! ساعد جناب الشيخ لعل ذلك يخفف عنك العذاب. أو (لعل الله يكافئك).

عندما قرأ الأمير ما كتبه الآخوند أخذ يبكي وانقلب المجلس.

ثم قال للشيخ: تفضل إلى الداخل. قدمه أمامه وكان يمشي خلفه من غرفة إلى غرفة حتى وصلا إلى الغرفة الأخيرة وهي غرفته الشخصية. قال له: ما هي مشكلتك؟ قال: ليس لديّ منزل، والديون الكثيرة. فسأله الأمير: كم قيمة المنزل الذي يناسب شأنك في النجف؟ وكم عليك من الديون؟ ثم أمر بإحضار كيس نقود. وقال: أنت متوجه للأرض المقدسة (زيارة الإمام الرضا(ﷺ)). وهذا المال يكفي لذهابك وعودتك إلى النجف وشراء البيت وأداء الدين. وأعدَ له فرسين وأرسل معه شخصا يرافقه إلى مشهد ثم إلى النجف. ترك الشيخ بقية التوصيات جانبًا، وذهب إلى مشهد بتلك الإمكانات التي وفَرها له الأمير وعاد إلى النجف.



ينقل السيّد علي الخلخالي عن الشيخ جواد يقول: أخبرونا أن العم عاد من مشهد فذهبنا لاستقباله في وادي السلام، فوجدنا لباسه ممتازًا للغاية. سألناه عن القضية فقال: بسبب ورقة السيجارة تلك. وسأخبركم بالتفاصيل في البيت. ثم لما وصل البيت نقل هذه القصة بالتفاصيل.

رسالة الأمير أفخم إلى الآخوند

كتب أمير أفخم إلى ولده رسالةً يقول له فيها: اذهب إلى حضرة الآخوند حسين قلي، واطلب منه أن يحج نيابة عني. إذا لم يقبل أصر عليه وتضرع وقبّل يده، وإذا لم يقبل انزل على رجليه وقبلهما، وإذا لم يقبل ضع رجله على رأسك، وتضرع بكل طريقة حتى يقبل الآخوند أن يحج عني. نقل أحد أبناء الخلخالي عن المرحوم السيّد بني صدر أنه قال: أنا رأيت رسالة أمير أفخم إلى ابنه.

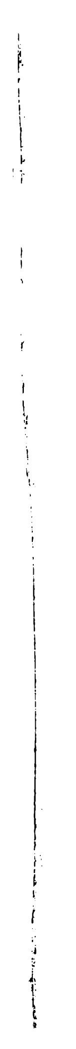
٣٩

الآخوند ملا لطف الله المازندراني (قدس سره)

(ت ١٣١١ ق)

سمعتُ الميرزا هاشم الآملي ـ عليه الرحمة ـ يقول: رأى رجلٌ قصرَ الشيخ الأنصاري، وقصرَ الآخوند ملا لطف الله المازندراني. كان الآخوند من طبقة تلامذة الشيخ ومن علماء الدرجة الأولى المعاصرين للميرزا الشيرازي. لكن الرجل رأى قصره أعلى من قصر الشيخ وأعظم. فسأل عن ذلك أو أُلهم أن هذا التفاوت بسبب أن الرياسة وصلت إلى الشيخ في الدنيا فقللَت من ثوابه في ذلك العالم. وأما الآخوند فلم تصل إليه الزعامة وأعطي الثواب كاملًا.





٤٠

الميرزا حبيب الله الرشتي (تدّس)

(ت ١٣١٢ ق)

هذه القضية سمعتُها لكني لا أعرف سندها. ذاتَ مرةٍ كان الميرزا الرشتي وأصحابه مدعوين في منزل أحد المؤمنين. صاحب المنزل كان قد أعد العشاء، لكن عندما حان الموعد التفت إلى أن في الطعام فضلة فأر ولا بد أن يعد طعامًا آخر.



الميرزا كان دقيقًا في الوقت ولا يتسامح فيه فلا بد أن يتعشى في وقت معين وينام في وقت معين وهكذا، ولذلك لو علم أن العشاء ليس جاهزًا فسيقوم ويذهب لينجز أعماله الأخرى. صاحب المنزل وقع في الورطة فاستعان بأحد أصحاب الشيخ، واسمه جناب، لكي يجعل الشيخ يتأخر إلى وقت حضور العشاء. ذهب جناب إلى الميرزا وشغله بطريقة معينة حتى حضر العشاء

قاعدة اللطف

الميرزا الرشتي كان من علماء الدرجة الأولى. سمعتُ أن الشيخ حسين اليزدي كان يقول: قاعدة اللطف تقتضي أن لا تطول سلطنة ناصر الدين شاه بعد الميرزا الشيرازي، وتقتضي كذلك أن يتوفى الميرزا الرشتي قبل الميرزا الشيرازي. سألوه: لماذا؟ فقال: لأن ناصر الدين شاه كان يخضع للميرزا الشيرازي ولا يخضع لغيره من العلماء فمقتضى قاعدة اللطف أن

لا يبقى كثيرًا بعد الميرزا؛ لكي تبقى عظمة العلماء.

وأما موت الميرزا الرشتي قبل الميرزا الشيرازي؛ فلأن المرجعية ستصل إليه لو بقي بعده ـ وهو وإن كان عالمًا كبيرًا وتقيًا ورعًا ـ لكنه لا يصلح لإدارة أمور المسلمين، ولذلك فمقتضى قاعدة اللطف أن يموت قبل الميرزا الشيرازي حتى لا تصل إليه المرجعية.



٤١

الميرزا محمد حسن الشيرازي (قدّس سرّه)

(ت ١٣١٢ق)

المواقف المختلفة

ينقل السيّد رضا الزنجاني عن والده السيّد محمد الزنجاني عن أحد العلماء أنه يقول: كانت لي مع الميرزا الشيرازي ٣ مواقف مختلفة:



ذات مرة ذهبتُ إلى الميرزا مع رجل من أهل بلدنا، فقام لنا الميرزا قيامًا كاملًا. ومرة أخرى ذهبتُ إليه بشكل خصوصي، فقال: يا الله وجلسنا. وذات مرة حضرتُ درسه ولم يلتفت لي أصلًا. فالميرزا تصرف بما يناسب المواقف فقام قيامًا كاملًا أمام صاحبي حتى يحفظ احترامي بين أهل بلدي لكنه لم يلتفت أصلًا في الدرس.

كان غاية في الحكمة، وكان يتصرف في كل موقف بما يناسبه.

طريقة الميرزا في التدريس

كنتُ أحيانًا أتناقش مع الشيخ مرتضى الحائري الذي كان صاحب فكر شابّ، وقد درستُ عنده أوائل المكاسب، فكان نقاشنا يطول. فقال لي: أنت يُناسبك درس الميرزا الشيرازي لأنه كان يمتد إلى ٧ ساعات.

سمعتُ أن الميرزا في الدرس كان يطرح المسألة، ثم يطلب من طلابه واحدًا واحدًا أن يبدوا آراءهم. كانوا يشكلون عليه أحيانًا بأن فلانًا ليس

لديه من العلم، ما يجعلك تطلب رأيه؟! فكان يقول: أحيانًا ضمن النقاش العلمي تنقدح لبعض الأشخاص شرارات معينة أنا أستفيد من هذه الشرارات، وبعد أن يسمع الميرزا آراء طلابه جميعًا يقوم بنفسه بمحاكمة الآراء والاستنتاج منها.

الاحتياط في صرف سهم الإمام

الميرزا علي الشيرازي ابن الميرزا الكبير كان محترمًا جدًا، وكان له مقلدون، لكنهم قلّة. والسببُ في ذلك أنه كان يحتاط كثيرًا في صرف سهم الإمام، فلا يأخذ منه لنفسه، ولا يُعطي إلا نادرًا. كانت جلسته رزينة ويحضرها العلماء الكبار.

نفوذ حكم الميرزا في قضية التنباك



مذكراتُ (اعتماد السلطنة)[1] جميلة جدًا في القسم المتعلق بقضية التنباك. هذا القسم هو التاريخ المُعتبر لهذه الحادثة؛ لأن (اعتماد السلطنة) كان يكتب الأحداث ليلةً بليلة وفي الخفاء.

يقول: منذ عدة سنوات توقفت مسابقة الخيول، وتم إعداد ميدان كبير لهذه المسابقة. تلك السنة كانت سنة افتتاح ذلك الميدان، وعادة ما يأتي الشباب للمشاهدة. كان عدد المشاهدين حوالي ٣٠٠٠٠ ولم يكن فيهم شخص واحد يستخدم التنباك!

وينقل اعتماد السلطنة كذلك عن أحد الأعيان أنه كان لديه بنّاءً فأخذ بالتدخين أمام العامل، فترك العامل عمله وانصرف ولم يأخذ أجره![2]

(١) اعتماد السلطنة المراغي وزير المطبوعات في زمان ناصر الدين شاه توفي سنة ١٣١٣ ق قبل سنة تقريبًا من مقتل الشاه. (السيد)

(٢) ينقل اعتماد السلطنة كذلك أنه عندما حرم الميرزا التنباك قال ناصر الدين شاه لزوجاته: انا أدخن وأنتن أيضًا دخنّ! فلم يقبلن وقلن له أنت كأنك جمعت بين الأختين! نحن لا نقلدك.

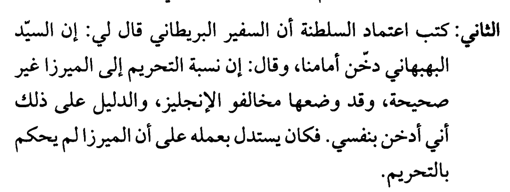
عندما ألغى الميرزا الشيرازي حكم تحريم التنباك بقي الناس مدة لا يستعملونه؛ لأنهم لم يكونوا مطمئنين أن هذا حكم الميرزا أم هو شائعة.

كان من المعروف أن السيّد عبد الله البهبهاني خالف الميرزا الشيرازي في هذه القضية. في تاريخ فتوى التنباك ينقلون أن موقف السيّد البهبهاني هذا أساء إلى سمعته كثيرًا إلى درجة أن ابنه ينقل: أننا عندما كنا نمشي في المدينة كان الأطفال يرموننا بالحجارة من السطوح!

لكنني رأيت مطلبين يتعلقان بهذا الأمر في مذكرات اعتماد السلطنة:

الأول: أن العلماء دعوا كامران ميرزا للتشاور معه من أجل أن يلغي الشاه عقد التنباك، وجاء كامران ميرزا، وكان السيّد البهبهاني موجودًا أيضًا، ولم يسمحوا بالتدخين في تلك الجلسة.





الثاني: كتب اعتماد السلطنة أن السفير البريطاني قال لي: إن السيّد البهبهاني دخّن أمامنا، وقال: إن نسبة التحريم إلى الميرزا غير صحيحة، وقد وضعها مخالفو الإنجليز، والدليل على ذلك أني أدخن بنفسي. فكان يستدل بعمله على أن الميرزا لم يحكم بالتحريم.

من هذا النقل يتبين أن السيّد البهبهاني لم يخالف حكم الميرزا، لكنه كان يعتقد أن نسبة الحكم إلى الميرزا من وضع مخالفي الإنجليز.

تلامذة الميرزا البارزون

طلبة الميرزا البارزون في زمان سامراء هم: الآغا رضا الهمداني، والسيد محمد الفشاركي، والسيد إسماعيل الصدر، والميرزا محمد تقي

الشيرازي، والشيخ حسن علي الطهراني (جد الشيخ مرواريد)[1]، والسيد عبد المجيد القرُوسي، والسيد حسين القمي صدر الحفاظ[2].

التوحيد

ينقل المرحوم الشيخ مرتضى الحائري عن المرحوم الشيخ مصطفى المحسني ـ أو عن شخص آخر من طلاب الميرزا ـ أن الآخوند الخراساني ـ عليه الرحمة ـ كان يأتي إلى سامراء مرة في السنة ويحضر درس الميرزا. عندما يشكل الآخوند يبدأ ببيان مقدمات مفصلة فنقول نحن: كلام الميرزا لن تكون له قيمة بعد هذه المقدمات!

ثم عندما يبدأ الميرزا في الجواب يصبح كلام الآخوند لا شيء أمامه!



جملة معترضة: كانوا يقولون للآخوند: أنت مشرك في مجيئك إلى سامراء. فيقول: لا. أنا موحِد لأني أخرج من النجف بقصد الاستفادة من الميرزا فقط فلا يوجد شرك. وفي سامراء عندما أتوجه من البيت إلى الحرم يكون ذلك بقصد الزيارة فقط لا غير.

وكان الميرزا يشجع الطلبة الممتازين ـ مثل الآخوند ـ كثيرًا حتى أن ديون الآخوند عندما كانت تتراكم ـ وحيث أنه كان سخيًا للغاية فإن ديونه ستكون ثقيلة ـ كان يأتي إلى الميرزا مرة في السنة فيقضي جميع ديونه ويؤمن معيشته بشكل سنوي.

المستوى العلمي

كان الميرزا على مستوى رفيع في العلم حتى أن البعض يرجحونه

(١) كان الشيخ حسن علي محط عناية الميرزا، وقد قال له الميرزا: ما دمتُ حيًا فلا تتركني وحيدًا ولا تخرج من سامراء. وكذلك كان فلم يخرج من سامراء طيلة حياة الميرزا. (السيد)

(٢) السيّد عبد المجيد والسيد حسين كانا أيضًا مستشاري الميرزا. (السيد)

على الشيخ الأنصاري.

سمعتُ الشيخ مرتضى الحائري ـ ربما عن والده الشيخ عبد الكريم ـ أن الفاضل الأردكاني كان شخصية استثنائية ـ وكان معاصرًا للشيخ الانصاري ـ وكان البعض يرون أنه أعلم من الشيخ.

ومع ذلك فإن الميرزا محمد تقي الشيرازي والسيد محمد الفشاركي كانا يحضران درس الفاضل الأردكاني ثم لما حضرا درس الميرزا سُئلا: أي الأستاذين أفضل؟ فقالا ـ أو قال أحدهما ـ: آخر فكر الأردكاني أول فكر الميرزا!

كان عدة من العلماء يعتقدون بتقدم الميرزا على الشيخ، وهذا أحد الشواهد على ذلك.



وقد كان كبار الطبقة اللاحقة من العلماء المحققين كلهم من تلامذته. مثل: الآخوند الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي والسيد إسماعيل الصدر والسيد محمد الفشاركي والميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني و ....

وأما تقديم الميرزا حبيب الله الرشتي على الميرزا الشيرازي، فلا أساس له من الصحة.

إعتماد الشيخ الأنصاري على الميرزا

ذات مرةٍ سمعتُ السيّد عز الدين الزنجاني ينقل عن والده المرحوم إمام الجمعة يقول: ذهبنا إلى بيت السيّد أحمد سبط الشيخ في النجف ـ أو في مكان آخر ـ فقال لنا: هل ترغبون برؤية كتاب الرسائل بخط الشيخ؟ قالوا: ذلك غاية المنى أن نرى خط الشيخ. فأحضروا لهم الكتاب. يقول: رأيت مواضع كثيرة قد مسح سطر أو أسطر بخط ممتاز باللون الأحمر

وكتب في الحاشية. سألت: ما هذا؟ قال: هذه إصلاحات المرحوم الميرزا الشيرازي. كان الشيخ قد دفع الكتاب إلى الميرزا ليصلحه فقام الميرزا ببعض التصحيحات وأمر الشيخ بطباعة الرسائل بإصلاحات الميرزا.

فإذا كان مثل الشيخ ـ وهو المفكر الذي لا يطمئن في المطالب العلمية الدقيقة بسرعة ـ يعطي الكتاب للميرزا، فيحذف الميرزا ما يرى حذفه ويأمر الشيخ بطبعه كذلك، فهذه علامة اعتماد فائق من الشيخ على الميرزا. ولا شك أن الميرزا كان من النوابغ في الجانب العلمي.

حوار سبع ساعات

كان عشق الميرزا للمطالب العلمية إلى درجة تجعله يتباحث أحيانًا سبع ساعات. سمعتُ الشيخ مرتضى الحائري ـ والظاهر أنه ينقل عن والده الشيخ عبد الكريم ـ يقول: ذات مرة انقطعت العلاقة بين إيران والعراق، واستمر ذلك سنة أو سنتين. فكان الزوار قليلين، وحصل للميرزا بذلك بعضُ الفراغ فكان يتباحث مع طلابه لمدة ٧ ساعات. كان يمتلك فكرًا قويًا، وكان أولئك الطلاب كذلك، فكان يدعهم يفكرون ويسألهم عن رأيهم. وكان في النهاية يقارن الآراء ويختار الرأي المناسب.



الميرزا النائيني يعبر عنه في بحث: (اللباس المشكوك) بفخر البشر.

الأركان الأربعة للمرجعية

للمرجعية أركانٌ أربعة إذا اجتمعت في شخص يكون أهلا لها. وقد اجتمعت في الميرزا. وهي: العلم في أرفع مستوى، والتقوى في أعلى مستوى، والأخلاق، والعقل كذلك.

هذه الأربعة اجتمعت في الميرزا في حدها الأعلى، فلا يحق لأحد أن يشكّك في مستوى علم الميرزا. ولو لم يكن هناك شاهد على علمه إلا

طلابه لكفى. فإنا لا نرى عالمًا قديرًا في ذلك الزمان إلا وقد تربَى على يده. فهو مثل الوحيد البهبهاني الذي يدلّ طلابهُ ـ مثل: السيّد بحر العلوم وصاحب الرياض وكاشف الغطاء والميرزا مهدي الشهرستاني والسيد محسن الأعرجي والملا مهدي النراقي ـ على مستواه العلمي الرفيع. هناك عالمان في تاريخ التشيع كان طلابهما أفضل الطلاب على الإطلاق هما: الوحيد البهبهاني، والميرزا الشيرازي.

امتحان الوالد

وإضافة إلى ما سبق، فإن الميرزا كان عاشقًا للعلم بشكل كبير، وعلى ذلك شواهد. منها: ما نقله السيّد مهدي الروحاني، عن عمه السيّد أحمد عن السيّد عبد الهادي الشيرازي عن السيّد علي ابن الميرزا قال: في اللحظات الأخيرة من حياة الميرزا شككنا هل مات أو لا يزال على قيد الحياة؟



تقرّر أن يقوموا باختبار وعيه. قال أحدهم: جاء شخص من قبل الحكومة العثمانية لزيارتك. فلم يتحرك. وقال آخر: جاء السفير الإيراني ليسلم عليك. فلم يتحرك. فقال الميرزا علي ابنه: أنا أعرف كيف يتحرك أبي. فقال له في أذنه: ما هو حكم الخبز المحترق؟ فتحرك الميرزا وقال: من أي جهة نعرف حكمه؟ هل نقول إنه حرام من باب حرمة أكل الخبائث؟ أو من باب الضرر؟ أو نقول إن تحريمه يؤدي إلى رمي الخبز غير المحترق مع المحترق في كثير من الأحيان، فيلزم من تحريمه محذور ويحصل تزاحم فنقول: الحرمة ليست فعلية من أجل ذلك؟ فبين الميرزا كل هذه الفروض في تلك الحال!

اللّدغة

ومنها: ما سمعتُه من الآخوند الهمداني والسيد أخوان المرعشي.

الآخوند الهمداني ينقل عن الشيخ عبد الكريم الحائري أنه حصل نقاش بين الميرزا والسيد الفشاركي في الدرس في مسألة تطهير الشمس بالإشراق أنه: إذا لم تُشرق الشمس على مكانٍ، لكن الرطوبة جفت فيه بسبب مجاورته للمكان الذي أشرقت عليه الشمس، فهل يطهر؟ الميرزا كان يشترط الإشراق، والسيد محمد يرى أنَّ الانتساب للشمس كافٍ، ولو بالمجاورة. وقد اقتنع السيّد برأي الأستاذ وانتهت الجلسة.



بعد مدةٍ لدغت الميرزا عقرب. يقول الشيخ عبد الكريم: ذهبنا مع أستاذنا السيّد محمد الفشاركي لعيادة الميرزا، فسلم السيّد على الميرزا وكان الميرزا يتألم، لكنه بمجرد أن ردّ سلام السيد، قال له: إذا قلت: العقرب لدغتني. فهذا يعني أن إبرتها أصابت يدي لا أنها أصابت مكانًا آخر وأثَر ذلك في يدي.

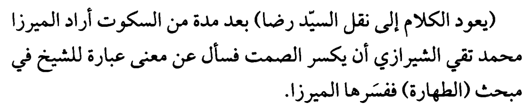
وأما السيّد أخوان مرعشي فكان ينقل عن السيّد عبد الهادي الشيرازي أنه: كان في سامراء نوعٌ من النمل السام، مثل العقرب، عندما يلدغ الانسان يتألم ساعة أو ساعتين، ثم يطيب بعد مدة. كان أصحاب الميرزا يراقبون هذا النمل حتى لا يلدغ الميرزا، لكنه لدغه على كل حال. عند ذلك أراد الأصحاب أن لا يشعر الميرزا بالألم، فطرحوا هذه المسألة المختلف فيها بين الشيخ الأنصاري والشيخ محمد تقي، وهي: أنَّ مفهوم قولهم لا ينجسه شيء، هل هو سالبة كلية يعني ينجسه كل شيء؟ أو سالبة جزئية يعني ينجسه بعض الأشياء. هذا البحث استمر بطبيعة الحال عدة ساعات

وخاض فيه الميرزا، فلم ينتبه للألم حتى زال[١].

السكوت المطلق

سمعتُ السيّد رضا الزنجاني ينقل عن الشيخ الحائري أيضًا قوله: كنا في درس الميرزا فحصل نقاش بين أحد طلبة الميرزا الممتازين (أظن أنه السيّد محمد الفشاركي) وبين شخص آخر قريبٌ منه في المنزلة. كان الميرزا يتحدث. فقال للسيد محمد: اسكت سيدنا. انزعج السيّد وقال: سيدنا. نحن كنا نتحدث معًا، فلنماذا خصصتني بالخطاب؟ (هذا القسم ينقله الشيخ مرتضى الحائري). فقال الميرزا: هذه المطالب التي توصلتم إليها الآن توصلنا إليها نحن قبل أربعين سنة ثم تجددت لنا آراء أخرى. وحيث انزعج الميرزا، فإنه سكت سكوتًا مطلقًا، ولم يكن أحد يستطيع ان يتكلم في ذلك الموقف.





(يعود الكلام إلى نقل السيّد رضا) بعد مدة من السكوت أراد الميرزا محمد تقي الشيرازي أن يكسر الصمت فسأل عن معنى عبارة للشيخ في مبحث (الطهارة) ففسَرها الميرزا.

(١) سمعتُ هذا المطلب من الشيخ الأراكي والآخوند الهمداني. كان الآخوند الهمداني ينقل عن الشيخ الحائري قوله: لم أر في حياتي عاشقا للأمور العلمية مثل شخصين كانا يعشقان العلم إلى درجة لا تمنعهما الموانع العادية وحتى غير العادية عن متابعته. أحدهما: الشيخ محسن العراقي حيث نقلوا عنه انه كان يجلس على المائدة فلا يستطيع الصبر حتى يوضع الطعام فيبدأ بطرح مسالة علمية. والثاني هو الميرزا الشيرازي كما جاء في المتن.

كان الشيخ محسن استثنائيًا أيضًا في هذا المجال. ينقل الشيخ الأراكي عن الشيخ الحائري أيضًا أنه قال: كنت في أراك. عدت إلى البيت عند الظهر فأردت ان أبدل ملابسي فطرق الباب وإذا بأحد خدم الشيخ محسن يقول: إن الشيخ يريدني في مسألة عاجلة. ثم جاء الخادم الآخر مباشرة يستحثني، وفي الطريق جاء الثالث وعندما أصل إليه يقول مثلا: لدي شبهة في هذا الحديث. فما رأيك؟ ويتحدث حتى ينحل الإشكال. فكان الشيخ محسن عاشقًا للعلم لا يصبر عنه أبدًا. (السيد).

يقول الشيخ الحائري: أنا متأسف لأني لم أدوِن ذلك التفسير؛ لأننا لم نستطع أن نفهم تلك العبارة برغم ما بذلناه من جهد. والظاهر أن الميرزا محمد تقي لم يكن قد توصل إلى معناها.

الفكر السيّال

كان الميرزا من ناحية التفكير يمتلك فكرًا سيالًا وذهنية جوالة بشكل عجيب. هناك فرقٌ أساسي بين طريقة البحث السامرائي والبحث النجفي. القطعية في التعبير طريقة النجفيين، والتردد فيها طريقة السامرائيين. يقول الشيخ المجتهدي: النجفيون تمثلهم كلمة إنما، والسامرائيون تمثلهم كلمة لعل.



وعلى كل حال فالميرزا الشيرازي كان كثيرًا ما يغيّر آراءه بسبب تجدد فكره. وكان تقيًا يخاف الله، فلا يسارع إلى الفتوى حتى لا يقع في الإشكال فيأمر بالاحتياط، وقلّما يفتي. لذلك ينقض البعض دعوى أن الاحتياط حرجي وغير ممكن بأن الميرزا كان مرجعًا لمدة طويلة وكان يأمر مقلديه بالاحتياط ولم يقع أي اختلال في النظام.

الأخلاق

وكما شهد له بالتقدم في العلم طلابُه الأوائل، كذلك شهدوا له بالتقوى والأخلاق، مثل: الميرزا محمد تقي الشيرازي. الفاضل الأردكاني أيضًا ـ الذي كان من طبقة الشيخ الأنصاري ثم عاصر الميرزا ـ كان يرجع الآخرين إليه في التقليد، وينتقد بعض من يكتبون الرسائل العملية قائلًا: هل من المقرر أن تكتب رسالة عملية لكل بضعة أشخاص؟ الميرزا عالم كبير وتقي أيضًا.

ينقل السيّد أبو الفضل الزنجاني عن والده السيّد محمد قال: ذهبتُ إلى

الميرزا ـ وكان الميرزا مشغولًا بكتابة جواب استفتاء ـ فدخل سيد وطلب المساعدة فلم ينتبه إليه الميرزا، فغضب السيّد وصرخ على الميرزا: هذا الذهب والفضة يتحول يوم القيامة إلى عقارب وحيات وإلى نيران ويحيط بعنقك!

أراد أصحاب الميرزا أن يخرجوه بسبب إهانته للميرزا، لكن الميرزا لم يسمح بذلك، وكان غاية في الأدب، فناداه واعتذر منه بأني كنت مشغولًا بالكتابة، ولم ألتفت إليك، وقدم له مقدارًا من المال وذهب. عند خروجه قال الميرزا هذه الكلمة فقط: من الواضح أن شدة الحاجة جعلت السيّد لا يتحمل. كان هذا تعبيره فحسب.



مراعاة الناس

كان المرحوم السيّد حسين الكوه كمري في الدرجة الأولى من العلم والتقوى، لكنه لم يكن يملك حُسن المعاملة الذي يملكه الميرزا. ينقل الشيخ مرتضى الحائري ـ مثلًا ـ أنه كانت هناك امرأة تطلب المساعدة من السيّد ومن الميرزا. كان الميرزا مثلًا يعطيها تومانًا واحدًا، والسيد يعطيها مائة تومان. لكن تلك المرأة كانت تدعو دائمًا للميرزا، وتدعو على السيد.

لا كلام في تقوى السيد. لكن الميرزا كان ممتازًا في سلوكه مع الناس، وإذا دفع للفقير القليل يعتذر منه بشكل يجعله دائمًا يدعو له، على العكس من السيّد الذي كان يشتدُ على الفقير مثلًا بشكل يجعله يدعو عليه.

تأخير الغداء

سمعت الشيخ مرتضى الحائري يقول: دعا الميرزا ذات مرة السيّد إسماعيل البهبهاني ـ الذي كان مرجعًا في طهران ـ على الغداء في مسجد الكوفة. تأخر إعداد الطعام إلى الثالثة بعد الظهر. كان الميرزا مؤدبًا جدًا

وخجولًا، فكان يتألم في باطنه كثيرًا لتأخر الغداء على مثل هذا الضيف المحترم الذي دعاه. في النهاية جاؤوا بالغداء عند الثالثة بعد الظهر. الكلمة الشديدة الوحيدة التي قالها الميرزا للخادم: فلان، لماذا؟

العقل وحسن التدبير

من الأمور المتفق عليها أنَّ الميرزا كان نابغةً في العقل والتدبير. وهناك قضايا كثيرة تنقل بهذا الصدد.

في أحد الأزمنة حصل بين الشيعة والسنة في سامراء اختلافٌ شديد وجرت في ذلك بعض الدماء، إلى درجة ينقل الميرزا عبد الله المجتهدي عن الشيخ عبد الكريم الحائري أنهم طلبوا من حمّال سني أن ينقل عفشًا كان في السرداب إلى مكان آخر فرفض الحمّال أن ينزل إلى السرداب برغم إصرارنا؛ لأنه كان يخاف أن ينزل فيقع في فخ مثلًا ويقتل. كانت الأوضاع مضطربة إلى هذه الدرجة.



جاء رسولٌ من طرف البريطانيين للميرزا لمساعدته في حل المشكلة قائلًا: كل ما تأمر به فسنقدمه لك ونطيعك في هذا الأمر. فقال الميرزا: مشكلتنا مشكلة داخلية بين العائلة الواحدة. اثنان من الأخوة بينهما مشاكل، وليس من الصحيح أن يتدخل الآخرون. سنحلها بأنفسنا ولا داعي لتدخلكم. لم يفسح لهم المجال. فبلغ ذلك السلطان العثماني فأمر بإطاعة أمر الميرزا في هذا المجال.

الفراسة والكياسة

كان الميرزا عجيبًا في فطنته وفهمه للغاية. ينقل السيّد رضا الصدر عن الشيخ الأنصاري الخطيب المعروف عن الشيخ عبد الكريم الحائري يقول: في أواخر أيام الميرزا بلغت مرجعيته مبلغًا عظيمًا فكان الوصول

إليه صعبًا لكثرة طالبيه. كان عمره كبيرًا أيضًا ومسؤولياته كثيرة، فكان يأذن إذنًا عامًا بين الفينة والأخرى حتى يزوره من يرغب في ذلك. في إحدى المرات كان الناس يأتون للسلام على الميرزا، لكنه كان يركز نظره على شخص معين في المجلس. وكلما جاءه شخص وقبّل يده لا يغيّر الميرزا نظرته. حتى وصل ذلك الشخص الذي كان الميرزا ينظر اليه ليقبّل يده. سأله الميرزا مثلًا: من أين أنت؟ قال: من كربلاء. سأله: لماذا جئت هنا؟ قال: للدراسة في سامراء. فقال الميرزا: أنا أحكم عليك بلزوم العودة إلى كربلاء الآن. وسوف يُدفع لك في كربلاء الراتب الذي يستلمه الطلاب في سامراء. يجب أن ترجع الآن مباشرة.



استدعى الميرزا خادمه وسأله: متى يتحرك القطار؟ قال مثلا: بعد نصف ساعة. فقال له الميرزا: خذ هذا الرجل وأوصله إلى القطار وابق معه حتى يركب ثم ارجع. بعد نصف ساعة وبعد ساعة كان الميرزا يسأل عدة مرات: هل عاد الخادم؟ وبقي ينتظر ويعدّ الدقائق حتى يعود الخادم. وأخيرًا عاد الخادم فسأله الميرزا: هل أرسلته؟ قال: نعم. هل كنت هناك حين مشى القطار؟ قال نعم. هل سافر قطعا؟ نعم. فكان الميرزا يكثر السؤال حتى يطمئن بعودة ذلك الشخص إلى كربلاء.

بعد ذلك سأله أصحابه: لماذا أعدت هذا الشخص إلى كربلاء بكل هذا الإصرار؟ فقال الميرزا: عرفت من ملامحه وشكله ولباسه أنه لو بقي فسيسبب لنا مشكلة. لقد بذلنا جهدًا كبيرًا لحل الخلاف بين الشيعة والسنة حتى لا تحصل مشاكل وتصبح سامراء مركزًا للشيعة. وكان من الممكن أن يقوم هذا الشخص بعمل واحد يقضي على كل ما فعلناه، فيقوم باللعن مثلًا في الحرم وتتأزم العلاقات من جديد.

بعد ذلك رأوا ذلك الشخص فكان يقول: سامح الله الميرزا لم يتركنا

نقرأ على الأقل دعاء صنمي قريش!

هذه القصة تحكي عن ذكاء الميرزا وفراسته وكيف كان يعرف الناس.

السمعة الأولية والثانوية

ومن القضايا التي تعود إلى حسن تدبير الميرزا من جهة، وإلى تقواه من جهة أخرى هذه القضية:

ذات مرة أخبروا الميرزا أن أحد وكلائك لا يراعي الضوابط في صرف سهم الإمام وما شاكل ذلك فلتعزله. لم يوافق الميرزا فأصروا عليه حتى قال لهم: سبب رفضي أنه يجب الالتفات إلى أن هذا الرجل كانت له سمعة حسنة قبل أن أعطيه الوكالة. وبعد أن أعطيته حصلت له سمعة إضافية. فإذا كان يجوز لي أن أخرب سمعته فإنما يجوز ذلك بالنسبة إلى السمعة الثانية التي حصل عليها من قبلي. وأما السمعة الأولى فلا يحق لي ذلك. وإذا عزلته الآن ستسقط سمعته بشكل كامل. أنا لا أرى ذلك من حقي.



بعد ذلك كتب الميرزا إلى ذلك الوكيل أن هذه الأخبار قد وصلت، وقد دافعت عنك وحافظت على سمعتك. فلا تعمل عملًا يضطرنا إلى اتخاذ موقف آخر. يجب أن تنتبه إلى نفسك.

وبهذه الرسالة أصلح الميرزا ذلك الرجل ما يكشف عن عقل وتدبير ممتازين ودرجة عالية من التقوى.

هل دعوت له؟

هذه القصة ينقلها الشيخ حيدر الهمداني والد زوجة الشيخ مفتح عن أستاذه السيّد عبد المجيد القروسي، الذي كان من تلامذة الميرزا الذين يستشيرهم في الأمور ويتمتع بعقل وتدبير استثنائي. إضافة إلى أنه كان

خطاطًا من الدرجة الأولى في الخط (شكسته)[١].

كان السيّد عبد المجيد يعمل مع الميرزا، وكان من تلامذته البارزين ومستشاره في تدبير الأمور، وكان هو الذي يكتب رسائل الميرزا؛ لأنه كان ممتازًا في الخط وفي الإنشاء ومن أهل الذوق والكمال.

كان الميرزا يريد أن يكتب رسالة إلى ناصر الدين شاه فأعدّها السيّد عبد المجيد وقدمها للميرزا حتى يمضيها. عندما قرأها الميرزا توقف عندها وقرأها مرة أخرى وأخذ يفكر حتى طال الأمر. فسأله السيد: إذا كان في الرسالة خطأ بحسب نظرك الشريف سأكتب غيرها. لماذا تتأمل فيها؟

قال الميرزا: لقد كتبت في هذه الرسالة للشاه: (إني أدعو لكم) وأنا أفكر الآن هل أنا أدعو له حقًا؟ هل دعوت له؟ هل هذا الكلام صحيح ويجوز كتابته شرعًا؟



بعد مدة قال الميرزا: لا مانع. اكتب هذه العبارة لأن الشاه قدم خدمة للشيعة في قضية معينة، فدعوت له فلا مانع من كتابة هذه الجملة.

كان الميرزا مراقبًا لنفسه بتمام معنى الكلمة!

كان كبار العلماء المعنويين يعتقدون بالميرزا مثل الشيخ حسن علي الطهراني الذي كان من أهل الكرامات وكان مجتهدًا رفيع القدر.

الميرزا نفسه كان على مستوى خاص من الأخلاق. سمعتُ السيّد أخوان المرعشي يقول: كان الميرزا إذا زاد عدد زواره، وزاد السلام عليه وتقبيل يده والهتاف بالصلوات لأجله، كان أحد برامجه أن يأتي الآخوند ملا فتح علي بعد ذهاب الزوار ويعظ الميرزا: (أنه لا ينبغي أن تغتر. هذه

(١) البعض يعتبره الأول في هذا المجال. وقد سمعتُ أن كتابته بهذا الخط تشتبه مع كتابة درويش. (السيد)

الأمور الظاهرية ليست شيئًا مهمًا) حتى يزول السم الذي تحتويه مثل هذه الأمور، ولا يستقر في قلب الإنسان؛ لأن هذه الأمور تؤثر في الإنسان على كل حال. وربما تؤدي الأمور الدنيوية إلى التأخر في الجهات المعنوية. ولذلك كان من برنامج الميرزا أن يأتي الملا فتح علي حتى لا يستولي عليه الهوى لا سمح الله.

قضية التنباك

في قضية فتوى التنباك، كان الميرزا لعقله وعلمه وتقواه يسعى لرعاية الجوانب المختلفة للقضية. فمن ناحية كان لا يريد تضعيف ناصر الدين شاه في مقابل العثمانيين؛ لأنه كان يتظاهر بالتشيع، وكان يحب الشيعة واقعًا، وقد تسعى الدولة العثمانية للاستيلاء على إيران من هذا الطريق، حيث كان هذا الخطر موجودًا إلى حدٍّ ما. كان العثمانيون يأتون أحيانًا ويستولون على بعض المناطق في إيران حتى أني سمعتُ أن الميرزا بعد أن اضطر لإصدار الفتوى كان يقول: ليس من الجيد أننا أضعفنا الشاه الشيعي في مقابل الآخرين. فهذا أحد العوامل لتأخر الميرزا في إصدار الفتوى.



ومن عوامل التأخير أيضًا أنه كان يرسل أشخاصًا إلى المناطق المختلفة لتهيئة الأرضية لصدور الحكم لأنه كان يعتقد أنه لو صدر الحكم وخالفه شخص في طهران وآخر في تبريز و ... فسيكون ذلك في ضرر التشيع وسيكون ضربة للعلماء. كان يرى أنه يجب أن تكون هناك وحدة كلمة في هذا الشأن، وإلا فليس من المصلحة إصدار الحكم. ولذلك فقد طال الأمر عدة أشهر حتى تهيّأت المقدمات وحصلت موافقة العلماء حتى لا يحصل اختلاف.

هذه القضية ينقلها الشيخ مرتضى الحائري عن السيّد حسين الحائري

عالم كرمانشاه الكبير الذي كان قد أُبعد إلى مشهد وهو ابن أخ السيّد محمد الفشاركي.

كان يقول: كان أصحاب الميرزا يتناقشون حول الموقف الذي ينبغي أن يتخذه الميرزا في القسم الخارجي من بيته، ثم يُدوّنون آراءهم ويُرسلونها إلى الميرزا داخل البيت حتى يطالعها. كان السيّد محمد الفشاركي من الأشخاص الذين يعتقدون بلزوم اتخاذ الموقف. وكان البعض يقول: ليس ذلك من المصلحة؛ لأن الإنجليز لديهم عملاء كثيرون، وإذا اتخذ الميرزا هذا الموقف فسيغتالونه. لكن السيّد محمد الفشاركي كان يقول: يجب أن يتخذ الميرزا موقفه. وحياة الميرزا لا قيمة لها في مقابل مصالح الإسلام الكبرى.



في النهاية قرر السيّد محمد الفشاركي أن يذهب إلى الميرزا ويتحدث معه. دخل على الميرزا وكان الميرزا مؤدبًا جدًا وطلابه مؤدبون يجلسون أمامه بأدب خاص.

ـ ينقل الشيخ مرواريد عن بعض المطلعين: أن الميرزا عندما يأتي إلى مجلس العزاء يجلس الناس (وكأن على رؤوسهم الطير). حيث كانت للميرزا عظمة عجيبة ـ.

دخل السيّد محمد وجلس أمام الميرزا تلك الجلسة الخاصة كالعادة. ثم قال له: أنا أرجو منك أن تسقط حقوقك عليَ لعدة دقائق، حتى أتمكن من عرض رأيي بحرية. قال الميرزا: أسقطتها. غيَر السيّد جلسته، وقال: يا سيد! لماذا لا تتخذ موقفك؟ لماذا تتردد هل تقول أني أقتل؟ هذه غاية آمالنا أن يستشهد أستاذنا في سبيل الإسلام. ما هذا العذر؟ لماذا تتأخر؟

قال الميرزا: منذ مدة طويلة وأنا أفكر في الأمر، لكني كنت أريد أن

يكتب هذا الأمر بيد شخص آخر. وقد ذهبت اليوم صباحًا إلى السرداب المقدس، وتحقق هذا الأمر، فكتبتُ الجواب.

الحوالة التي لم تدفع

ينقل السيّد علي اللواساني أخو السيّد محمد صادق اللواساني، أظنه عن خاله الشيخ حسين مشكوري (وكان من علماء النجف الموجهين وقد رأيته)، عن والده الشيخ مشكور، يقول: كنت أريد الذهاب من النجف إلى سامراء لزيارة الميرزا، فقال لي سيد رشتي سآتي معك. حاولتُ أن أصرفه وأذهب لوحدي فلم أتمكن. فلما ذهبنا إلى سامراء للقاء الميرزا سألوا عن أسمائنا فقلت: أنا مشكور بن الشيخ محمد جواد. وهذا السيّد هو فلان. نريد أن ندخل على السيد.



ذهب الخادم ورجع، فقال: تفضل يا شيخ مشكور. ولم يذكر صاحبي. دخلت أنا، فسأل الميرزا عن أحوال والدي وعن أوضاعي. (يقولون إن الميرزا كان يستقبل الأشخاص بحفاوة بالغة، ويسأل عن أحوالهم كأنه لا يعرف غيرهم). ثم أعطاني مبلغًا من المال لي، ومبلغًا آخر لوالدي. خرجت مع ذلك السيّد فقال: ما الذي حصل؟ فقلت له: ليس ذنبي.

بعد ذلك دخل الشيخ مشكور مرة أخرى على الميرزا ونال عنايته، لكن ذلك السيّد لم يسمح له.

عند ذلك جاء ذلك السيّد إلى حارس بيت الميرزا وكان بينهما قرابة فقال له: كيف يمكنني لقاء الميرزا؟ قال الحارس: عادة يكون الميرزا مستيقظًا إلى ما بعد منتصف الليل. عندما أبتعد أنا عن البيت قليلًا يمكنك الدخول من فتحة السقف الموجودة في غرفته.

قبل ذلك السيّد وألقى بنفسه من الفتحة وأخذ يجمع الأموال من

الذهب والفضة وأمثالها. كان الميرزا يكتب أجوبة الاستفتاءات فقال له: أنا كنت أرى أن هناك إشكالًا شرعيًا في إعطائك المال. الآن وقد جئت تأخذ المال بنفسك فخذ ما تأخذه ولن يكون عليَ إشكال. ثم قال له: إذا أردت الذهاب الآن فالطرق غير آمنة، ويمكن أن يأخذوا أموالك أو يقتلوك. فاحسب هذه الأموال وأنا اكتب لك حوالة بمقدارها إلى وكيلي في الكاظمية لتأخذها منه. قبل السيّد فكتب الميرزا الحوالة وأعطاها إياه. لكنه أرسل من جهة أخرى رسولًا إلى الكاظمية يخبر الوكيل بأن هذه الحوالة لا تدفع. ذهب السيّد إلى الكاظمية فاعتذر منه الوكيل. بعد ذلك كتب رسالة مليئة بالسباب والشتائم للميرزا فكتب الميرزا تحت الرسالة: سلام عليكم. إشارة إلى قوله تعالى: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. وأرسلها اليه.



بعد وفاة ذلك السيّد تبين أنه كان ثريًا جدًا، وأنه جمع أموالا كثيرة. فكان الميرزا يمتلك بصيرة خاصة نحوه ويعرف خصوصياته، ولهذا لم يكن يعطيه شيئا مهما حاول.

تفسير الرؤيا

يقول الشيخ عبد النبي النوري:

كان كتاب (الوسائل) قد طُبع طبعة واحدة فقط، فكان الكثير من أهل العلم يحتاجونه فلا يجدونه ـ لأن العدد كان محدودًا ـ فكانوا ينسخونه. وقد قمتُ أنا بتكليف البعض بكتابته لي، فأصبحت مدينًا بمائة تومان في ذلك الوقت بسبب هذا الأمر وأمور أخرى. وكانت لنا في نور ومازندران أملاك تباع محاصيلها وترسل إلينا الأموال، وقد اقترضت ذلك المبلغ اعتمادًا على ذلك.

لكن عاملنا هناك أرسل لي أنَّ المطر انقطع السنة ويبس المحصول فلن نستطيع أن نرسل لك شيئًا، بل يجب أن نساعد الفلاحين أيضًا.

كان أحد الدائنين نجّارًا فأرسل مساعده للمطالبة بالدين. فقلتُ له: ليس لديَّ المال، وعندما يتوفر عندي سأدفع. بعد عدة أيام جاء النجار بنفسه وتكلم بغضب إلى حدٍّ ما قائلًا: هذا لا يصح، نحن ليست لدينا ثروة كبيرة. دخلنا محدود بهذه المبالغ التي نأخذها منكم، وإذا لم تعطونا فستتعطل أعمالنا.

قلت له: أنا لا أماطل. أنا اعتمدت على ذلك ولم يتيسر السنة فبمجرد أن يتوفر سآتي به. قلت هذا، لكني انفعلت كثيرًا وانقلب حالي.



كان الوقت صيفًا، وكان الجو حارًا، وكنت نائما فرأيت الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ في الرؤيا جالسًا على وسادة وأمامه صندوق. قبّلت يده فأشار إلى الصندوق قائلًا: افتحه وخذ ١٢٠ تومان. ١٠٠ لديونك و٢٠ لبقية مصارفك.

رأيتُ ذلك في الرؤيا، وبعدها طُرق الباب، فقالوا: خادم الميرزا. ومع أني كنت منزعجًا ومتضايقًا ذهبت لأجل رسول الميرزا فقال: الميرزا يطلبك.

كان صعبًا عليَ الذهاب في ذلك الحال، لكني لم أكن أستطيع أن أتخلف عن أمر الميرزا. ذهبتُ إلى بيت الميرزا في القسم الخارجي فقالوا: تعال إلى القسم الداخلي. دخلتُ، فقالوا: تفضل في السرداب. فرأيت الميرزا في نفس الحالة التي رأيت فيها الرسول ﷺ وقال: خذ ١٢٠ تومانا من ذلك الصندوق. ١٠٠ لديونك و٢٠ لمصارفك.

أردتُ أن أقول له: إني رأيت ذلك في الرؤيا. فلم يدعني وقال: لا

حاجة لذلك. وكان من الواضح أنه كان على علم بالأمر.

فكان الميرزا صاحب كرامات. كان من المجاهدين بمعنى الكلمة. وبمقتضى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فلا بد أن تشمله هذه أمثال العنايات.

الميرزا والشريف

نقلوا أن الميرزا الشيرازي عندما تشرف بزيارة مكة سنة ١٢٨٧ كان شريف مكة يرغب أن يحدد له موعدًا للقائه. فأرسل إلى الميرزا رسولًا يقول له: الوقت الآن مناسب ليشرّف السيد. فقال الميرزا للرسول: قل للشريف: إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فقولوا: بئس العلماء وبئس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا: نعم العلماء ونعم الملوك. عاد الرسول وأخبر الشريف بكلام الميرزا فأعجبه وذهب لزيارته[1].



سفر الشاه ناصر الدين إلى العراق ولقاؤه بالميرزا

في سنة ١٢٨٧ق قام ناصر الدين شاه بالسفر إلى العراق بعنوان الملوكية وبالكثير من الأبّهة والجلال. كان سلاطين العثمانيين لا يسمحون لغيرهم من الملوك بدخول العراق بعنوان الملوكية لكن سفير إيران في تركية في ذلك الوقت والملقب بمشير الدولة سعى في ذلك حتى وافق السلطان العثماني على دخول الشاه إلى العراق كملك.

عندما وصل الشاه إلى العتبات المقدسة ذهب العلماء جميعًا لاستقباله؛ لأنه كان ملك إيران وملك الشيعة باستثناء الميرزا الشيرازي. في تلك السنة لم يكن الميرزا هو المرجع الأول للشيعة، فقد كان السيّد

(١) نقباء البشر، ج١، ص ٤٣٩، وهدية الرازي إلى المجدد الشيرازي، ص ١٩، ٢٠.

حسين الكوهكمري موجودًا وعلماء آخرون. كان السيّد حسين هو الأول في مقام المرجعية حيث كانت إمكانياته المالية أضعاف الميرزا.

على كل حال، لم يذهب الميرزا لاستقبال الشاه، ولم تنفع جهود مشير الدولة وإصراره في إقناع الميرزا بالذهاب. لم يكتف الميرزا بعدم الاستقبال، بل لم يقبل أن يذهب لزيارة الشاه في مقره. وفي النهاية تم الاتفاق على أن يتشرف الطرفان بزيارة الحرم المطهر ويلتقيا هناك.

سبب الهجرة إلى سامراء

هاجر الميرزا الشيرازي من النجف إلى سامراء سنة ١٢٩١، وتوفي فيها سنة ١٣١٢، فكانت مدة بقائه فيها ٢١ سنة. والسبب في هجرته إليها ربما يكون هو الإحساس بوجود المنافسة بينه وبين السيّد الكوهكمري، وكان الميرزا يتجنب مزاحمة ذلك الرجل العظيم فقرر أن يذهب إلى سامراء.



الرجوع في الاحتياطات

كتب الشيخ آغا بزرك أنَّ الميرزا الشيرازي كان يُرجِع في الاحتياطات إلى الميرزا حسين الخليلي. سألوه: لماذا لا ترجع إلى الشيخ محمد طه؟ فقال: أنا لا أعرف مستواه العلمي حتى أرجع إليه.

وفي وقت من الأوقات جاء الشيخ محمد طه إلى سامراء وبقي فيها مدة. طلبوا منه أن يلقي درسًا هناك وكان قد كف بصره في أواخر عمره فلا يقدر على القراءة، فتقرر أن يسأله الطلاب وهو يجيب من دون تحضير مسبق. ذهب الميرزا إلى مجلس الدرس لكي يُقيّم الشيخ محمد طه، وجلس بعيدًا. طُرحت مسألة فذكر الشيخ ارتجالًا روايات ذلك الباب، ثم ذكر فتاوى الفقهاء وبيّن أدلتهم وقارَن بينها حتى توصل إلى الرأي

الصحيح. كان أداؤه من دون تحضير مثل أداء من بحث في المسألة مدة من الوقت. في اليوم التالي حضر الميرزا الدرس وجرت الجلسة على نفس المنوال وتكرر ذلك لعدة أيام. فاعتقد الميرزا باجتهاد الشيخ وصار يُرجع إليه أيضًا في الاحتياطات بالإضافة إلى الميرزا حسين الخليلي.

يتبين من ذلك أن الحصول على مرتبة الاجتهاد ليس بتلك السهولة التي يُقال اليوم فيها عن كثير من الأشخاص أنهم مجتهدون. كثير من هؤلاء اليوم مجتهدون بالإسم وليس بالواقع.

الجواب الحكيم

سأل أهالي طهران الميرزا الشيرازي: هل تأذن لنا أن نرجع في الاحتياطات للشيخ فضل الله النوري؟



كان المرحوم الشيخ فضل الله من طلبة الميرزا المحترمين وكان الميرزا يهتم به، لكنه لم يكن يريد أن يُرجع إليه مع وجود الميرزا الرشتي والشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ زين العابدين المازندراني الذين كانوا في طبقة الميرزا نفسه؛ لأن ذلك خلاف الشرع. ومن ناحية أخرى كان يريد أن يحافظ على سمعة الشيخ ومكانته. فكتب في الجواب: (لقد قلنا لكم أن ترجعوا لغيرنا في الاحتياطات، والشيخ هو نفسنا).

استياء الميرزا بعد تحريم التنباك

سمعتُ من السيّد رضي الشيرازي أنَّ الميرزا كان منزعجًا بعد الحكم بتحريم التنباك، وكان يقول: نحن لدينا ملك شيعي واحد في مقابل العثمانيين فاضطررنا إلى مواجهته وتضعيفه.

فطنة الميرزا

ينقل أحد السيّدين المرعشيّين: أن الميرزا ـ عليه الرحمة ـ سأل الشيعة

ذات مرة هل رأى أحدٌ الهلال؟ ولم يكن أحد قد رآه. فسأل أهل السنة، فجاء أحدُهم وشهد بالرؤية. فحكم الميرزا بثبوته. سألوه: كيف تعتمد على شهادة شخص واحد من أهل السنة؟ فقال: لقد رأيتُ الهلال بنفسي وأردت أن أطيّب خواطرهم بذلك.



٤٢

الشيخ محمد تقي البجنوردي (قدس سره)

(ت ١٣١٣ ق)

وجدتُ بين أوراق الوالد ترجمةً مختصرةً للشيخ محمد تقي البجنوردي، بخط الميرزا علي أكبر النوقاني، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم



المرحوم المغفور له المُخلّد في الفردوس حجة الإسلام والمسلمين الزاهد العابد الورع التقي النقي الحاج الشيخ محمد تقي البجنوردي (أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه).

كان عمره الشريف ٨٤ سنة، توفي في شهر صفر الخير سنة ١٣١٣ق، وكان من تلامذة المرحوم حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن صاحب (جواهر الكلام) قدس سره. كان في بداية إقامته في مشهد المقدسة مُنعزلًا، ثم تصدى لصلاة الجماعة بإصرار المرحوم حجة الإسلام الميرزا نصر الله المجتهد طاب ثراه. كل ما في مشهد من الشعائر الدينية في وفيات أئمة الهدى(عليهم السلام) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بركات وجود ذلك الرجل الكبير. منذ وفاته إلى الآن لم يوجد في خراسان زعيم من العلماء بتلك العظمة. أتذكر يوم وفاته ـ وقد كنتُ طفلًا ـ أن المدينة عطلت بكاملها، وكانت جميعُ طبقات المجتمع تشيع جنازته بدموع جارية. (حشره الله مع رسوله والأئمة الطاهرين).

حرره الأحقر علي أكبر النوقاني (عفي عنه)





الحاج ميرزا جواد آغا المجتهد التبريزي (قدس سره)

(ت ١٣١٤ ق)

العقل والتدبير

كان الميرزا جواد آغا غاية في العقل والتدبير.

عندما كان في طهران كان يصلي الجماعة في مسجد سبهسالار. وقد تعرّف عليه هناك أحد الخطباء وطلب منه أن يأخذه معه إلى تبريز. قال له الميرزا: لو أخذتُك معي فسيتضايق خطباء تبريز ويفهمون ذلك على أنه ليس في تبريز خطيب ممتاز فجئتُ معي بخطيب، لكن تعال أنت بنفسك ولتكن في ضيافتي وسوف أقوم بواجبك. فعل ذلك الخطيب ذلك ونزل على الميرزا ضيفًا في تبريز وأدى أداءً حسنًا على المنبر.

المقصود أن الميرزا كان حكيمًا جدًا، ويراعي النكات المختلفة في الأمور.

سمعتُ من الميرزا عبد الله المجتهدي عن تدبيره: أنه كان يدعو جميع علماء تبريز في آخر رمضان إلى منزله، ويقدم لهم الإفطار ويدفع فطرتهم أيضًا. ويكون هذا العمل سببًا للاتحاد في تشخيص العيد؛ لأن العلماء جميعًا في منزله وأصحابهم يأتون للشهادة عندهم هناك فلا يحصل اختلاف في رؤية الهلال.

قضاء حوائج الناس

من أسباب نفوذ الميرزا جواد المجتهد أنّه كان لا يملك نفسه عن قضاء حوائج الناس ويرى ذلك واجبًا عليه مهما كلف الثمن.

خصوصيته الأخرى: أنه كان مثاليًا في البذل والعطاء. كانت أمواله التي يحصل عليها من أملاكه في السنة حوالي: مائة ألف تومان، وكان هذا المبلغ في ذلك الزمان يساوي ١/ ٣٠ من ميزانية الدولة كلها، حيث أني سمعتُ من مُعير الممالك حفيد ناصر الدين شاه أنَّ ميزانية البلد في ذلك الزمان كانت تساوي ثلاثة ملايين تومان. الميرزا عبد الله المجتهدي يقول: إن الميرزا جواد آغا مع تلك الأموال كان يقترض في آخر السنة بسبب كثرة صرفه على الناس.



ومن الأمثلة على سعيه في حل مشاكل الناس، يُنقل أنَّ شخصًا شيعيًا حُكم عليه بالإعدام في روسيا، فأرسل الميرزا جواد تلغرافًا إلى الإمبراطور الروسي، وكانوا أولئك يحترمون الميرزا أيضًا[1].

تاريخ الوفاة

الموجود في الكتب أن الميرزا جواد آغا تُوفي في شعبان سنة ١٣١٣ق لكن الأصح أنها كانت سنة ١٣١٤، وقد سمعتُ ذلك من حفيده. وكذلك فإن الميرزا مصطفى والد الميرزا عبد الله المجتهدي أرّخ وفاته بقوله:

قلت في تاريخ ذاك الألمعي   مات في شعبان يوم الأربع

فعلى ذلك يكون تاريخ وفاته اليوم الرابع من شعبان سنة ١٣١٤ ق.

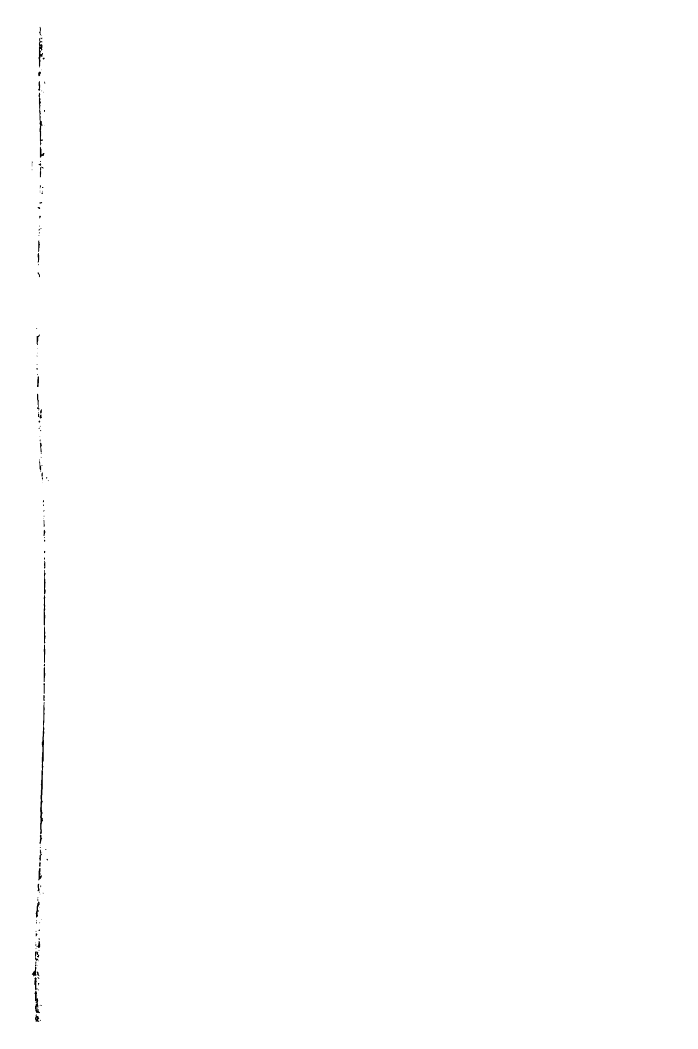
---

(١) نقلت هذه القصة في كتاب تاريخ المشروطة لمؤلفه كسروي ص ١٣٠ وذكر فيها أن الإمبراطور أجاب طلب الميرزا وأمر بإعادة الشاب إلى إيران وإيصاله إلى والدته التي كانت قد لجأت إلى الميرزا لحل مشكلتها.

ويؤيد ذلك أن اعتماد السلطنة المراغي الذي توفي في ١٧ شوال ١٢١٢، وكان يهتم بتسجيل حوادث إيران، وقد ذكر الميرزا جواد آغا في عدة مواضع مما يدل على اهتمامه به، لم يذكر وفاته في شعبان ١٣١٣، مع أنه من البعيد جدًا أن يتوفى الميرزا جواد آغا ولا يصل خبره إلى طهران؛ لأنه كان هو الحاكم تقريبًا في تبريز، وكان نفوذه بلغ درجة جعلت ناصر الدين شاه يلجأ إليه لحل مشكلة تحريم التنباك.

سمعتُ أيضًا من الميرزا عبد الله المجتهدي في محبوبية الميرزا جواد آغا أنه بعد ٣٠ سنة من وفاته توفيت زوجته، فأصبحت تبريز في عزاء كأنه يوم عاشوراء!





٤٤

الشيخ محمد طاهر الدزفولي (تدّس)

(ت ١٣١١ أو ١٣١٥ ق)

كان الشيخ محمد علي المعزي صاحب (تجديد الدوارس وتحديد المدارس) من أهل دزفول. يدافع عن آراء القدماء، ويعتقد أن المتأخرين لم يفهموها جيدًا، ولذلك كتب كتابه (تجديد الدوارس).



الملا محمد طاهر الدزفولي جد الشيخ محمدعلي كان عالمًا كبيرًا وعلى درجة عالية من التقوى والزهد.

السيد محسن خرازي كان على علاقة مع الشيخ محمدعلي، وقد نزل الشيخ ضيفًا عليه لمدة شهرين في قم، كما نزل ضيفًا على أبيه ٣ أشهر في طهران. وقد نقل السيّد خرازي عن الشيخ محمد علي هذه القصة عن جده:

كان هناك شخص من أهالي دزفول من أهل المعنويات، ولكنه ليس طالب علم، وقد تشرف بلقاء الإمام الحجة(عج) في مكة المكرمة. وقال له الإمام: أبلغ سلامي للشيخ محمد طاهر، وقل له يقرأ هذا الدعاء.

حفظ ذلك المؤمن الدعاء، لكنه بمجرد ذهاب الإمام نسيه، وعندما عاد إلى دزفول جاء إلى الشيخ محمد طاهر ليبلغه السلام فتذكر الدعاء وأبلغه للشيخ. لكنه عندما فارق الشيخ فكر في أن يقرأ هو الدعاء أيضًا لحل مشكلاته فلم يتذكره أصلًا. عاد إلى الشيخ مرة أخرى وطلب منه أن

يعلمه الدعاء فامتنع الشيخ وقال له: هذا من الأسرار.

سنة الوفاة

كان الشيخ آغا بزرك على ارتباط بعائلة المعزي وبالشيخ محمد علي، وقد سجّل وفاة الشيخ محمد طاهر في سنة ١٣١٥ ق. لكن اعتماد السلطنة المراغي ـ وزير المطبوعات في زمان ناصر الدين شاه، والذي كان يُسجل الأحداث ليلة بليلة ـ كتب في أحداث يوم ٢٩ صفر ١٣١١:

من أخبار اليوم أن الوباء انتشر في خوزستان بشدة، وقد توفي بالوباء الشيخ محمد طاهر الدزفولي الذي كان من فحول العلماء المعاصرين وكنت أعرفه أيام حكومة المنطقة العربية، وعمره يزيد على ٩٠ سنة...[1]



هناك احتمالان لتوجيه هذا الاختلاف:

الأول: أن الذين أخبروا الشيخ آغا بزرك بهذا التاريخ كانوا مخطئين.

الثاني: أن الشيخ مرض بالوباء، فانتشر خبر وفاته، لكنه ربما يكون قد توسّل توسّلًا معيّنًا وقد كان من أهل المعنويات والقصة السابقة تدل على أنه من أهل الأسرار فتحسن حال الشيخ. لكن اعتماد السلطنة الذي وصله خبر وفاته لم يصل إليه خبر شفائه.

(١) كتاب مذكرات (اعتماد السلطنة) من أفضل الكتب التاريخية؛ لأن التواريخ تكتب عادة موافقة لهوى الحكام، لكن اعتماد السلطنة كان يسجل الأحداث خفيةً، فلذلك تشتمل مذكراته على مطالب صحيحة ومباشرة. (السيد)

٤٥

الميرزا أبو المعالي الكلباسي (تَدَّسُّ)

(ت ١٣١٥ ق)

كان الشيخ الصافي ينقل عن السيّد الخادمي[1] قوله:

كان صهر الميرزا أبو المعالي الكلباسي عالمًا من علماء البلاط. ذات مرة أرسل هذا الصهر إلى بيت الميرزا شيئًا من الأرز، يبدو أن الميرزا أمر بإعادته، لكن زوجته قامت بطبخه من حيث لا يعلم. عندما أراد الميرزا أن يأكل وجد نفسه لا يستطيع الأكل والأرز لا يعبر من حلقومه، فحدس أن يكون هذا الأرز من عند ذلك الرجل، لذلك سأل زوجته قائلًا: هل طبخت لنا من أرز صهرنا؟ فاعترفت الزوجة بذلك.

كان السيّد الخادمي على نسب مع الميرزا أبو المعالي، كما أنه من أحفاد السيّد صدر الدين الكبير.

الاستخارة

■ **س: نقل عنكم أنكم قلتم أن مخالفة الاستخارة حرام. هل هذا صحيح؟**

أستبعد أني قلتُ ذلك بهذه الصراحة. الذي قلته ونقلته ـ وربما يطابق الاحتياط ـ ما سمعته من الحاج آغا يحيى العابدي الطالقاني، ينقله عن

(١) هو آية الله السيّد حسين الخادمي المتوفى سنة ١٤٠٥، والناقل عنه هو آية الله الشيخ لطف الله الصافي الكلبيكاني دامت بركاته من المراجع المعاصرين.

السيّد رضا الصدر. وقد كان والده الحاج محمد حسن وهو من علماء طهران محترمين وأهل التقوى والوجاهة والتدبير، نقل ذلك لوالدي وأثبته الوالد في بعض أجزاء كتابه (الكلام يجر الكلام) التي لم يُطبع بعد.

ينقل الحاج يحيى عن والده عن الميرزا أبو المعالي الكلباسي، وهو شخص استثنائي في العلم والأخلاق، أنه كان يقول: كان والدي يعتقد بحرمة مخالفة الاستخارة؛ لأن دفع الضرر المحتمل واجب، وضرر مخالفة الاستخارة ليس محتملًا فقط بل هو قريبٌ من اليقين. وينقل على ذلك شواهد:

ذات مرة دعا أحد التجار الشيخ الكلباسي على العشاء في إحدى الليالي، فأجابه الشيخ بالموافقة، ولما خرج التاجر، تذكر الشيخ أنه لم يستخر على تلك الليلة المعينة وكانت عادته أن يستخير على كل دعوة. استخار الشيخ على تلك الليلة فكانت سيئةً، واستخار على الليلة التالية فكانت جيدة. فاستدعى ذلك التاجر وأخبره بالأمر، فتضايق التاجر وقال: شيخنا! أنا دعوت علماء البلد احترامًا لك فكيف أقول لهم الآن أن العشاء ألغي تلك الليلة وأحيل إلى الليلة التالية؟! فقال له الشيخ: اذهب وقل لهم إن هذا الأمر من قِبلي، ولن ينزعجوا من ذلك، ففعل التاجر ذلك.



كانت جلسات العلماء تنتهي عادة بعد ساعتين من الغروب، فمثلًا أحدهم يلقي كلمة قصيرة بعد صلاة الجماعة والآخر يرتقي المنبر وهكذا فتنتهي نشاطاتهم بعد ساعتين تقريبا من الغروب. في تلك الليلة التي نهت عنها الاستخارة بعد حوالي ساعتين ونصف من الغروب انهار سقف المنزل الذي كانوا مدعوّين فيه، بحيث لو كانوا موجودين لصاروا جميعًا تحت الأنقاض. هذا الشاهد الأول.

والشاهد الآخر أنه كان يقول: عندما كنت أدرس في النجف الأشرف

أيام الشباب أُصبت بالعمى، فذهبت إلى الحرم، وتوسلت بالإمام(ﷺ). كان يقول: يا مولاي! العين نعمة إلهية وقد سلبها الله مني لمصلحة في ذلك، لكني ربما كنت مطرودا من المؤسسة الإلهية لأن الله لا يريد أن تجري على يدي خدمة لدينه، حيث أن طالب العلم لا يستطيع أن يقدم خدمة للناس بدون النظر. ولذلك فأنا أعتبر غير لائق لهذا العمل فأنا متألم وحزين. كان يبكي ويتوسل، وفي ذلك الحال أُلهِمَ أن علاجك في يدك. وأحس كأن في يده حجرًا فمسح به على عينه فشفيت، ورأى أن الذي في يده درة مهداة من الإمام(ﷺ). جعل تلك الدرة في خاتمه وكان يستفيد منها للشفاء ولجميع الأمور.



وذات مرةٍ انهدم جدار منزله، فأخذ يساعد العمال في بنائه ثم ذهب إلى الصلاة. في أثناء الصلاة انتبه أن الخاتم غير موجود في يده وأنه سقط عند الجدار. قالوا له: ضاع الخاتم، وانتهى الأمر. فقال: لا، يجب أن نجده. وبدأ بالاستخارة، فاستخار أن ينقض هذا النصف من الجدار لعله يجده داخله. وهكذا أخذ يحدّد موقعه بالاستخارة حتى وصل إلى موضع بقدر الكف، فأمر بنقض ذلك الموضع فلم يجدوا الفص. فقالوا له: شيخنا لم نجده. فقال: لا يمكن. وجاء بنفسه وبحث بدقة واستخرج الفص.

كان ينقل هذه القصة كشاهد على عدم جواز مخالفة الاستخارة.

نحن نقلنا هذه القصة، وقلنا أن في مخالفتها شبهة الوقوع في الضرر، ولذلك فإن مقتضى الاحتياط عدم المخالفة.

نعم، حصلت مواقف خولفت فيها الاستخارة ولم يحصل شيء؛ لأن كثيرًا من تلك الاستخارات ليست في محلها. وأما إذا كانت في محلها فالاحتياط في عدم مخالفتها.

يقول صاحب (الروضات): كنت قد سمعتُ أن سلطان العلماء كان صهرًا لأحد سلاطين الصفوية: الشاه عباس الأول أو الشاه عباس الثاني أو الشاه صفي. استخرتُ أن أسجّل ذلك في كتابي باسم الشاه عباس الأول فكانت جيدة وتبين في ما بعد أن الأمر كذلك. يقول: هذه الاستخارة لم تكن في محلها وقد أصابت الواقع بهذا الشكل فإذا كانت في محلها فإنها ستكون صحيحة قطعًا.



٤٦

السيد محمد الفشاركي (قدّس سرّه)

(ت ١٣١٦ ق)

التفكير بجوار النهر



ينقل المرحوم الميرزا محمد حسين جامعي، عن المرحوم الشيخ الأراكي، وهو ـ ظاهرًا ـ عن الشيخ الحائري: أن السيّد الفشاركي كان في سامراء، وكان ذات مرة يريد أن يفكر في مبحث (الترتّب)، لكن ضوضاء المدينة تزعجه، فقرر أن يذهب إلى جانب النهر ويجلس هناك في حفرة ويفكر بعيدًا عن الضوضاء. بينا هو في تلك الحفرة مشغولًا بالتفكير إذ قال له رجل عربي: فيم تفكر؟ فأجاب السيّد وهو ينظر إلى الأرض: هذه المسألة لا علاقة لك بها. قال الرجل: لي علاقة بها. أنت تفكر في بحث الترتب، وقد أعددتَ مجموعة من المقدمات، وهي صحيحة ما عدا الأخيرة فإنها خاطئة. تعجب السيّد ورفع رأسه ليرى المتكلم فلم ير أحدا!

أنا لا أتذكر أن الشيخ الأراكي نقلها عن الشيخ الحائري، لكن منقولاته (إلا ما شذ وندر) عن أستاذه الشيخ، فالظاهر أن هذه كذلك أيضًا. خصوصًا أنها تتعلق بالسيد الفشاركي وهو أستاذ الشيخ عبد الكريم.

الميرزا ودرس السيّد الفشاركي

سمعتُ أن الميرزا الشيرازي بسبب كثرة مشاغله في أواخر عمره أوكل التدريس إلى السيّد الفشاركي وآخرين. وكان السيّد الفشاركي هو

العمدة في إدارة حوزة الميرزا، وإن كان السيّد إسماعيل الصدر، والميرزا محمد تقي الشيرازي موجودين أيضًا. كان الميرزا يأتي أحيانًا ويسأل ما هو بحث السيّد محمد اليوم؟ ويشكل على رأيه حتى يدعم بذلك درس السيّد ويستمر مع انتشار الخبر.

موقف بين الأستاذ والتلميذ

سمعتُ من السيّد رضا الزنجاني ينقل عن الشيخ الحائري أنَّ الميرزا الشيرازي كان يشرح مطلبًا معينًا في إحدى الجلسات، وفي نفس الوقت انشغل السيّد الفشاركي بالحديث مع شخص آخر، فقال الميرزا للسيد الفشاركي مع أنه كان يستطيع مواصلة كلامه: اسكت! انزعج السيّد من موقف الميرزا وقال له: سيدنا نحن الاثنين كنا نتكلم معًا فلماذا تخاطبني أنا فقط؟! هذا الموقف من السيّد الفشاركي كان صعبًا جدًا على الميرزا الذي كان مؤدبًا للغاية وكان طلابه خاضعين له. سكت الميرزا. وسكت الجميع مدة. أراد الميرزا محمد تقي الشيرازي أن يكسر السكوت فسأل عن عبارة في كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري، فأجاب الميرزا وفسَّر العبارة. كان الشيخ الحائري يقول: للأسف نسيت موضع هذه العبارة في الكتاب لأنها كانت لا تنحل بالنسبة إلينا وقد فسرها الميرزا.[١]



كرامتان

من الكرامات التي رأيتها أنا بنفسي صلاة الاستسقاء للسيد محمد تقي الخونساري. ومن القضايا التي سمعتُ عنها وهي من القطعيات قضية قراءة زيارة عاشوراء لدفع الوباء بأمر السيّد الفشاركي في زمان الميرزا الشيرازي.

(١) تقدمت هذه القصة عند الحديث عن الميرزا الشيرازي أيضًا.



الآخوند ملا فتح علي السلطان آبادي (تتتُ)

(ت ١٣١٨ ق)

هذه القصة ينقلها الآخوند ملا علي الهمداني[١] عن الشيخ الأراكي عن علم الهدى الملايري[٢]، عن الآخوند ملا فتح علي السلطان آبادي يقول:



عندما كنت في أراك كنتُ ساكنًا مع أحد الطلاب في غرفة. ذات يوم حصلت لي ضائقة مالية شديدة فقلت لنفسي: لأذهب وأقترض من أحد الأشخاص مبلغًا لعل ذلك يخفف عني.

في الطريق كانت هناك بركة ماء طبيعية، وامرأة جالسة تغسل الملابس. عبرت أمامها فسمعتها تقرأ شعرا عرفانيًا: (مضمونه: أنك تحتاج إلى عين بصيرة تخترق الأسباب المادية حتى ترى ما وراء الحجب، وترى المسبب الحقيقي حيث لا مكان، وتفهم أن الجهد والاكتساب لا يعني شيئًا. فكل خير وشر يأتي من قبل مُسبب الأسباب، ولا توجد هناك أي وسائط).

فكرتُ في الأمر وقلت لنفسي: لماذا تقرأ هذه المرأة هذا الشعر؟ لو

(١) كان الآخوند ملا علي ينقل القصة عن الشيخ الأراكي ويقول: ذهبت بعد ذلك بنفسي إلى السيّد علم الهدى الملايري وسألته عن القصة، فأخبرني بها كما نقلها الشيخ بدون تفاوت. (السيد)

(٢) كان السيّد علم الهدى الملايري أعمى، وكانت الطبعة الأولى لكتاب مصباح المتهجد نتيجة جهوده. (السيد)

كانت عاشقة لقرأت غزلًا، ولو كانت لديها مشاكل دنيوية لقرأت شعرًا يتعلق بالدنيا، هذا الشعر العرفاني لا يتناسب مع هذه المرأة العادية. ففهمت أنها ألهمت من قبل الله ـ عز وجل ـ ذلك حتى أفهم أنا أنه لا ينبغي لي أن أترك الله وألجا إلى الناس. فانصرفتُ عن فكرة القرض وقلتُ: أتوكل على الله. عندما عدتُ إلى البيت رأيتُ في السلة المعلقة في البيت قرصين من الخبز أو ثلاثة وشيئًا آخر، أخذتُ منها وأكلت. وقد تكرر ذلك في اليوم الثاني والثالث. احتملتُ أن صديقي أعدّ ذلك ووضعه، فلما استمر ذلك عدة أيام سألته: أنت الذي تعد هذا الطعام؟ قال: لا. فأخبرته بالأمر. وبمجرد أن أخبرته لم أعد أجد شيئًا في السلة. ومن المعروف أن إفشاء الأمور التي تعتبر من الأسرار يؤدي إلى زوالها.





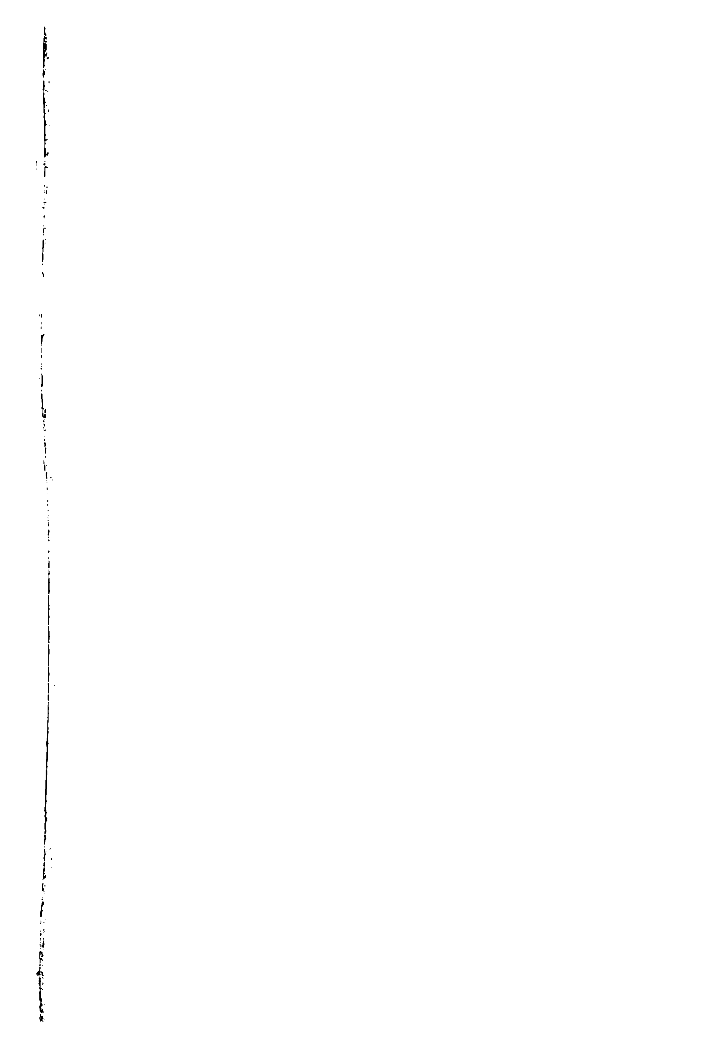
الشيخ هادي النجم آبادي (تدّس)

(ت ١٣٢٠ ق)

سمعتُ السيّد جلال الآشتياني يقول: كان المرحوم الشيخ هادي النجم آبادي مُنزّهًا عن الهوى بدرجة كبيرة. جاؤوا إليه بشخص يجرونه بجرم شرب المسكر حتى يجري عليه الحد. فقال الشيخ: ليشم أحد الحاضرين فم هذا الشخص حتى يثبت لي أنه شرب المسكر. فلم يجرؤ أحد على ذلك؛ لأن الذي يعرف رائحة المسكر يكون من أهله عادة. ولذلك لم يثبت جرم ذلك الشخص.



عندما انتهى المجلس أشار الشيخ إلى ذلك الشخص بالجلوس، ثم قال له: نحن حافظنا عليك، لكن لماذا ترتكب هذه المعصية؟ ونصحه حتى تاب وصار فيما بعد من الملتزمين والملازمين للشيخ.



٤٩

الميرزا حسين النوري (تتئُ)

(ت ١٣٢٠ ق)

نقدُ قصة (فصل الخطاب)

ذات مرة جاء أحد العلماء المعروفين، ونقل قصة وسمعتها منه. بعد ذلك سمع القصة منه الشيخ كرامي ونقلها أيضًا. والشيخ المنتظري نقل هذه القصة في مذكراته أيضًا.



ينقل ذلك العالم عن سردار كابلي، أني كنتُ عند الشيخ النوري وكان هناك سيد معمم. كان السيّد يضرب بيده على فخذه ويتأوه. سأله الشيخ النوري: ما الذي جرى ولماذا تتأوه بهذا الشكل؟ فقال: إن الله ظلمني. قال الشيخ: إن الله لا يظلم أحدا. ماذا تقول؟! قال: بل ظلمني. قال الشيخ من المستحيل أن يظلم الله أحدًا. قال السيد: لا. فقال الشيخ: ما السبب في كلامك هذا؟ قال السيد: لماذا لم يذكر الله اسم جدنا في القرآن حتى لا نبتلى بأهل السنة إلى هذه الدرجة؟ قال الشيخ: اسم الإمام موجود في القرآن. قال السيد: كيف؟ قال الشيخ: أنا أحضر الأدلة. وبعد عدة أيام كتب الشيخ أوراقًا في تحريف القرآن وأعطاها لذلك السيد. فقال السيد: هل هناك أدلة أخرى؟ قال الشيخ نعم. وبعد عدة أيام أعطاه أوراقًا أخرى. فكان ذلك السيّد يأخذ أوراق فصل الخطاب بالتدريج من الشيخ ويقدمها للطباعة. وعندما ندم الشيخ كان الكتاب قد طبع ولا ينفع الندم.

يقول سردار كابلي: مرت هذه القضية. وذات مرة ذهبت إلى السفارة لآخذ تأشيرة فرأيت شخصا هناك غير معمم وبدا لي كأني أعرفه. سألني: هل عرفتني؟ قلت له: وجهك مألوف جدًا، لكني لم أعرفك بالضبط. قال: أنا ذلك السيّد الذي كنت في بيت الشيخ النوري!

عندما نقل ذلك العالم القصة للوالد خطر في ذهني في نفس الوقت أن سردار كابلي لم يكن موجودًا في زمان تأليف فصل الخطاب وطباعته. راجعتُ بعد ذلك فوجدت تاريخ ولادة سردار بعد تأليف الكتاب.



الشيخ آغا بزرك كان على صداقة قوية مع سردار كابلي، وقد نزل عنده ضيفًا مدة من الزمن، وفي تلك المدة فهرس كتبه أيضًا. كتب الشيخ آغابزرك تاريخ ولادة سردار الدقيق في الذريعة: ١٨ محرم ١٢٩٣ق في كابل. كذلك ذكر في الذريعة أن تاريخ الانتهاء من تأليف (فصل الخطاب) قبل ليلتين من آخر شهر جمادى الثاني ١٢٩٢ق؛ يعني أن سردار الكابلي وُلد بعد حوالي ستة أشهر من تأليف هذا الكتاب.

لو كانت هذه القصة واقعية فلا بد أن الكابلي نقلها عن شخص واشتبه على الناقل الأمر.

فصل الخطاب في عدم تحريف الكتاب

الشيخ آغابزرك ينقل مطلبًا عن الشيخ النوري، وقد قاله ذات مرة شفهيًا لكننا لم نفهم كلامه. يقول: إن الشيخ النوري في كتابه ينكر التحريف ويقول أننا أسأنا تسمية الكتاب، وكان ينبغي أن نسميه فصل الخطاب في عدم تحريف الكتاب.

الشيخ صادق الخلخالي سأل الشيخ آغا بزرك عن هذا المطلب فأجاب جوابًا لم نفهمه أيضًا.

أنا أحتمل أن مقصود الشيخ آغا بزرك أن رأي الشيخ النوري أنه بعد وقوع التحريف الأولي أرجعنا الأئمة إلى القرآن، وحكموا بحجيته، ولم يحرف بعد ذلك.

كتاب المستدرك

المرحوم الحاج ميرزا حسين النوري صاحب (المستدرك) محققٌ كبير وعظيم الشأن. خاتمة كتابه مليئة بالفوائد الرجالية. هذا الكتاب قيّم جدًا بالنسبة المختصين. ربما يكون سبب مخالفة بعض الناس له هو كتاب (فصل الخطاب) وهذا الكتاب لم يُفهم أيضًا بشكل جيد. علمًا أن انتساب هذا الكتاب إليه قطعي.



الرجل الأول في مرجعية الميرزا

كان الميرزا النوري هو الرجل الأول في مرجعية الميرزا الشيرازي. سمعتُ أن الميرزا لم يكن لديه وقت لزيارة العلماء والشخصيات فكان يرسل الميرزا النوري مكانه. توزيع الأموال في مرجعية الميرزا كان بيده أيضًا.

للشيخ نوري قصيدة مطوّلة اسمها الغديرية وقد اطلعتُ عليها مؤخرًا. في هذه القصيدة يذكر الميرزا الشيرازي بغاية التعظيم. عندما كنت أقرأها خطر لي إشكال ذوقي؛ لأن عدد أبياتها كان ١١٣ فلو ختمها الشيخ على ١١٠ أبيات أو ١١٤ لكان أفضل والمائة والعشرة أنسب بالغديرية[١].

في زمان الصفوية كان هناك اهتمام خاص بالأعداد، و(الاثنا عشريات) للشيخ البهائي مثالٌ من عشرات الكتب التي كتبت تحت هذا العنوان.

(١) لأن اسم علي بحساب الأبجد يساوي ١١٠ (المترجم).

فقه الرضا

كتب الشيخ النوري في المستدرك حول كتاب فقه الرضا: (لنا إليه طريقٌ آخر لا يكون حجة لغيرنا)، يقول السيّد رضا الزنجاني المرحوم: أنا كتبت تحت هذه العبارة: (ولا لنا)[١].

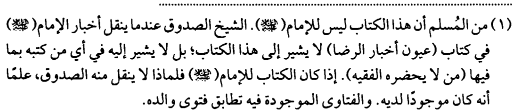
سمعتُ من السيّد رضا ينقل عن الشيخ الحائري أنَّ الشيخ النوري سأل شخصًا من أهل الجفر عن ذلك فقال: إنه بإملاء الإمام وكتابة أحمد بن اسحاق القمي[٢].

إنشاءات ابن طاووس

ابن حَجَر يُعبر عن العلامة الحلي في كتابه (لسان الميزان) بقوله: (وكان آية في الذكاء).



كيفية دخول العلامة الحلي في المناظرة مع أهل المذاهب في مجلس



(١) من المُسلم أن هذا الكتاب ليس للإمام(ﷺ). الشيخ الصدوق عندما ينقل أخبار الإمام(ﷺ) في كتاب (عيون أخبار الرضا) لا يشير إلى هذا الكتاب؛ بل لا يشير إليه في أي من كتبه بما فيها (من لا يحضره الفقيه). إذا كان الكتاب للإمام(ﷺ) فلماذا لا ينقل منه الصدوق، علمًا أنه كان موجودًا لديه. والفتاوى الموجودة فيه تطابق فتوى والده.

السيد حسن الصدر في كتابه (فصل القضاء) في الكتاب المشتهر بفقه الرضا يقول: هذا الكتاب هو كتاب التكليف للشلمغاني، وكان قد كتبه أيام استقامته؛ لأن فيه فتوى أو فتويين من مختصات الشلمغاني.

ظاهر دليل السيّد الصدر جيد لكن الشيخ محمد رضا المسجد شاهي أشكل عليه. (السيد)

(٢) نقل هذها لقضية الشيخ محمد علي الأراكي فيما كتبه عن أستاذه الشيخ الحائري بهذا الشكل: نقل الأستاذ السند (أطال الله عمره) أن ذلك المرحوم طلب من شخص جفّار أن يستفسر عن هذا الكتاب من الجفر، ليرى الجواب، فعندما رجع إليه كان الجواب: الإملاء من الإمام، والتأليف من أحمد بن محمد بن عيسى (يادنامه آية الله أراكي ص ٥٠٢).

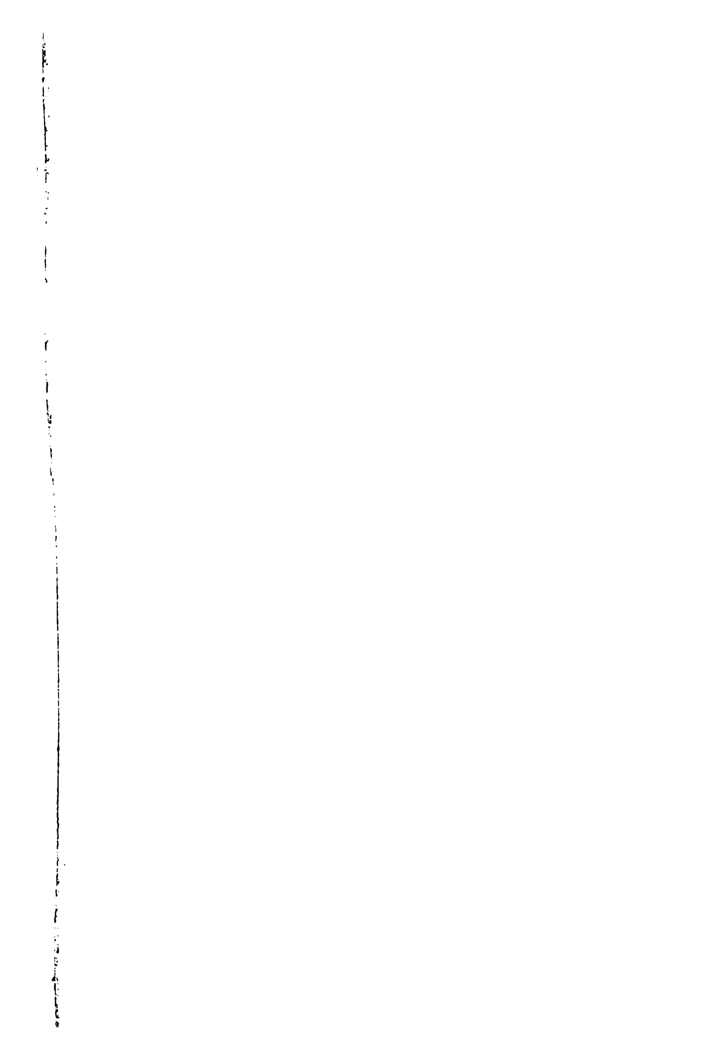
عندما لاحظ السيّد الزنجاني هذا النقل قال: إني سمعتُ ذلك من السيّد رضا، وكان يعتمد في نقله على ذاكرته، لكن الشيخ الأراكي كان يسمع من الشيخ مباشرة ويُدوّن فلا بد أن يكون نقله هو الصحيح.

الشاه خدابنده وخروجه منها كان رائعًا جدًا، إلى درجة جذبت الشاه وصارت سببًا لرواج التشيع في إيران.

العلّامة مع هذا المقام العلمي والمعنوي الرفيع كان تلميذ السيّد ابن طاووس، وكان يذكر بأنه من أصحاب الكرامات. أشكل البعض[١] على السيّد ابن طاووس أنه ذكر في كتبه أدعية وزيارات للأماكن المقدسة ولم يذكر أنها من إنشاءاته أو أنه نقلها من المصادر. وبعد طباعة كتاب (مستدرك الوسائل) للشيخ النوري تبيّن أن هذه الزيارات وردت في المصادر، وقد نقلها ابن المشهدي مسندة في كتابه (المزار).



(١) ومنهم صاحب الروضات: روضات الجنات ج٤ ص ٣٣٠.



٥٠

الشيخ هادي الطهراني (قدس سره)

(ت ١٣٢١ ق)



ينقل السيّد رضا الزنجاني عن والده السيّد محمد الزنجاني هذه القضية. يقول: كنتُ أريد الذهاب من كربلاء إلى النجف، وأخذت مركوبًا لذلك. رأيتُ شخصًا كبير العمامة حرَّك حماره وجاء باتجاهي، وقال: لا مانع لديك أن أكون معك حتى نذهب إلى النجف؟ قلت: لا مانع. توجهنا معا نحو النجف. في ذلك الوقت لم تكن هناك سيارات وكانوا يسافرون بالحيوانات.

سألني ذلك الشخص: هل تذهب إلى النجف لأجل الزيارة أم لأجل الدراسة؟ قلت له: أريد ان أبقى في النجف وأستفيد علميًا منها، ونيتي أن أشارك في جميع الدروس للتجربة، ثم أبقى في الدرس الذي يعجبني ما عدا درس الشيخ هادي الطهراني؛ لأنهم أوصوني في إيران أن لا أحضر درسه. سألني: كنت تدرس عند من؟ فأجبته: عند الميرزا الآشتياني في طهران. فقال: من المُشكل أن يوجد هنا مثل الميرزا الآشتياني.

سألته: أنت من أهل العلم؟ فقال: بهذا الشكل الذي أنا عليه لا يمكن لي أن أعمل بقالًا! قلتُ: من أنت؟ قال: أنا أسود الوجه الذي أوصوك في طهران أن لا تحضر درسه! فعرفتُ أنه الشيخ هادي الطهراني.

يقول السيّد محمد الزنجاني: لم أحضر درس الشيخ هادي أبدًا لكن

تلك الصحبة في السفر أدت إلى أن نكون رفيقين في الأسفار، فكلما أراد هو السفر أخبرني، وكلما أردت أنا السفر أخبرته.

تكفير الشيخ هادي

بين العلماء اثنان اسمهما الشيخ هادي، وقد تعرضا للتكفير بشكل ما، أحدهما الشيخ هادي الطهراني والثاني الشيخ هادي النجم آبادي.

النجم آبادي كان يسكن طهران وقد توفي سنة ١٣٢٠، والطهراني كان يقيم في النجف وتوفي سنة ١٣٢١ ق. ساكن النجف كفّره الميرزا حبيب الله الرشتي، وساكن طهران كفّره بعض الأشخاص الذين لا يرتضون أسلوبه بسبب ما فيه من الرغبة في التجديد.



نقلوا: أن الميرزا حبيب الله الرشتي قال: اغسلوا الكوب الذي شرب فيه الشيخ هادي. كان الشيخ محمد حسين الكاظميني[1] ـ الذي كان مقبولًا للجميع ـ موجودًا فعندما سمع كلام الميرزا قال: أعطوني كوبه حتى أشرب سؤره. ولو لم يفعل الشيخ الكاظميني ذلك لقتلوا الشيخ هادي خارج المجلس. فالشيخ الكاظميني حفظ حياة الشيخ هادي بهذا العمل (رضوان الله عليهم).

الميرزا حبيب الله وتكفير الشيخ هادي

ينقل الشيخ عبد الجليل جليلي، عن والده المرحوم الشيخ هادي جليلي أنَّ الميرزا حبيب الله عندما جاء إلى إيران نزل ضيفًا على الوالد الشيخ عبد الرحيم. لأنه كان مرجعًا ورئيسًا في كرمانشاه. فسأله الشيخ

(١) ذات مرة زرتُ الحاج رحيم أرباب في أصفهان. نقل لي عن السيّد عبد الله ثقة الإسلام الذي كان شيخ علماء إصفهان في عصرنا، وكان قد أدرك الميرزا الشيرازي. نقل أن الشيخ محمد حسين الكاظميني والذي ذكر اسمه في قصة الحاج علي البغدادي في مفاتيح الجنان كان يبدأ صلاة الفجر مع طلوع الفجر وينتهي منها عند طلوع الشمس. (السيد)

عبد الرحيم: لماذا كفّرت الشيخ هادي؟ فقال: أنا لم أكفره لكني احتطت في أمره.

سبب التكفير

يقول السيّد عبد الكريم الأردبيلي أنه وجد رسالة للشيخ هادي يقول فيها بعدم اشتراك حقيقة الوجود وتعبيره: (الحمد لله الذي هو خارج من الوجود والعدم) وربما يكون هذا أحد أسباب تكفيره.

إضافة إلى ذلك فإن الشيخ هادي كان يستخدم عبارات شديدة تجاه العلماء الكبار. تلامذته أيضًا كانوا كذلك ـ باستثناء الميرزا صادق آغا التبريزي الذي كان غاية في الأدب ـ فكانت لهم مواقف غير مناسبة مع العلماء.



ينقل الميرزا عبد الله المجتهدي عن المرحوم الميرزا رضي: أنَّ السيّد محسن الكوهكمري كان من أبرز طلبة الشيخ هادي، وهو الذي كان يُدرّس مكانه ويواصل منهجه من بعده. كثير من الأشخاص الذين لم يدركوا الشيخ هادي كانوا من طلبة السيّد محسن.

كنت، أتناقش معه ذات مرة. كان نقاشنا حول هذه المسألة: أن ابن العم من الأب والأم مقدم على العم من الأب فقط في الإرث، وإجماع الإمامية على ذلك. طلاب الشيخ هادي ومنهم السيّد محسن كانوا ينكرون ذلك ويقولون: إن الماء يصل إلى أصل الشجرة ثم إلى أغصانها وفروعها. ولا يمكن أن يصل إلى الفروع ثم يصل إلى الأصل! كنت أتناقش معه في ذلك فقلت: إذا قال الإمام الصادق(ﷺ) أن ابن العم المذكور مقدم على العم من الأب هل تقبل؟ قال: الإمام الصادق(ﷺ) لا يقول ذلك. قلت له: وإذا قال؟ في المرة الثانية أو الثالثة مد السيّد محسن رجله وقال: لو

قال الإمام الصادق(ﷺ) ذلك أقول له: لست بإمام!!

مثل هذه القضايا أدت إلى أن يحتاط الميرزا حبيب الله في شأن الشيخ هادي.

طلاب الشيخ هادي

سؤال: للمرحوم الشيخ فيّاض الزنجاني رسالة في الخمس، وقد نقل أنه استخرج كل أحكام الخمس من القرآن، فما رأيكم في ذلك؟

كان له أسلوب شاذ، وكان الوالد لا يعجبه ذلك الأسلوب. لكني سمعتُ أن بيانه في الدرس كان ممتازًا. في كتاب الخمس أخذ بالمبالغة أن انظروا إلى إعجاز الآية، وبمثل هذا التفخيم طرح مطالب بسيطة. كان الشيخ فياض من تلامذة المرحوم الشيخ هادي الطهراني. الشيخ هادي كانت له آراء غير متعارفة. من تلاميذه أيضًا السيّد صادق آغا التبريزي. كان لهم أسلوب خاص. وجدتُ في كتابات السيّد السيستاني[1] مطالب غريبة وعجيبة ينقلها عن الشيخ هادي. مثلا: باب المفاعلة يدل على الاستطالة لأن فيه ألفًا[2].



(١) المرجع المعروف في النجف الأشرف.

(٢) قاعدة لا ضرر ولا ضرار، محاضرات آية الله السيّد علي السيستاني (ط١، قم، ١٤١٤ ق) ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

٥١

الشيخ حسن المامقاني (قدّس سره)

(ت ١٣٢٣ق)

ظاهر الاسلام وباطنه

المرحوم الفاضل الشربياني كان أنيق الظاهر للغاية، في حين كان الشيخ المامقاني آيةً في الزهد. سألوا الفاضل: ما سبب هذا التفاوت بينكما؟ وما هو الطريق الصحيح؟ فأجاب: أنا أحافظ على ظاهر الإسلام، والشيخ حسن يحافظ على باطنه. سمعتُ هذا المطلب من حفيده الشيخ عبد الحميد الشربياني.

تقصير شارب الشاه

والد الشيخ السبحاني[1] كان له نسب مع شخص اسمه الشيخ هادي، من القاجارية.

سمعتُ الشيخ السبحاني يقول عن الشيخ هادي حفيد أردشير ميرزا حفيد فتح علي شاه. أردشير ميرزا كان عالمًا، وكان الشيخ المامقاني قد درس عنده عندما كان في آذربيجان. بسبب هذا التتلمذ جعل الشيخ المامقاني الشيخ هادي من عائلته، ولذلك كان الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسن المامقاني والشيخ هادي دائمًا معًا. الفارق بينهما في السن حوالي سنة واحدة أيضًا فأحدهما ولد سنة ١٢٩٠ والثاني ١٢٨٩.

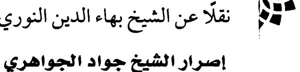
(١) الشيخ جعفر السبحاني المرجع والعالم المعروف في قم المقدسة.

الشيخ السبحاني ينقل عن الشيخ هادي: أنَّ الشيخ المامقاني عندما جاء من العراق لم يذهب إلى طهران بل ذهب إلى مدينة الري، وذهب مظفر الدين شاه لزيارته على خلاف العادة. في ذلك اللقاء أخرج مظفر الدين من جيبه تلغراف الفاضل الشربياني وأراه الشيخ حسن. كان الفاضل قد كتب: يجيء إلى إيران شخص لا نظير له في الدنيا!

حول هذا اللقاء سمعتُ من الشيخ محمد رضا ابن الشيخ محيي الدين المامقاني: أنَّ مظفر الدين شاه كان له شارب طويل وعندما ذهب لزيارة الشيخ المامقاني قال له: هذا الشارب لا يناسب الشاه وأمر بإحضار مقص وقام بنفسه بقص شارب الشاه!

لهذه القضية ذيل، أنه حصل تقدم وتأخر في المجلس فقام الشيخ حسن بتقديم الشاه لجبران ذلك النقص. هذا الذيل سمعته أيضًا من الوالد نقلًا عن الشيخ بهاء الدين النوري الذي كان حاضرًا في تلك الجلسة.





إصرار الشيخ جواد الجواهري

كان الشيخ جواد الجواهري شخصًا استثنائيًا، وكان أي أمر يريده فإنه يتحقق قطعا بمجرد تصميمه لقوة إرادته. ذات مرة كان الشيخ جواد يريد الشيخ المامقاني أن يمضي على ورقة معينة. أصحاب الشيخ المامقاني اتفقوا معه قبل مجيء الشيخ جواد أن لا يمضي تلك الورقة. ومع أن الشيخ المامقاني كان قويًا ولا يستطيع أي شخص أن يتغلب عليه إلا أن الشيخ جواد دخل على الشيخ وجعله يمضي على الورقة وخرج. قال الأصحاب للشيخ: اتفقنا معك على أن لا تمضي. فقال الشيخ: لقد أصر عليّ إصرارا لو طلب مني شيئًا آخر أيضًا لقدمته إليه!

الاعتراف بالحق

يقول السيّد علي اللواساني: جرى نقاشٌ بين الشيخ المامقاني وبين جدنا الشيخ محمد جواد، ولم يصلا فيه إلى نتيجة. في منتصف الليل طُرق باب بيت جدي. كان جدي نائمًا فوق السطح. فرأى الشيخ المامقاني على الباب. كان يريد أن يقول: إني فكرت في المسألة فوجدت الحق معك وإذا مت أنا الليلة ولم أعترف بالحق فهذا ليس من الصلاح. كان الشيخ حسن عجيبًا من هذه الجهات.

تحريم طريق الجبل

ينقل الشيخ الشربياني حفيد الفاضل الشربياني أن الشيخ فضل الله النوري ذهب في إحدى السنوات إلى الحج من طريق الجبل فوجده طريقًا خطيرًا، وذهاب الحجاج من هناك ليس من المصلحة، حيث يتعرض الكثير منهم للموت أو القتل. ولذلك حرّم الذهاب من ذلك الطريق.



الفاضل الشربياني الذي كانت بيده الأمور حرّم ذلك أيضًا. وحيث أن ذلك يضرُّ بمصالح بعض أصحاب القوافل فإنهم فكروا أن يستفتوا الشيخ المامقاني في هذه المسألة.

ذهبوا إلى الشيخ وسألوه هل الذهاب إلى مكة من طريق الجبل فيه إشكال؟ قال الشيخ: لا. سألوه ثانية: يقولون: إن فيه خطرًا؟ قال: الخطر موجود دائمًا في طريق الحج فهل يمكن أن نعطّل الحج لذلك؟! قالوا له: لو كتبنا استفتاء في ذلك فهل تكتب لنا هذا الجواب؟ قال: نعم. ثم أخذ القلم ليكتب الجواب فقال أحد الحضور: الفاضل الشربياني حرّم ذلك. فلما سمع الشيخ المامقاني هذا الكلام وضع القلم من يده فورًا وقال: الآن تغير الحكم. إلى الآن لم يكن حرامًا لكن بما أن الفاضل حرمه فهو

حرام منذ الآن!

حكم تحريم الفاضل والعلماء الآخرون الذين أمضوه موجود. الشيخ المامقاني أيضًا من المحرّمين وتاريخ تحريمه بعد الفاضل الشربياني ما يدل على أنه حرمه بعد هذا الموقف.



٥٢

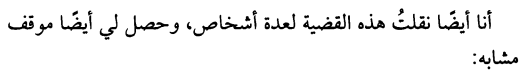
السيد مرتضى الكشميري (قدّس سرّه)

(ت ١٣٢٣ ق)

فتح الباب باسم فاطمة عليها السلام

جاء للسيد مرتضى الكشميري ـ قدس سره ـ ضيف لكن باب الحجرة كان مقفلًا، ولم يكن لديه المفتاح فقال: من المعروف أنه إذا ذكر اسم أم موسى يفتح الباب المقفل، وأمي ليست أقل من أم موسى(عليها السلام). ثم قال: يا فاطمة. فانفتح الباب.





أنا أيضًا نقلتُ هذه القضية لعدة أشخاص، وحصل لي أيضًا موقف مشابه:

ذات مرة كنت عند الباب ولم تكن عائلتي في المنزل، وكان الباب مقفلًا، وكنت أنتظر ضيفًا مما يبعث على الخجل، فقلت: يا فاطمة. وانفتح الباب.

وفي مرة أخرى، كان من المفترض أن يأتي إلينا ضيف وكانت زوجتي خارج المنزل والمفتاح عندي. كان يجب أن ارجع قبلها إلى البيت لكني نسيت وتعطلت هي خلف الباب. فتذكرَتْ قصة السيّد الكشميري وقالت: يا فاطمة. ودفعت الباب فانفتح.

أخي الاكبر الحاج السيّد إبراهيم ـ رحمه الله ـ يقول: ذات مرة انكسر المفتاح في الباب وكان الباب لا ينفتح فحاولت ربع ساعة أن أفتحه ولم

أنجح. تذكرت قصة السيّد الكشميري وقلت: يا فاطمة. ودفعت الباب فانفتح.

السيد مهدي الروحاني ذهب ذات مرة إلى بيت الشيخ الأحمدي الميانجي، كان مفتاح الخزانة التي فيها أغراض الضيافة قد ضاع، فقال السيّد الروحاني يا فاطمة بنت محمد. ودفع الباب فانفتح.

محل الدفن

سمعتُ من السيّد صدر الدين الجزائري أنَّ السيّد مرتضى الكشميري كان يقول: أنا دعوت كثيرًا أن أدفن في النجف لكن هذا الدعاء لم يستجب. وهكذا حصل فقد توفي السيّد في بغداد أو مكان آخر وحملوا جنازته إلى ناحية النجف، لكنهم عندما وصلوا إلى كربلاء كان مقتضى الأدب أن لا يخرجوا من هناك فدفنوه في كربلاء.



دعاء لحل المشكلات

نقل السيّد حسن الشيرازي ـ حفيد الميرزا الشيرازي ووالد زوجة السيّد السيستاني ـ عن السيّد عباس لاري، أنَّ السيّد مرتضى الكشميري كان يوصي بهذا الدعاء لحل المشكلات: (يا من إذا تضايقت الامور فتح لها بابًا لم تذهب إليه الأوهام. صل على محمد وآل محمد، وافتح لأموري المتضايقة بابًا لم يذهب إليه وهم. يا أرحم الراحمين.)

هذا الدعاء من أدعية الامام الحجة وقد نقل في كتاب قصص الانبياء للراوندي، لكن في نقل الراوندي «فصلِ» بدلًا من صلِ.

السيد مجتبى ابن أخي سمع هذا المطلب من بعض أحفاد السيّد الكشميري، وأن السيّد الكشميري كان يقول بإلهام من الحجة.

٥٣

الشيخ حسن علي الطهراني (قدس سره)

(ت ١٣٢٥ ق)

شفاء صدر الحُفّاظ

ينقل الشيخ المرواريد (عليه الرحمة) أن صدر الحفاظ (أحد رؤساء خُدام الحرم الرضوي) كان مريدًا لجدي لأمي الشيخ حسن علي الطهراني. ذات يوم كان صدر الحفاظ مريضًا، فذهب لزيارة الشيخ أو جاء الشيخ لعيادته (الترديد مني)، وقال له: أنا سأموت قريبًا ولذلك أريد أن أقدم جميع أموالي إليك على أن تتكفل بأبنائي. فقال الشيخ مازحًا: من الجيد أن يخرج الإنسان أمواله من جيبه ويضعها في جيبه الآخر! ثم قال: لا، أنت لن تموت. ستشفى من هذا المرض، وستشفى في هذه الجلسة.



كانت لدى الشيخ تربة يضعها داخل عمامته ويعطي منها بعض الأشخاص بحسب الاستخارة. استخار وأعطاه مقدارًا منها وربما صلى أيضا. بعد الصلاة لم يشف صدر الحفاظ من مرضه مباشرة. فأمر الشيخ بإحضار الغليون (أنا متردد هل سمعتُ الأمر بإحضار الغليون من الشيخ المرواريد أو نقله عنه السيّد رضا الصدر). فشرب شيئًا من الغليون وقال ستشفى الآن. بعد مدة عرق صدر الحفاظ وشفي في تلك الجلسة.

سمعتُ الشيخ مرواريد يقول: بعد شفاء صدر الحفاظ قال الشيخ: أنا لم أخن مولاي ومن لم يخن مولاه فهذه الأمور بسيطة بالنسبة إليه.

يقول الشيخ المرواريد: نقلت هذا الكلام للسيد الميلاني فقال: هذا الإدعاء أهم من تلك الكرامة!

مراد الخواص

كان الشيخ حسن علي في سامراء طيلة حياة الميرزا الشيرازي وبعد وفاته ذهب إلى مشهد. كتب الشيخ آغا بزرك أن الخواص كانوا يعتقدون به وكانت جماعته مزدحمة[1]. كان يؤم الجماعة في المسجد الذي عرف فيما بعد بمسجد ملا هاشم، وكذلك في مسجد كوهرشاد بناء على نقل الشيخ آغا بزرك.

ثلاثة مجاس مهمة في سامراء



سمعتُ هذه القصة من الشيخ المرواريد (ولا بد أنه ينقلها عن شخص مُعتبر):

كان في سامراء ثلاثة مجالس عزاء مهمة: أحدها في بيت الميرزا الشيرازي، والثاني في بيت الشيخ حسين النوري، والثالث بيت الشيخ حسن علي الطهراني.

بالنسبة إلى مجلس الميرزا كان الميرزا عندما يحضر تسيطر هيبته على المجلس، وكأنه لا يُوجد فيه متنفِس مع أنه مليء من الناس، كانت للميرزا هيبة خاصة.

وأما مجلس الشيخ حسن علي الطهراني فيقول: إن الشيخ تأخر مرة

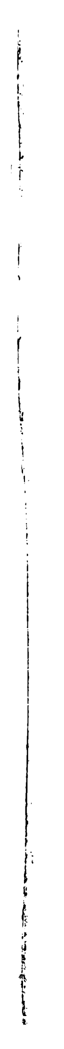
(١) يقول الشيخ آغا بزرك (وكان يقيم الجماعة في غيبة السيّد فيقتدي به الثقات. وبعد وفاة المجدد في ١٣١٢ ق بسنتين رجع إلى طهران فتوقف قليلا ولم يرتضها وتشرف إلى مشهد الرضا(ﷺ) فكان هناك من أكابر العلماء الموجهين عند العامة والخاصة. وكان يقيم الجماعة في جامع جوهر شاد في خلق كثير من الصلحاء الذين لا يأتمون بغيره) نقباء البشر، ج١، ص ٤٥٥.

عن المجلس، وعندما جاء كانت عيناه ملتهبتين من شدة البكاء إلى درجة وكأنهما ستخرجان من الحدقة. فسألوه عن ذلك، فقال: كنت في البيت فرأيت الإمام الحسين(عليه السلام) مكاشفةً وقد أشرف من النافذة وقال: تحدث عن عطشي!

التوسل لنجاة الأخ

ينقل الشيخ المرواريد أنَّ الشيخ حسن علي كان له أخ يعمل في الخياطة، ويخيط للأعيان والأشراف والسلاطين، وحيث أن أموال هؤلاء مشتبهة، فقد دخلت الشبهة في أمواله. توفي هذا الأخ في حياة الشيخ ودفن في قم. فتوسل الشيخ طالبًا من الله عز وجل أن ينجي أخاه. بعد ذلك رأى في الرؤيا أن السيدة المعصومة(عليها السلام) تشفعت فيه فانصرف الملائكة الموكلون بتعذيبه.





٥٤

الحكيم جهانكير خان القشقائي (تنرّ)

(ت ١٣٢٨ ق)

نقل المرحوم الوالد عن السيّد البروجردي عن الشيخ حسن علي النخودكي الأصفهاني، أنه كان يقول: عندما هاجرنا من أصفهان إلى مشهد وسكنّا في مشهد، قلنا فلنذهب مرة إلى اصفهان لنزور قبور أساتذتنا وذوي الحقوق علينا. كان للشيخ أستاذان أحدهما جهانكير والآخر الآخوند الكاشي. جهانكير خان كان مشهورًا جدًا. مثلًا: كان له في مدرسة الصدر غرفتان: غرفة لسكنه وغرفة للضيافة. أما الآخوند الكاشي فقد كان فقيرًا. كان أحد الأغنياء يعطيه في كل شهر ثلاثة تومانات يتعيّش بها. توفي جهانكير سنة ١٣٢٨ ق، وتوفي الآخوند الكاشي بعده بخمس سنوات. ذهبنا نبحث عن قبر جهانكير فلم يكن أحد يعرف مكانه. وجدناه بعد مشقّة في مكان بعيد. لكن قبر الآخوند الكاشي كان الجميع يعرفونه.

يقول الشيخ حسن علي: تعجبنا كثيرًا كيف حصل ذلك، ثم تبين فيما بعد أن أحد محبي جهانكير كان له مكان في المقبرة، وطلب منه أن يجعل قبره هناك حتى يدفن تحت قدمه. فوافق جهانكير ودفن هناك، لكن ورثة صاحب المقبرة لم يدفنوه هناك وأصبح ذلك المكان متروكًا. أما الآخوند الكاشي فعندما رحل من الدنيا رأى أحد المؤمنين أحد أقربائه المدفونين

بقرب الشيخ في وضع ممتاز وسأله عن ذلك. فقال: كنا في شدة، ولكن عندما دفن هذا الشيخ هنا حصل لنا فرج. وانتشر هذا الخبر فأخذ الناس يزدحمون حتى يدفنوا موتاهم بالقرب من ذلك المكان، وأصبح ذلك المكان معروفًا.



٥٥

الملا محمد كاظم خراساني (قدّس سرّه)

(ت ١٣٢٩ ق)

توحيد الآخوند

كان السيّد جمال الكلبيكاني (رحمه الله) وهو من أهل السير والسلوك، يقول: أن التوحيد الذي كان عند الآخوند لم يكن موجودًا عند أي شخص آخر.



يقول الشيخ نصر الله الشاه آبادي: كان أبي المرحوم آية الله الشاه آبادي يعتقد كثيرًا بالآخوند، ومع أنه كان يحب الميرزا محمد تقي الشيرازي حبًا كاملًا ـ وكان الميرزا آية في التقوى ـ إلا أنه كان يعتقد أن الآخوند فوق مستوى الميرزا.

يقول السيّد علي الكلبيكاني ابن السيّد جمال: إن أبي كان قد وضع في حجرته صورة الآخوند الخراساني فقط لاغير.

الآخوند والميرزا علي النوقاني

يقول أحد الطلبة: ذهبتُ مع زوجتي إلى النجف، وكانت حاملًا وكنا لا نعرف أحدًا ولم يمض يومان على دخولنا النجف ـ وكنت أتمنى أن يتأخر وضع حملها ـ لكن الألم فاجأها ولم أكن أعرف ماذا أصنع وأذهب إلى من؟

كنت أعرف فقط منزل الآخوند فقلت لنفسي: من باب الاضطرار أذهب اليه ليبعث معي أحدًا من خدامه إلى منزل القابلة. ذهبتُ بعد منتصف الليل في منتهى الخجل وطرقت الباب، فقال قائل: من؟ فعرفت أن هناك أحد مستيقظ، فقلت: عندي حاجة. بعد لحظات جاء شخص بيده مصباح، ورأيت أنه هو الآخوند نفسه، فتجمدت في مكاني، وعندما رأى الآخوند حالي أخذ بيدي وقال: يا بني، تعال لأرى ما هي مشكلتك؟ وعاملني بمحبة وعطف حتى انطلق لساني. قلت: أنا للتو جئت إلى النجف ولا أعرف أحدًا، فأريد أحد خدّامك أن يأتي معي ويدلني على بيت القابلة. فسألني الآخوند عن اسمي ومكاني، وقال: تعال لنذهب. جاء معي وهو يحمل السراج بنفسه. أردت أن آخذ منه السراج فرفض. مشى أمامي وأنا خلفه حتى وصلنا إلى منزل القابلة، طرق الباب، فخرج شاب عندما رأى الآخوند قال له: تفضل شيخنا. فقال له الآخوند: لا. اذهب ونادِ جدتك فأنا مستعجل. قل لها تأتي بسرعة. بعد قليل جاءت عجوز قوية، فقال لها الآخوند: يا جدة. زوجة هذا الشيخ في حالة المخاض، اذهبي معه إلى البيت وابقي معه إلى نهاية المطاف.



جئنا مع القابلة حتى وصلنا إلى مفترق الطريق فقال الآخوند للقابلة: اذهبي معه إلى المحل الفلاني. وأعطانا السراج، وقال: أنا أعرف الطريق ولا أحتاج إلى المصباح. في ذلك الوقت قبل مائة سنة لم تكن هناك إضاءة وكان الظلام يحيط بالمكان. وقال الآخوند: أنا مستيقظ إلى الصبح. أخبروني بنتيجة وضع الحمل، ولا تظنوا أني نائم. وأعطاني مقدارًا من المال. قلت له: لا أحتاج، فقال: لا. خذه وليكن عندك. وقال للقابلة: هذه المرأة مريضتنا وحسابها إلى النهاية علينا.

عند السَحَر وضعت المرأة وكان المولود ذكرًا، يقول الطالب:

فاستحيت أن أخبر الآخوند، وفي اليوم التالي قريبًا من المغرب جاء السيّد أبو القاسم وقال: إن الآخوند قلق عليكم فما الذي جرى؟ فذهبت إليه وسأل قائلا: أنا قلق عليكم منذ البارحة، فلماذا لم تخبروني. فاعتذرت إليه، فقال الآخوند: المولود ذكر أم أنثى؟ فقلت له: ذكر. فقال: جيد. إذن سمّه محمد كاظم حتى يكون ذكرى لنا.





آية الله الشيخ محمد تقي الأصفهاني المعروف بآغا نجفي (قدس سره)

(ت ١٣٣٢ ق)

يَنقل السيّد جواد الزنجاني ـ الأخ الأكبر للسيد رضا والسيد أبي الفضل عليه الرحمة ـ ظاهرًا وبظنٍ قوي عن الشيخ مهدي الحائري اليزدي عن السيّد محمد كاظم العصار ـ قدست أسرارهم ـ يقول: تمَّ تبعيد الشيخ محمد تقي الأصفهاني المعروف بآغا نجفي من أصفهان إلى طهران؛ لأنه كان شديدًا في النهي عن المنكر، ويأمر بقتل بعض البابية، ويقوم بمثل هذه الأعمال. لا تعجب هذه الأعمال السلاطين طبعًا، ولذلك تم استدعاؤه عدة مرات إلى طهران. في إحدى المرات طلبوا منه أن يبقى في طهران ولا يعود إلى أصفهان حتى يضيع بين العلماء. بدأ الشيخ درسًا، وقام بإعطاء مرتب للطلاب حتى يحافظ على طلابه.



كان الحضور في أول الشهر كبيرًا، ثم يأخذ في التناقص. وعندما تقترب نهاية الشهر وبداية الشهر الجديد يعود العدد للتكامل.

يقول السيّد محمد كاظم: كنت أنا أيضًا أحضر درسه. ذات مرة قامت السلطة ـ وكانت تريد تحقير الشيخ ـ بتحريك بعض الطلبة للإشكال عليه في الدرس بطريقة تؤدي إلى تصغير مقامه. كان الشيخ أيضًا ذكيًا يفهم من طريقة الإشكال أن وراءه شيئًا وأنه ليس طبيعيًا. فصعد المنبر ذات يوم وقال باللهجة الأصفهانية: لا تظنوا أن محمد تقي هكذا. محمد

تقي يحفظ الكتب الأربعة كاملة متنًا وسندًا. ولتحضروا الكتاب فيما بعد وتمتحنوا. كان ذلك في آخر الأسبوع واليوم التالي عطلة. في يوم السبت جاء الشيخ وصعد المنبر وقال بنفسه من دون أن يقولوا له: لقد قلت ما قلته، فإذا أحضرتم الكتاب فاسألوا حتى أجيب.

يقول السيّد العصار: كنت قد أحضرت كتاب (الكافي) مثلًا، وآخر (كتاب التهذيب)، وثالث كتاب (من لا يحضره الفقيه). سألته أنا من كتاب (الكافي) في أحد الأبواب التي تقل مراجعتها مثل كتاب اللقَطة فأخذ يقرأ عدة صفحات منه بالسند والمتن. وسألته من موضع آخر فأجاب كذلك. وسأل آخر من كتاب (التهذيب) فقرأه بالنص. وسأله ثالث من كتاب من (لا يحضره الفقيه) وكذلك. فاستمر مدة طويلة يجيب على الأسئلة بقراءة السند والمتن، ولم يكن ذلك صدفة أنه حفظ بعض الأبواب وسئل فيها ولم يكن يقترح أبوابًا معينة. فاطمأن الحضور بأن الأمر ليس من باب الصدفة. ثم قال الشيخ: لم تكن لديَّ ذاكرة قوية لكني ذهبت ذات مرة إلى الحرم ـ أظنه حرم الإمام الحسين(ﷺ) ـ وتوسلت بالإمام(ﷺ) من أجل ضعف الذاكرة بأني إذا لم أكن حافظًا فقد لا أوفق لخدمة الإسلام (في مضمون الكلام) وبعد ذلك التوسل وهبت لي هذه الحافظة. فأصبح حافظا للكتب الأربعة وكأنه يقرأها من الكتاب.



فلما نزل من المنبر قاموا جميعًا بتقبيل يديه بما فيهم من المشايخ تبركًا بمحط عناية الإمام المعصوم(ﷺ). وشاع صيته في طهران بحيث رأت السلطة أن بقاءه في طهران ليس كما تريد حيث أنها جاءت به ليضيع ذكره. بل لو بقي في طهران وقد ذاع صيته فسيكون سببا لمضايقة السلطة. فقالوا له: إذا أردت العودة إلى أصفهان فلا مانع من ذلك، وأعادوه إلى أصفهان.

٥٧

الميرزا محمد تقي الشيرازي (قدس سره)

(ت ١٣٣٨ ق)

من هو الأعلم؟

السيد رضا الزنجاني عن الشيخ إبراهيم العاملي ـ كان من علماء قم وأحفاده موجودون الآن وربما يكون ولده على قيد الحياة ـ يقول: ذهبت إلى الميرزا محمد تقي الشيرازي، وقلت له: وصلتني رسالة من جبل عامل يطلبون فيها مني أن أبحث عن الأعلم بين السيّد محمد كاظم والميرزا محمد تقي وأخبرهم بما توصلت إليه ليرجعوا إليه في التقليد. فهل أنت الأعلم أو السيّد محمد كاظم؟

قال الميرزا محمد تقي: هل ثمت ترجيح في رأيك؟

قلت: لا.

فقال: إذًا فتخيّر.

يقول الشيخ: ذهبت إلى السيّد محمد كاظم ـ عليه الرحمة ـ وسألته: أنت أعلم أم الميرزا محمد تقي؟

فأحضر قرآنًا وقال: أقسِمْ بهذا القرآن أنك ستقول لهم ما أقوله لك! فأقسمتُ. فقال: أنا الأعلم.

فكتبنا أنه هو الأعلم فارجعوا إليه.

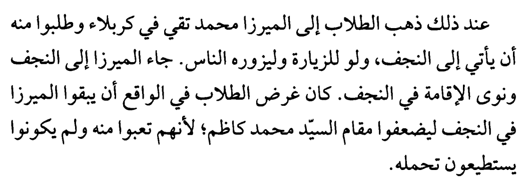
يقول السيّد رضا الزنجاني ـ عليه الرحمة ـ: قلت له: شيخنا! إن الله أتمَ الحجة عليك لكنك لم تفهم!

كان الميرزا محمد تقي أعجوبة!

قضية المشروطة وموقف الميرزا

كان هناك خلاف شديد بين أهل العلم في النجف حول قضية الملكية الدستورية والملكية المطلقة في إيران. كان الآخوند الخراساني والميرزا حسين الخليلي والشيخ عبد الله المازندراني يؤيدون الدستورية في حين كان السيّد محمد كاظم اليزدي يخالفها. كانت مخالفة السيّد محمد كاظم شديدة في هذا الأمر، وكانت علاقته بالطلاب ضعيفة، وقد ضغط عليهم في هذا الأمر كثيرًا حتى أن السيّد أبا الحسن الأصفهاني لم يكن يمتلك أجرة المنزل، واضطر إلى ان يسكن مع زوجته وأطفاله في مسجد الكوفة.



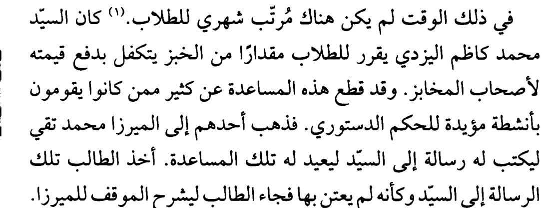


عند ذلك ذهب الطلاب إلى الميرزا محمد تقي في كربلاء وطلبوا منه أن يأتي إلى النجف، ولو للزيارة وليزوره الناس. جاء الميرزا إلى النجف ونوى الإقامة في النجف. كان غرض الطلاب في الواقع أن يبقوا الميرزا في النجف ليضعفوا مقام السيّد محمد كاظم؛ لأنهم تعبوا منه ولم يكونوا يستطيعون تحمله.

كان الميرزا محمد تقي من الأوتاد. كان استثنائيًا من جهة الأخلاق والتقوى والمعنويات والجوانب الروحية. وكان محط قبول الجميع واحترامهم. جاء إلى النجف وبدأ بإقامة صلاة الجماعة. كانت في الحرم جماعات متعددة فتوقفت ليشارك الجميع في صلاة الميرزا محمد تقي. وكان السيّد محمد كاظم ـ عليه الرحمة ـ يصلي في الخلف مع جماعة قليلة.

في الليلة الأولى حضر الجماعةَ خلقٌ كثير، وفي الليلة الثانية اجتمع الناس أيضًا وأخذوا ينتظرون الميرزا لإقامة الجماعة، لكن فجأة جاء من يخبرهم أن الميرزا رجع إلى كربلاء! انزعج الجميع. وتبين فيما بعد أن السيّد محمد كاظم ـ رحمه الله ـ أرسل إلى الميرزا يقول له: هل جئت هنا لتشق عصا المسلمين؟! وحيث أن الميرزا كان من أهل التقوى، والتفت إلى أن الأمر كان مدبّرًا ولم يكن طبيعيًا، فإنه عاد إلى كربلاء مع أنه كان قد قصد الإقامة.

قصةٌ أخرى



في ذلك الوقت لم يكن هناك مُرتّب شهري للطلاب.[1] كان السيّد محمد كاظم اليزدي يقرر للطلاب مقدارًا من الخبز يتكفل بدفع قيمته لأصحاب المخابز. وقد قطع هذه المساعدة عن كثير ممن كانوا يقومون بأنشطة مؤيدة للحكم الدستوري. فذهب أحدهم إلى الميرزا محمد تقي ليكتب له رسالة إلى السيّد ليعيد له تلك المساعدة. أخذ الطالب تلك الرسالة إلى السيّد وكأنه لم يعتن بها فجاء الطالب ليشرح الموقف للميرزا.



كانت عادة الميرزا أنه يُصلي الفجر في الحرم ثم يذهب إلى شاطئ الفرات ويقرأ زيارة عاشوراء ويلتحق به بعض المؤمنين. كان الميرزا مشغولًا بالزيارة ومعه بعض أصحابه، فجاء ذلك الطالب ونقل للميرزا الموقف وعبر عن السيّد في كلامه بتعبير غير مناسب. فلما قال ذلك أشاح عنه الميرزا بوجهه! فهوى يقبل يديه ورجليه، وهو يظن أن الأصحاب سيظنون أنه نطق كفرًا! لأن الميرزا كان مجسمةً للأخلاق.

قال له الميرزا: شيخنا. شخص يحمل راية الإسلام من واجبنا أنا

---

(١) أول من قرَّر المرتب الشهري كان هو الشيخ عبد الكريم الحائري في قم ثم تبعه الآخرون. وأول من قرَّر (الخبز) للطلاب كان هو السيّد محمد كاظم اليزدي عليه الرحمة.

وأنت أن نؤيده. هو لم يقم بعمل ما، لأجل أنه لا يراه صالحًا، فلا معنى لأن نخالفه من أجل ذلك.

نقل هذا السيّد علي اللواساني.

موقف آخر

وسمعتُ من السيّد عز الدين الزنجاني أن الميرزا محمد تقي كان يكتب للسيد رسالة مزينة بالألقاب العظيمة التي تُقال في حق كبار المراجع، فيرد عليه السيّد بألقاب صغيرة. ينزعج أصحاب الميرزا من أجل ذلك فيقول الميرزا نفسه: السيّد أعلم وأعرف بما يكتب. غاية ما أرجو من الله أن يكون هذا اللقب صحيحًا في حقي! يعني: مهما قمنا به من أعمال فلعل هذا اللقب يصدق فينا. هو أعلم بذلك.



كان الميرزا محمد تقي أعجوبة واقعًا!

٥٨

الحاج الميرزا محمد أرباب (ﷺ)

(ت ١٣٤١ق)

كان الحاج ميرزا محمد أرباب(ﷺ) صاحب كتاب الأربعين وجدّ المرحوم شهاب الإشراقي، جامعًا بين العلوم العقلية والنقلية، ومعاصرًا للشيخ عبد الكريم الحائري(ﷺ). وله حقٌ كبير على الحوزة العلمية في قم فقد كان له دور كبير في تأسيسها، لكنه لا يُذكر، للأسف.



منع دخول الروس إلى قم

ينقل الحاج آغا سعيد عن والده الميرزا محمد أرباب(ﷺ) أنَّ الروس عندما وصلوا إلى قم، قال الميرزا محمد: سأذهب للقاء رئيس الروس.

قال له العلماء: أنت شخصية علمية كبيرة، ولا يُناسبك أن تذهب إلى رئيس هؤلاء الكفرة. قال: لا، المصلحة في ذهابي. فذهب وقال لهم: إن للبضاعة الروسية سمعة طيبة في سوق قم. فإذا ذهب شخص لشراء سماور مثلًا يقول: أريد سماورًا روسيًا. فلا تقوموا بعمل يزيل هذه السمعة الحسنة عن بضاعتكم. فقال رئيسهم: إذًا سأمنع الروس من دخول قم بشكل مطلق. فاستطاع الميرزا محمد ـ عليه الرحمة ـ بهذا العمل أن يحول دون دخولهم إلى قم. ولو دخلوا إليها لانتهت.

وإضافة إلى ذلك، فإنه توسّط للشيخ آغا جمال الأصفهاني، حيث كان الروس قد أهدروا دمه. فقبلوا وساطة الميرزا محمد بشرط أن لا يذهب

الآغا جمال إلى إصفهان، فذهب إلى طهران وصار من علماء الدرجة الأولى فيها.

ذكر هؤلاء العظماء ميتٌ، يجب أن يحيى فإنَّ لهم حقًا على الحوزة.



٥٩

السيد موسى الزرآبادي (قدّس سرّه)

(ت ١٣٥٣ ق)

مكاشفة

ينقل الشيخ باقر ملكي الميانجي ـ وهو شخص تقي من تلامذة الميرزا مهدي الأصفهاني في مشهد، ـ عن الشيخ مجتبى القزويني، عن السيّد موسى الزرآبادي ـ قدست أسرارهم ـ يقول: كنت إمام جماعة في قزوين، وكنت مشتغلًا بالسير والسلوك. وقد حصلت لي في ذلك الوقت مكاشفات، ولم تكن الجدران حائلًا عن الرؤية بالنسبة لي، كنت أرى من ورائها.



ثم سمعتُ في عالم المكاشفة صوتًا يقول لي: كفاك عملًا بهذه الظواهر، إذا أردت أن تصل إلى مقامات أعلى يجب أن تتركها. قلت: الصلاة والصوم وأمثالها ثبتت بطريق معتبر عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ فلا أتركها.

سمعتُ النداء ثانية يقول: إذا لم تتركها فستفقد كل ما حصلت عليه من مقامات. قلت: إلى الجحيم، لتذهب. وبمجرد أن قلت ذلك ذهبت عني تلك الحالات وصرتُ شخصًا عاديًا.

فعلمتُ أن ذلك الطريق كان شيطانيًا، وقررت أن أعمل بالواجبات والمستحبات الشرعية حد المقدور. وبعد مدةٍ من العمل بالشرعيات

حصلت لي حالة، ليست الحالة السابقة بالنسبة إليها إلا كالقطرة بالنسبة إلى البحر.

كان السيّد موسى الزرآبادي وجمع من طلبته على علم كامل بالفلسفة لكنهم وقفوا ضدها، وحيث أنهم كانوا من الزهاد والصلحاء والأتقياء فقد أبقوا الجو في مشهد ضد الفلسفة سنين متمادية.

تلميذ السيّد الزرآبادي

كان المرحوم الميرزا أبو الحسن حافظيان يقول: تتلمذت خمس سنوات على يد الشيخ حسن علي النخودكي، وسنتين على يد السيّد موسى الزرآبادي. كان يرجّح السيّد الزرآبادي على الشيخ النخودكي عليهما الرحمة.



عالمان ربانيان

من المُسلَّم والقطعي أنَّ الميرزا مهدي الأصفهاني والسيد موسى الزرآبادي كانا متدينين للغاية وكانا عالمين ربانيين. يعتقد الكثيرون أنهما كانا من أصحاب الكرامات، وليس ذلك ببعيد.

السيد الزرآبادي كان صاحب كرامة قطعًا، وأما الميرزا مهدي فقد نقل عنه الثقات مطالب يظهر أنها من الكرامات.

٦٠

آية الله الميرزا محمد حسين النائيني (قدس سره)

(ت ١٣٥٥ ق)

الرؤيا الصادقة

ذات مرة كان السيّد جمال الكلبيكاني (عليه الرحمة) قد جاء إلى إيران، فسمع منه الوالد والشيخ صدوقي هذه القصة. أنا أنقلها عن الشيخ صدوقي حيث إن في نقله إضافة:



كان السيّد جمال قد سمع من الميرزا النائيني أنه رأى السيّد محمد الفشاركي بعد وفاته في الرؤيا. يقول الميرزا: أمسكت إصبعه وسألته: ما هي أخبار ذلك العالم؟ فقال السيّد الفشاركي ـ عليه الرحمة ـ: دع هذا السؤال! فإني لو أجبتك سأصبح معروفًا بين أبناء هذا العالم بعدم الكتمان! قال الميرزا: إذًا تفضل عليّ بالمقدار الذي لا يؤدي إلى حصول هذه المشكلة.

قال السيد: قبل أن أخرج من هذا العالم لم يكن لدي أي هم أبدًا إلا أمرين. وارتفع أحدهما أثناء الاحتضار، والثاني في يوم الوفاة.

همي الأول كان من ناحية عائلتي وأولادي. لأني كنت أتحمل ضيق العيش بالانشغال باللّذّات العلمية، بينما كانت عائلتي تقاسي ذلك من دون وجود شيء يخفف عنهم. وفي حال الاحتضار أُلهِمْتُ أن: لا تقلق عليهم سيتم تأمين معاشهم من بعدك!

والأمر الآخر الذي كان يقلقني دين مقداره ٢٥ روبية عليّ للقصاب المقابل لمسجد الهندي. وقد رحلت من الدنيا دون أن أؤديه. وأثناء تشييع جنازتي مررت على دكان القصاب فرفع يديه إلى السماء وقال: يارب! إن السيّد الفشاركي مدين لي ب ٢٥ روبية، وقد أبرأت ذمته. وهكذا زالت المشكلة الثانية.

يقول الميرزا النائيني: أرسل إمام جمعة تبريز ألف تومان للسيد الفشاركي، فوصل المبلغ أثناء تشييع الجنازة فقدموه لعائلته. وهكذا تحقق الأمر الأول الذي رأيته في الرؤيا.

ولأجل التأكد من الأمر الثاني ذهبتُ إلى القصاب وسألته: هل كان أستاذنا مدينا لك؟ قال: نعم. فقلت: بكم؟ قال: ٢٥ روبية. فأدخلت يدي في جيبي وأخرجت المبلغ فقال القصاب: كان مدينًا لي لكني أبرأته. سألته: متى؟ قال: عندما عبرت جنازته على دكاني!



وبعد وفاة الميرزا النائيني رآه السيّد جمال في الرؤيا فأمسك بإصبعه كذلك وقال له: أنا أطلب منك ما طلبته من أستاذك. فقال الميرزا: أنتم سمعتم باسم الاحتضار، لكن ما جرى عليّ في الواقع لا يمكن وصفه!

كان بعض معارضي الدستورية يعتقدون أنَّ هذه الشدة عند الاحتضار بسبب ترويج الميرزا النائيني للدستورية!

طي الزمان

ينقل السيّد عز الدين الزنجاني عن والده عن الميرزا النائيني ـ عليه الرحمة ـ يقول: عندما كنا في أصفهان كان الشيخ محمد باقر مسجد شاهي[١] زعيمًا، وكان يخطب في الناس كل جمعة.

(١) (ت ١٣٠٣ ق).

ذات مرة قال لي صديقي: ألا تحب أن نحضر خطبة الشيخ محمد باقر؟ قلت: بلى. ولم أكن ملتفتًا إلى أننا في وسط الأسبوع والشيخ يخطب يوم الجمعة.

ذهبنا فرأينا الشيخ على المنبر، وتلا آية معينة وبحث حولها، وقد كان تحت منبره بعض المؤمنين.

عندما جاء يوم الجمعة قال صاحبي: ألا تحب أن نحضر خطبة الشيخ محمد باقر؟ قلت: نعم. فذهبنا ورأينا نفس المنظر الذي رأيناه سابقًا من دون أدنى تفاوت: الشيخ على المنبر، وتلا نفس الآية، وكان نفس الأشخاص حاضرين، وطرح نفس الأفكار. فكنا قد طوينا الزمان ورأينا ذلك قبل وقته.



ليس في ذلك أي استبعاد. ألا يوجد في الرواية أن سيد الشهداء(ﷺ) أرى أصحابه كل ما سيجري في كربلاء ليلة عاشوراء؟

سمعتُ ذلك بالسند المذكور عن الميرزا النائيني حيث يقول: كان لنا صديق سيّرنا بهذه الطريقة!



٦١

آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (قدس سره)

(ت ١٣٥٥ ق)

كان الشيخ من أهل الفكر، لكنَ محفوظاته لم تكن قويةً جدًا. يقول الشيخ الأراكي ـ عليه الرحمة ـ: كان الشيخ ـ عليه الرحمة ـ يقول: كنا نحضر درس السيّد محمد الفشاركي(رحمه الله). كان الشيخ النائيني يهتم بضبط المطلب وحفظه، وكنت أهتم بتنقيحه. فلو سألت الشيخ النائيني بعد ستة أشهر عن مطلب فإنه ينقله بالضبط، كأنه سمعه أمس!

خضوع علماء قم

عندما جاء الشيخ الحائري إلى قم سكن في بيت الشيخ مهدي الحكمي، الذي كان من أصحاب سامراء في زمان الميرزا الشيرازي، والميرزا محمد تقي الشيرازي. كان الشيخ أيضًا من أصحاب سامراء فنزل عنده. وجاء إلى زيارته شخصيتان من رؤساء قم: أحدهما الميرزا محمد أرباب، والثاني الشيخ أبو القاسم الكبير عليهما الرحمة.

أما الميرزا محمد أرباب فقد كان من أهل الأملاك، وكان أكبر سنًا من الآخرين فكانوا يتواضعون له، وقد درس كثيرون عنده، وهو أكبر من الشيخ الحائري بحوالي ١٥ سنة، وطبقته مقدمة على طبقة الشيخ، وقد كان جامعًا للعلوم العقلية والنقلية، وكان زعيمًا.

وأما الشيخ أبو القاسم فقد كان أيضًا استثنائيًا ووجيهًا في قم وله المقام



الأول في التقوى والأخلاق والجهات العلمية.

وقد سمعتُ قصتين عن هذا اللقاء، ينقلهما حفيد الميرزا محمد الحاج شهاب ووالده الحاج سعيد ابن الميرزا محمد.

أما الحاج شهاب فيقول: حيث كان الرجلان أهلًا لأن يتباحثا في المسائل العلمية مع الشيخ، فقد طرحتُ مسألة علمية وتناقشوا فيها، فلما خرجا قال الميرزا محمد للشيخ أبو القاسم في الطريق:

إن مستوى هذا الشيخ أعلى منا، فلو طلبنا منه البقاء في قم ستصبح حوزة قم حوزة قوية جدًا! قال الشيخ أبو القاسم: لقد أردت ان أقول لك هذا الكلام! فقال الميرزا أرباب: فلنرجع الآن له. وقد رجعا فعلا وقالا للشيخ: لقد جئنا لنطلب منك هذا الطلب.



إن لهؤلاء العظماء حق كبير على الحوزة. هما والسيد صدر الدين الصدر، وبقية العلماء قدموا تضحيات في هذا الطريق. كان الميرزا محمد أرباب ـ مع أنه أكبر من الشيخ ب ١٥ سنة ـ يتواضع ويتصاغر أمامه!

وأما نقل الحاج سعيد ابن الميرزا محمد، فإنه يقول: في اللقاء الأول لم يعتنِ والدي بالشيخ كثيرًا. سألوه لماذا لم تحترمه كثيرًا؟ قال: يجب أن أرى مستواه العلمي أولًا حتى أعامله بما يناسبه. فلما تباحثا فيما بعد وتبينت له مكانة الشيخ وأنه على درجة كبيرة أخذ يتصاغر أمامه بمختلف الأشكال.

سمعتُ السيّد الخميني ـ عليه الرحمة ـ يقول: علماء قم هؤلاء كانوا رجالًا صالحين، ولذلك سلّموا للشيخ وخضعوا أمامه كل ذلك الخضوع. لو ذهب الشيخ لمكان آخر لم يتواضعوا له ويسلموا بهذا الشكل. لقالوا له: شيخنا لماذا جئت إلى هنا؟! كان علماء قم هؤلاء رجالًا ممتازين للغاية.

في ذلك الوقت كان الشيخ أبو القاسم القمي إذا قيل له: (آية الله) يمنع القائل ويقول: آية الله شخص واحد فقط ـ يقصد الشيخ عبد الكريم ـ ولا ينبغي أن تقولوا لنا هكذا.

كان يذهب لزيارة الشيخ في الأعياد والمناسبات، وقد سمعتُ أنه أحيانًا ينظر إلى باب بيت الشيخ ويقول: إن النظر إلى باب العالم عبادة. كل ذلك من أجل تقوية موقف الشيخ عليه الرحمة.

صفٌ قوي أمام المتوجهين للغرب

كان في قم شخص اسمه الحاج الميرزا محمد وكيل، كان من المحترمين ومن أهل الفهم. عندما رأيناه لم يكن معممًا، لكن لحيته كانت مرتبةً، وكان شخصيةً معروفةً. كان للميرزا محمد أرباب مؤسسة قضائية، وكان الميرزا محمد هذا يتصدى للوكالة فيها. يقول: كنت يوما عند الميرزا محمد ـ عليه الرحمة ـ فجاء الشيخ عبد الكريم لزيارته، فقال له الميرزا محمد: إن المستغرِبين اليوم يشكلون صفًا واحدًا مجهزًا لنشر ثقافتهم، فيجب علينا نحن العلماء أن نشكّل صفًا قويًا أمامهم، وهذا ليس في مقدورنا نحن، فقد فقدنا رائحتنا (وهذا تعبيره). لكن أنت قادر على أن تقوم بهذا العمل، قم بالتصدي لمسؤولية الحوزة، وادفع للطلبة رواتب. قال الشيخ: أنا الآن لا أملك القدرة على ذلك. فقال الميرزا محمد: أنا أقترض من التجار مبلغًا يكفي لعدة أشهر.



فبقي الشيخ، وأخذ يدفع الرواتب فجاء الطلاب من المناطق المجاورة وتأسست حوزة قوية من الدرجة الاولى.

إدراك حياة الشيخ

أنا لم أر الشيخ. كنت صغيرًا جدًا حتى أنني كنت في التشييع لا أرى

الجنازة. كان عمري تسع سنوات عندما توفي الشيخ. هذا ما أتذكره. كنت قد أكملت تسع سنوات قمرية ولم أكمل تسعًا شمسية.

كان الحاج الميرزا عبد الله جهلستوني في ذلك الوقت ساكنًا بالقرب من منزلنا، وأتذكر أني رأيته صباح اليوم الذي توفي الشيخ في ليلته خارجًا من بيته مفجوعًا ومتأثرًا بشكل خاص، هذا فقط ما أتذكره.

جذابية منبر الشيخ

كان السيّد الكلبيكاني ينقلُ ذات مرةٍ في بيت السيّد الخميني أن كيوان الخطيب المعروف ـ والذي كان يسحر الناس بكلامه ـ جاء إلى أراك لترويج الصوفية، فكان يرتقي المنبر ويتكلم في ذلك. فأخذ الشيخ الحائري(عليه الرحمة) يرتقي المنبر بعد انتهائه من صلاة الجماعة ويرد على الصوفية بشكل جميل جدًا، حتى أنَّ كيوان على الرغم من حلاوة خطبه لم يتمكن من البقاء في أراك.



توقف السيل بتربة الإمام الحسين(عليه السلام)

عندما جاء السيل في زمان الشيخ ـ رحمه الله ـ وإنهدمت بعض الأماكن كنت صغيرًا، كان صوت السيل مهيبًا. كان الوالد يدخل ويخرج ويراقب لكي يساعدنا على الفرار فورا عند مجيء السيل. [١]

وقد سمعتُ فيما بعد أن الشيخ أمر بإلقاء مقدار من التربة الحسينية في السيل فهدأ!

سمعتُ ذلك من والدتي: أن سيلًا عظيمًا جاء إلى قم فدفع الشيخ الحائري (عليه الرحمة) مقدارًا من تربة الإمام الحسين(عليه السلام) إلى ابنه

(١) الشيخ الأراكي اشتبه في نقل القصة، وقال إن السيل جاء على أثر صلاة الاستسقاء التي صلاها السيّد محمد تقي الخونساري، فجاء الشيخ مرتضى وألقى التربة. (السيد)

الشيخ مرتضى ليلقيه في الماء. فلما ألقاها توقف السيل!

طلاب الشيخ

سمعتُ الميرزا عبد الله المجتهدي ـ رحمه الله ـ يقول: كان في درس الشيخ اثنان من أفاضل طلبته يقابلهما اثنان آخران: فالسيد الخميني والسيد شريعتمداري من جهة، والحاج ميرزا خليل الكمربي والحاج ميرزا باقر الكمربي من جهة أخرى.

يقول: الميرزا خليل والميرزا باقر كانا متأثرين بشدة بالحضارة الغربية الجديدة، وكانا يوليانها أهمية كبيرة، لكن السيّد الخميني والسيد شريعتمداري لم يتأثرا لتلك الدرجة. كانا على اطلاع على إنجازات تلك الحضارة، لكنهما لم يكونا يقولان: ما أعظمهم! وما أضعفنا! فيحقران أنفسهم أمام الأجانب. أما الميرزا خليل والميرزا باقر فقد كانا معجبين جدًا بالغربيين.



كلهم كانوا أصدقاء الميرزا المجتهدي. فكان يقارن بين أصدقائه ـ الذين كانوا تلامذة الشيخ ـ وقد كان الميرزا عبد الله المجتهدي دقيقًا.

الاستخارة

كان الشيخ الحائري ـ عليه الرحمة ـ لا يستخير بالقرآن الكريم، وكذلك كان الشيخ الأراكي عليه الرحمة.

كرامة الولادة والبقاء

سمعتُ الشيخ الأراكي يقول: وجود الشيخ الحائري كان كرامةً في بدايته واستمراره، وكان والده اسمه محمد جعفر ولم يُرزق بالولد. كانت لديه امرأة متعة، وكان يذهب أحيانًا إليها. كان لتلك المرأة ولد من زوجها السابق، فكانت ترسله إلى بيت خالته ليخلو البيت للشيخ،

وذات مرة جاء إلى البيت فسمع بكاء الطفل؛ لأنه لا يريد الذهاب إلى بيت خالته، فانزعج. قال: يا رب! أنت قادر على أن تعطيني الذرية من زوجتي الدائمة، ولا أكون سبب في بكاء طفل يتيم. عاد بعد ذلك إلى بيته وحملت زوجته، وهكذا كان بداية مجيء الشيخ إلى الدنيا. كان الشيخ هو الطفل الوحيد لدى والديه، وكان مشاكسًا للغاية في صغره. سمعتُ أن والدته كانت تقول: الطفل الذي يؤخذ من الباري بالقوة والإصرار لا بد أن يكون هكذا.

أما بالنسبة إلى بقائه فقد كان مدة في كربلاء فرأى في النوم أو بين النوم واليقظة أنه يُقال له: إن عمرك سينتهي بعد عشرة أيام. نسي الشيخ ذلك وفي اليوم العاشر ذهب مع أصدقائه إلى إحدى المزارع وفجأة أصابته رعدة شديدة وكلما غطوه بالملاحف لم يسكن. تذكر الرؤيا، وعرف أنه ذلك اليوم الموعود. وضعوه على حمار وأمسكوه من الجهتين وذهبوا به إلى المنزل ووضعوه في هيئة المحتضر، وفي اللحظات الأخيرة أخذ الشيخ يتوسل بسيد الشهداء بأنني لم أقدم عملًا صالحًا ويدي خالية فأعطني فرصةً حتى أقوم بالأعمال الصالحة، بعد ذلك توفي الشيخ فغطوه بقماش خفيف وأخذ المحيطون به يبكون ويصرخون ويستعدون لتكفينه ودفنه.



في ذلك العالم عندما جاؤوا لقبض روح الشيخ رأى الشيخ السقف ينشق فدخل منه شخصان وقالا: سيد الشهداء(ﷺ) يقول: توقفوا عن قبض روحه. قال الملك الموكل بقبض الروح: أنا مأمور بقبض روحه. وبعد قليل جاء سيد الشهداء(ﷺ) بنفسه، وقال: توقف. فتوقف الملك الموكَل. عند ذلك حرك الشيخ القماش الموضوع عليه بإصبعه فعرف المحيطون به أنه حي.



آية الله السيّد حسن المدرّس (قدس سره)

(ت ١٣٥٦ ق)

أنا لم أدرك السيّد حسن المدرّس[١]، لكني سمعتُ بعض المواقف عنه من العلماء.

سمعتُ والدي ـ عليه الرحمة ـ يقول: ذات مرة ذهب السيّد حسن إلى مجلس الشورى وألقى هناك خطابًا. استشهد في خطابه ذاك ببيت شعر معروف يتحدث عن الموتى بما مضمونه: أولئك الذين كانوا يتحدثون بمائة لسان ماذا أصابهم فأصبحوا ساكتين؟!



فاستشهد السيّد بهذا البيتُ مشيرًا إلى مخالفيه الذين كانوا يكثرون الخطب سابقًا تأييدًا له، ثم رجعوا عن موقفهم. يقول: أولئك الذين كانوا يتحدثون بمائة لسان ماذا سمعوا؟! ماذا رأوا؟! ماذا أخذوا؟! ماذا أكلوا؟! حتى أصبحوا هكذا صامتين!

ينقل الوالد أيضًا أنَّ السيّد حسن جاء مرة إلى زنجان، وزار مدرسة السيد، وكانت للمدرسة قبة كبيرة. يقول الوالد: فجأة رأينا السيّد قد صعد على القبة وأخذ ينظر حولها ليعرف خصوصياتها. كان عاديًا جدًا في هذه القضايا مع أنهم ذهبوا لاستقباله بالكثير من التشريفات.

(١) من الجدير بالذكر أن هذا السيّد أصبح رمزًا معروفًا على الصعيد السياسي لأجل معارضته لاستبداد رضاشاه عندما كان عضوا في البرلمان ولذلك تم اختيار يوم وفاته كيوم لمجلس الشورى الإسلامي.

كان الحاج الشيخ محمد أمين الخوئي[1] ابن إمام جمعة خوي[2] معه، كان الجميع يهتفون بالصلوات من أجل السيد، ويقبلون يديه، فكان السيّد يقول: أيها الحاج الشيخ محمد أمين ساعدني! يعني أنني تعبت من تقبيل الناس ليدي فتعال أنت ليقبلوا يديك!

هذا الشخص معرض للسجن!

ينقل الحاج ميرزا فخر الدين الجزائري أنه لم يكن يبسط لنفسه فراشًا بل يضع عمامته مكان الوسادة وينام على الأرض ويتدثر بعباءته. ويقول: هذا الشخص يجب أن يدخل السجن! فلو أراد أن ينام على الفراش والوسادة فلن يستطيع تحمل السجن!



ومن المعروف أن رضا خان قال له: ماذا تريد مني؟ فقال السيد: أريد أن لا تكون!

وينقل الحاج الميرزا فخر الدين الجزائري أيضًا أنَّ السيّد كان لا يأبه أصلًا للذاهبين إلى أوروبا، كان بيته متواضعًا جدًا ووسائله بسيطة. فكان يقول مثلًا لمشير الدولة ـ رئيس الوزراء ـ: أوقد هذه النار للتدفئة يا مشير الدولة، وكان الرجل مجبورًا أن يطيع السيد.

التدريس في أصعب أيام النضال السياسي

كان المرحوم السيّد المدرّس أعجوبةً حقًا. كان يُلقي درسين يوميًا في الفقه والأصول طوال المدة التي كانت البلد كلها قائمةً على تصريحاته السياسية. أعتقد أني سمعتُ من السيّد الداماد ينقل عن الشيخ محمد رضا المسجد شاهي ـ لا أدري مباشرة أو مع الواسطة ـ أنه كان يقول: عندما

(١) الشيخ محمد أمين صدر الإسلام الخوئي توفي في طهران سنة ١٣٦٧.
(٢) الحاج ميرزا يحيى المعروف بالحاج إمام الجمعة الخوئي ت سنة ١٣٦٤.

كنا في النجف كان هناك نزاعٌ دائم بين قبيلتين من العرب هما الشمرت والزقرت. وقد امتدّ هذا النزاع من زمان الشيخ جعفر كاشف الغطاء إلى ما قبل مدة. وكان يحصل بينهما أحيانًا قتل وقتال. في أحد تلك الأيام كان الرصاص يتساقط في حرم أمير المؤمنين(ﷺ) فكنا نختفي عند حجرات الحرم، بينما كان السيّد المدرس ـ عليه الرحمة ـ مشغولًا بالكتابة في الصحن ـ حيث كان يكتب تقريرات درس الآخوند الخراساني عليه الرحمة ـ، وسقطت رصاصة على أوراقه، فرماها جانبًا وواصل كتابته! فلم تكن هذه الأشياء تهز قلبه أبدًا.

كان عالمًا من الدرجة الأولى، وأحد أساتذة الخارج في طهران، وكان يلقي درسين يوميًا في الفقه والأصول.



وقف للطلبة الدارسين

سمعتُ الميرزا هاشم الآملي يقول: عندما صارت مدرسة (سبهسالار) بيد السيّد مدرّس أخرج جميع الاشخاص الأقوياء الذين كانوا قد احتلوا غرف المدرسة، كان إخراجهم يحتاج إلى الكثير من الاقتدار!

وقد رأيتُ في بعض الكتب أنه دوّن برنامجًا للمدرسة، فكان على الطلاب أن يمتحنوا بشكل أسبوعي حتى يدفع لهم من موقوفة المدرسة. كان أحد الطلبة يعمل لصالح السيّد في انتخابات المجلس، ولم يمتحن ذلك الأسبوع. طلبوا من السيّد أن يعطيه من الموقوفة فرفض، وقال: أنا أعطيه أكثر من ذلك. لكن ليس من هذه الموقوفة فإنها للأشخاص الذين يدرسون وهو لم يدرس في هذه الفترة. قالوا له: كان يعمل لصالحك. قال: لا دخل لذاك في هذا. لا مانع من أن أعطيه من مال آخر. أما هذا فهو للدارسين وشرطه الدراسة. وهو لم يدرس هذا الأسبوع سواء عمل لصالحي أم لم يعمل. فلم يوافق السيّد على ذلك بل إنه عندما أرادوا أن

يعطوا ابنه منصبًا معينًا لم يوافق، وقال: إنه ليس أهلًا لذلك.

صرف أموال رضا خان في محاربته

ينقل الميرزا فخر الدين الجزائري: أنَّه عندما كان السيّد المدرس تحت الرقابة، ولم ينقل إلى السجن بعد كنا قد اتفقنا مع البقال القريب من منزله أن يفهمنا برمز معين عندما تكون الرقابة عليه شديدة حتى لا نأتي.

يقول: ذات مرة ذهبت إلى منزله فوجدت أمامه مائة ورقة من ذوات الألف تومان. يقول الميرزا فخر الدين: لم أكن قد رأيت تلك الورقة من قبل، مع أنه كان على ارتباط بالأشراف والأعيان، عندما نقل لنا القصة أيضًا، لم نكن قد رأينا تلك الورقة أصلًا فقد كانت خاصة بالأثرياء والسلاطين. يقول: رأيت تلك الأوراق عند السيّد فسألته: ما هذا؟ فقال: أرسلها لي رضا خان يقول: هذه لك تفعل بها ما تشاء وسنعطيك ما تشاء من مناصب، لكن دعنا نعيش. ولا دخل لك بما نفعل.



يقول: سألته: وماذا قلت؟ قال: قلت للرسول: أنا أقبل بشرط واحد وهو أن أصرف هذا المال في معارضته! فإذا كان يقبل بهذا الشرط فبها، وإلا فلا. كان الرسول قد ذهب ليطرح شرط السيد، وكنا هناك فسمعنا صوت الخيل. كان ذلك الشخص قد جاء بالحصان وأخذ المال وأعاده.

كان السيّد المدرس أعجوبة. كان شخصية استثنائية.

٦٣

الشيخ مهدي الحكمي (قدس سره)

(ت ١٣٦٠ ق)



شفاء الملدوغ

سمعتُ هذا الأمر من عدة أشخاص، وهو قطعيٌّ في الواقع. كان المرحوم الشيخ مهدي الحكمي يمسح بيده على مكان لدغة العقرب فيخرج الألم منه أثناء مسحه.

وقد نُقل عن الشيخ الفيض ـ عليه الرحمة ـ أنه كان يؤخذ إلى الشيخ مهدي عندما تلدغه العقرب، فيمسح عليه بيده فيذهب الألم.

هذه القصة معروفة جدًا، وقد نقلها الكثيرون وأثبتها الوالد المرحوم في كتابه (الكلام يجر الكلام)[1] ولو لم تكن قطعية لما نقلها:

الظاهر أن الشيخ مهدي الحكمي كان يُريد المجيء من طهران إلى قم، وكان معه الحاج فهيم الذي كان من محترمي الخدام، ومن خدمة الحضرة المعصومية (عليها السلام) ومن الأشخاص المعروفين والمحترمين. لم يوافق سائق السيارة على إركاب الشيخ في البداية وكان يقول: إن السيارة إذا ركبها معمم تنفجر عجلاتها، فقد كانوا يُلقِّنون الناس في ذلك الوقت أن المُعمَّم نحس. أصرّ الحاج فهيم على إركاب الشيخ فوافق السائق بعد لأي. ومن عجائب الأقدار أن الإطار انفجر في الطريق!

---

(١) الكلام يجر الكلام ج١، ص٢٤١، طبعة نهضت قم (١٣٦٨ ش).

غضب السائق كثيرًا، وقال للحاج: إني لم أكن أريد إركاب هذا الشيخ لكنك أجبرتني. ثم نزل تحت السيارة ليصلح الإطار فلدغته عقرب! فازداد غضبه حيث أن هذا المعمم سبّب لنا المشاكل، ومن هذا الكلام.

قال له الحاج فهيم حينئذ: إن مشكلتك هذه تحل على يد هذا الشيخ، فمسح الشيخ بيده على محل اللدغة فذهب الألم! عند ذلك أهوى السائق على قدمي الشيخ وأخذ يعتذر منه.

وقد كتب الشيخ يحيى أبو طالبي[1] في حاشية هذه الحكاية في كتاب الوالد: كان هناك شخص في (ساوه) يمتلك هذه القدرات، وقد أجاز ذلك للمرحوم الحكمي، لكن بعد مدة كثر المراجعون للشيخ من أجل هذا الأمر ولم تكن صحته تساعد على ذلك، فطلب من الشخص الذي أعطاه الإجازة أن يستردها فاستردها وذهب الأثر من الشيخ!



لقد أدركتُ زمان الشيخ الحكمي والشيخ أبو القاسم القمي، لكني لم أرهما. كنت صغيرًا جدًا عندما توفي الشيخ أبو القاسم.

وقد كان هذا العلمان وجيهين عند الناس علمًا وعملًا. لكن للأسف انحرف ابن الشيخ مهدي (حكمي زاده)، وكتب كتاب أسرار هزار ساله (أسرار ألف سنة) الذي رد عليه السيّد الخميني ـ رحمه الله ـ بتأليف كتاب كشف الأسرار.

(١) كان هذا الشيخ من الفضلاء ومن الطلبة البارزين للسيد حجت ـ عليه الرحمة ـ وكان عالمًا، وقد تصدى لبعض شؤون طباعة كتاب الوالد في إحدى الطبعات، فكتب عليه بعض الحواشي.

٦٤

الشيخ حسن علي النخودكي الأصفهاني (قدّس سرّه)

(ت ١٣٦١ ق)

من المُسلَّم به أنَّ الشيخ حسن علي النخودكي ـ عليه الرحمة ـ أعطى الوالد والسيد الخميني وردًا يعملان به، لكني لم أسمع القصة من الوالد، وإنما سمعتُ جزءًا منها كان الوالد ينقله لأحد الأشخاص ضمن حديث معين. ابن أختنا السيّد علي، والمرحوم آغاي جودي سمعاها منه. وقد نقلها أحدُ طلبة العلم عن السيّد صادق الأهري[1] بهذه الصورة: رأيتُ في المنام نهرًا من عصير الرمان يجري من عند قبر القطب الراوندي ـ عليه الرحمة ـ في صحن السيدة المعصومة(عليها السلام). كنتُ أقف على أحد طرفي النهر والسيد أحمد الزنجاني يقف على الطرف الآخر. استيقظتُ من النوم، وذهبت إلى الحرم، فرأيت السيّد أحمد يقرأ الفاتحة عند قبر القطب الراوندي. فقلتُ له: سمعتُ أنك تعرف علم الكيميا، وأنا أرغب في تعلمه منك. فقال لي: تعال نذهب إلى البيت ونتناول الفطور ونتحدث في هذا الموضوع. يقول: ذهبنا معًا، فقالي لي في البيت: في إحدى السنوات كنتُ أنا والسيد الخميني في مشهد، وكان الشيخ حسن علي في الحرم يزور الإمام(عليه السلام)، فذهب إليه السيّد الخميني، وقال له: بحق هذا الإمام إنّ لنا حاجة فلا ترد حاجتنا! فقال الشيخ: يا سيد! دعني أكمل زيارتي هذه. كونوا عند قبر الشيخ الحر العاملي ـ عليه الرحمة ـ



(١) أنا لا أعرفه، لكني سمعتُ أنه من أهل العلم.

وسوف آتي بعد الزيارة ونتحدث. يقول: ذهبنا عند قبر الشيخ الحر وجاء الشيخ، فطلب منه علم الكيمياء. (لا أتذكر هل قال: إن السيّد الخميني هو الذي طرح الطلب أو لا). فقال الشيخ: لو تعلمتما الكيمياء واستطعتما أن تحوّلا جبال العالم كلها إلى ذهب، فهل تطمئنان من أنفسكما بأن لا تسيئوا التصرف في هذه القدرة؟ قال السيّد الخميني: لا، لا نطمئن. فقال الشيخ: إذا لم يكن لديكما اطمئنان، فلماذا تحصلون على هذه القدرة التي لا تستطيعون معها التحكم في أنفسكم؟ لكني أعطيكما بدلًا عن ذلك شيئًا لا تترتب عليه أية مفسدة. ثم أعطاهما عملًا يقومون به بعد كل صلاة واجبة.



لم أسمع ترتيب هذا العمل من الوالد، ولذلك طلبتُ من أحد المرتبطين بالشيخ المقدادي ابن الشيخ حسن علي ـ والذي كان عارفًا بجميع أسرار أبيه ـ أن يسأله عن ترتيب هذا العمل.

فكتب لي الشيخ المقدادي رسالةً ذكر فيها ذلك الترتيب، بأن يبدأ بقراءة آية الكرسي بعد الانتهاء من الصلاة (الواجبة ظاهرًا) ثم تسبيحة السيدة الزهراء(ﷺ)، ثم يقرأ سورة قل هو الله أحد ثلاث مرات، ثم يصلي على النبي وآله ثلاثًا، ثم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّـهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1] ثلاث مرات.

هذا العملُ مفيد جدًّا للحياة.

(١) سورة الطلاق آية ٢ ـ ٣.

٦٥

السيد حسين الحائري الكرمانشاهي (تتَرُّ)

(ت حوالي ١٣٦٤ ق)

أنت يجب أن تدرس باستمرار

ينقل المرحوم الشيخ مرتضى الحائري عن المرحوم السيّد حسين الحائري أنه كان مع عمّه السيّد محمد الفشاركي ـ عليه الرحمة ـ، وكان يُعينه على شؤونه. ذات مرة ذهب السيّد حسين إلى الحمَّام، فانتظره عمُّه طويلا حتى يأتي إلى الغداء، لكنه لم يأت. بعد ذلك جاء السيّد حسين متأخرًا كثيرًا، فسأله عمه عن سبب التأخير، فقال: وجدتُ في الحمَّام الملا فتح علي السلطان آبادي وهو يُنظّف جسمه، فذهبت إليه فسألني: ماذا تدرس؟ قلت له: كتاب الرسائل. فسأل: هل تصلي صلاة الليل؟ قلت: لا. فقال: طالب علم، ولا تصلي صلاة الليل؟! عليك بصلاة الليل! عليك بصلاة الليل! عليك بصلاة الليل! فأوجد في نفسي ثورة بهذا الكلام. انتهى الملا من تنظيف جسمه وذهب إلى بيته. قمت أنا أيضًا بتنظيف جسمي وخرجت خلفه. في البيت أخذ الملا يتناول ماء اللحم ودعاني للمشاركة معه، لكني لم أرغب لأنه كان مريضًا بالسوداء وكان الأكل في إناء واحد، فأمر بأن يحضروا لي إناءً آخر فأخذتُ آكل.



عندما سمع السيّد الفشاركي كلام ابن أخيه صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: واي! لقد أخذ الملا مني ولدي هذا. هذه التعليمات

للعجائز وليست لمثلك أنت الطالب[١]. أنت يجب أن تدرس باستمرار، وإذا أردت أيضًا أن تكون من أهل السلوك فعليك بأمرين:

الأول: أن تلاحظ في جميع أعمالك التي تقوم بها أن هناك موجودًا لا يخفى عليه شيء وهو يراقبك.

والثاني: عندما تريد أن تنام اشرب سيجارتك وتذكر أعمالك طوال اليوم فأي عمل وجدته غير صحيح فاعزم على أن لا تكرره غدًا. كان هذا هو سلوك السيد[٢].

وقد تأثر السيّد حسين كثيرا بكلام عمه وعمل عليه إلى آخر حياته.

لقاء الإمام (عليه السلام)



نُقلت هذه القصة في كتاب (العبقري الحسان) وقد كان مؤلفه الشيخ علي أكبر النهاوندي صديقًا لصاحب القصة، وقد سجلها في ذلك الوقت. ونقلها السيّد الصدر أيضًا بشيء من الاختلاف. أنا أنقلها اعتمادًا على المصدرين فأقول: حوالي سنة ١٣٤٥ق كان التدين في المجتمع آخذا في الضعف؛ لأن رضا خان تولى الحكم. يقول السيّد حسين[٣]: لأجل ذلك قررت أن أركز أكثر على الشعائر الدينية وأهتم بها عمليًا، فأقمتُ في كرمانشاه مجلس عزاء يمتد من طلوع الفجر إلى ما بعد الظهر بساعتين.

(١) يفهم من هذا الكلام أن الآخوند قال له أشياء أخرى تتعلق بزيادة الجانب العبادي وإنقاص الجانب الدراسي. (السيد)

(٢) المراد الميرزا محمد حسن الشيرازي. (السيد).

(٣) الحاج السيّد حسين الحائري ابن اخي المرحوم السيّد محمد الفشاركي، عالم جليل القدر ومجتهد عالي المقام، ومن أهل العمق في النظر، وكذلك فإنه كان على مستوى رفيع في الجهات المعنوية. كان السيّد رضا الصد قد رأى السيّد الحائري، وأظن أن السيّد نزل في بيت السيّد الصدر في قم لأنه كان ساكنًا في مشهد سابقًا وكان على علاقة مع السيّد صدر الدين الصدر. (السيد)

وقد كنتُ أقف طوال هذه المدة على قدميّ، وأستضيف الناس حيث يُشارك جميع أهالي المدينة في المجلس. وكان يقرأ طوال هذه المدة ٣٠ منبريًا. ولذلك فقد كان يكلّف كثيرًا، وكنت أتعب بدنيًا؛ لأني كنت أقف طوال المدة وأستضيف الناس. كان البيت كبيرًا، لكنه مع ذلك كان يمتلئ في الداخل والخارج ويقف بعض الناس في الطرقات ينتظرون خلوّ المجلس ليدخلوا. كثرة الحضور هذه بسبب أن السيّد كان من كبار علماء كرمانشاه، وكان مسافرو العراق أيضًا ينزلون عنده ويبقون أحيانًا لمدة شهر. يقول السيّد حسين: فكان مجلسًا ثقيلًا، وكنت أحب أن أعرف هل هو مقبول أم لا؟



ذات مرة جاء إلى بيتنا سيِّد ـ لا أدري هل كان من أهل رشت أو مكان آخر ـ وبعده بمدة جاء أحد علماء العراق، فلما رأى ذلك السيّد قال: هذا السيّد عجيب. هل تعرفه؟ قلتُ: لا. قال: إنه شخص عجيب. هو من المرتاضين، وله دكان في النجف، لكنه يغيب بين الفينة والأخرى فيبحثون عنه في كل مكان في كربلاء والكاظميين وغيرها فلا يجدونه. بعد مدة ـ مثلًا ٣ أشهر ـ يتبين أنه كان مختفيًا في إحدى حجر مسجد الكوفة مشغولًا بالرياضة، وقد طال شعر رأسه ولحيته، فهو ليس شخصًا عاديًا.

سأله السيّد حسين بعد ذلك قائلًا: أنا أحب ان أرى هل مجلس العزاء الذي أقيمه مقبول أم لا؟ فأنكر أولًا أنه من أهل هذه الأمور، لكنه اضطر في النهاية إلى الاعتراف أنه ارتاض ١٢ سنة، والأقل من هذا المقدار ليست له فائدة كبيرة. ومن يريد أن يصل إلى مستوى مهم عليه أن يرتاض هذه المدة. قال له السيد: اسأل هل عملي هذا مقبول للإمام الحجة(عليه السلام) أو لا؟ فقال السيد: أعطوني غرفة ليس فيها غبار ولا تراب، وفيها حصير. وذكر بعض الخصوصيات لتلك الغرفة. فأعطوه، وقام فيها بالعمل الذي

يريده.

كان ذلك الوقت قريبًا من شهر محرم، السيّد الصدر يقول: كان في الوقت الذي تنصب فيه الخيام للعزاء، لكن أظن أن المذكور في كتاب (العبقري الحسان) أنه في اليوم الرابع أو الخامس من المحرم.

بعد ذلك قال ذلك السيد: نعم. مجلسك مقبول، والإمام الحجة(ﷺ) يأتي بنفسه في اليوم التاسع لحضور المجلس. قال له السيّد حسين: هذا لا يكفي، الإحسان بالإتمام. يجب أن تسأل عن الوقت الذي يأتي فيه الإمام بالساعة.

قام ذلك السيّد بالعمل، وقال: الإمام يأتي في اليوم التاسع. وهناك علامات على ذلك: الأولى أن العادة أن تُقرأ في ذلك اليوم مصيبة العباس(ﷺ)، لكن الجميع في مجلسكم في ذلك اليوم سيتوسلون بالإمام الحجة(ﷺ) ولن تُقرأ مصيبة أبي الفضل العباس(ﷺ). هذا هو الأمر الأول الذي سيقع بشكل غير عادي. والأمر الثاني أن (أشرف الواعظين) الذي يختم المجلس كل يوم لن يقرأ في ذلك اليوم إلا في مجلسكم، وسيقرأ في أول الوقت بدلًا من آخره. والأمر الثالث: أنك ستكون واقفًا في الموقع الفلاني تستقبل الناس، وعندما يأتي الإمام ستصيبك قشَعريرة في بدنك، وسيدخل الإمام مع عدة من أصحابه من المكان الذي يجلس فيه الخطباء. والأمر الأخير أنه يخرج من نفس الباب الذي دخل منه.



يقول السيّد حسين: صار يوم تاسوعاء، وفي بدايات المجلس كان يوزِّع الشاي إلى أن يكثر الناس، ويرتقي المنبر مداح أو طالب يشرح مسألة شرعية. فجأة طُرق الباب، وجاء أشرف الواعظين، وقال: صدري متعب فقررتُ الاستراحة اليوم لأستطيع القراءة غدًا في يوم عاشوراء. لكني فكرت أن أقرأ في هذا المجلس فقط تبركًا، فجئت من أول الوقت.

فتحققت علامتان إحداهما مجيء الآخر أولًا، والثانية أنه لا يقرأ في مكان آخر!

فصعد أشرف الواعظين المنبر، وبقي ساكتًا على المنبر بعض الوقت ثم خاطب الإمام الحجة(ﷺ) قائلًا: أين أنت أيها الغائب في البراري؟ قال هذه العبارة بانفعال شديد جدًا، فانقلبت حال الحاضرين من البكاء، وجاء مَن بعده فتابع توسله هذا، والثالث، والرابع، إلى الأخير توسلوا جميعا بالإمام(ﷺ). ولم يتوسل أحد بأبي الفضل العباس(ﷺ)!

وفي الساعة المقررة حصلت لي رعدة بشكل مفاجئ! فنظرت أبحث عن ذلك السيد، فوجدته جالسًا منكسًا رأسه، فذهبت إليه وسألته: أين هو الإمام(ﷺ)؟ ـ هذا نقله السيّد رضا الصدر ـ فقال بدون أن يرفع رأسه بالقرب من المنبر هناك عدة أشخاص لباسهم يشبه لباس أكراد المنطقة. أحدهم هو الإمام(ﷺ)!

يقول السيّد حسين: ذهبت نحو الإمام وسلمت عليه، وقلت له: شرفتمونا، وأمثال ذلك لكني لم أكن أرى وجهه كاملا. وقلت: نحضر لكم الشاي؟ فقال: لا، لا حاجة ذلك، اذهب واستقبل الناس عند الباب. يقول رجعتُ ثم عدت فلم أجد أحدًا. كان ذلك السيّد قد قال: إنهم يخرجون من نفس الباب الذي دخلوا منه، لكني لم ألتفت.

إجازة اجتهاد السيّد علي شاه باغ

كان للسيد حسين الحائري أخ اسمه السيّد علي، وكان معروفًا بالحائري شاه باغ. كان له منصب مهم في القضاء، ومع أنه لم يكن معمَمًا إلا أنه كان عالمًا قويًا متمكّنًا من الفقه. كان الشيخ مرتضى الحائري يمدحه. وقد طبعت له بعض الكتابات الفقهية.

ذات مرة في طهران ذهبت إلى زيارة الشيخ مرتضى الحائري الذي كان نازلًا عند أخيه الشيخ مهدي عليه الرحمة. وجاء السيّد علي الحائري شاه باغ، كان يقول: لقد درستُ في كربلاء عند والد هذين الشيخين ـ يقصد الشيخ عبد الكريم الحائري ـ ٨ سنوات، وأعطاني إجازة اجتهاد. وكذلك أعطاني الشيخ محمد رضا مسجد شاهي ـ رحمه الله ـ إجازة اجتهاد.

يقول: أعطيتُ هذين الإجازتين إلى السيّد محمد الفيروزآبادي الذي كان مقربًا جدًا من أحد العلماء ليأخذ لي إجازة من عنده. كان ذلك العالم من المخالفين بشدة لمسألة الملكية الدستورية فسأل: ماهو موقفه من الدستورية؟ هل هو معها أو ضدها؟ فقال السيّد الفيروزآبادي: إنه من المخلصين جدًّا والمؤيدين للحكم الدستوري. فكتب ذلك العالم الكبير ما مضمونه: فلان بحسب ما شهدت به الثقات مجتهد فاسق. قال السيّد الفيروزآبادي: كيف أعطيها إياه بهذه الصورة؟! فقال: هذا ما كتبته وفقط. فأحضر السيّد محمد لي تلك الإجازة، فلم آخذها، وقلت له: هذه تنفعك أنت!



سألت السيّد علي: هل كتب الإجازة على نفس إجازة بقية العلماء؟ قال: لا. كتبها بشكل مستقل.

٦٦

آيـة اللّه السيّد أبو الحسن الأصفهاني (قُدِّسَ سِرُّه)

(ت ١٣٦٥ ق)

الاجتهاد وفهم مذاق الإمام

ينقل المرحوم الشيخ فقيهي: ذات مرة رجع بعض المؤمنين إلى أحد العلماء في قضية وحكم فيها ذلك العالم بحكم. كان الشيخ الفقيهي والسيد علي الخلخالي من طلبة ذلك العالم. يقول الشيخ فقيهي: كان ذلك الحكم يحتاج إلى إمضاء السيّد أبو الحسن حتى يتم تنفيذه، وإلا فلا. لأن السيّد كان هو الزعيم. يقول: ذهبت أنا والسيد علي الخلخالي (زوج أخت الشيخ فقيهي، ومن أرباب الحل والعقد في النجف، وكان تلميذًا لذلك العالم وللسيد أبي الحسن أيضًا، وله نفوذ كبير في مكتب السيد) إلى السيّد أبو الحسن حتى يمضي الحكم.



كان السيّد علي الخلخالي ـ عليه الرحمة ـ يمتلك بيانًا ساحرًا. بدأ بالحديث أمام السيّد والسيد يستمع وهو ساكت. إلى أن وصل إلى قوله: بأنه مجتهد، وقد حكم في الأمر، وإذا لم تمضه سيبقى حكم المجتهد بلا تنفيذ. عند ذلك كسر السيّد أبو الحسن الصمت وقال: هو مجتهد؟! هذه الخزعبلات اجتهاد؟!

يقول الشيخ فقيهي كان تصورنا عن ذلك العالم مختلفًا تمامًا عن

تصور السيد. سيطر السكوت على الجلسة بعض الوقت، ثم التفت السيّد إليَّ وقال: هل تعلم ما هو الاجتهاد؟ الاجتهاد فهم مذاق الإمام! هذه الأمور ليست اجتهادًا.





آية الله الشيخ علي أكبر النهاوندي (قدس سره)

(ت ١٣٦٩ ق)

الدعايات ضده

كان الشيخ علي أكبر وجيهًا للغاية، وكانت تصل إليه وجوهٌ شرعية كثيرة. لكنه في أواخر الأمر قام بعمل لا يرتضيه الناس ـ وإن كان يمكن حمله على الصحة ـ فقد اشترى من الحقوق الشرعية مصنعًا ووقفه لأهالي نهاوند بإجازة السيّد البروجردي. لا أتذكر تفاصيل القضية، لكن هذا العمل جعل بعض مخالفيه يثيرون عليه الدعايات. ولذلك ذهب السيّد الخميني من طرف السيّد البروجردي لإصلاح الأمور. هذا العمل صار سببًا في تشويه سمعته بين الناس، حيث عامل أهل بلده معاملة خاصة.



احترام السيّد البروجردي

كان الشيخ علي أكبر معروفًا بالقداسة والتقوى للغاية. كان مقيمًا في مشهد، وكان يصلي في مسجد جوهرشاد. ربما يمكن القول: أن صلاته تُعدّ الأولى في إيران من حيث العظمة وكثرة المصلين. كان المسجد يمتلئ إلى آخره، لم يكن هناك مثل هذا التجمع في أي مكان آخر. كان أكبر سنًا من السيّد البروجردي بكثير، وطبقته متقدمة.

عندما ذهب السيّد البروجردي إلى مشهد تنازل الشيخ علي أكبر ـ وهو الأول وصلاته كما وصفنا ـ عن جماعته للسيد البروجردي. عند ذلك

توقف جميع أئمة الجماعات في مسجد جوهرشاد عن الإمامة ما عدا شخص واحد.

طوال المدة التي كان فيها السيّد في مشهد كان الميرزا أحمد الكفائي ـ قدس سره ـ وهو الشخصية الأولى في مشهد من حيث الزعامة ورئيس العلماء، والشيخ علي أكبر ـ قدس سره ـ وهو الشخصية الأولى في مشهد من حيث المكانة بين الناس والتقوى كانا يصليان خلف السيّد البروجردي عن يمينه ويساره، ويلازمان صلاته.

وعندما ذهب الشيخ علي أكبر إلى العراق فوّض إليه السيّد أبو الحسن ـ وهو المرجع العام للشيعة ـ صلاته فصار يصلي مكان السيّد أبي الحسن. وقد نقل الكثيرون عن الشيخ أنه قال: في ذلك الوقت سمعتُ صوتًا يقول: عظمتَ ولدي عظمتُك. يعني أنك قدّمت السيّد البروجردي في مشهد فقدمناك في النجف.



كتاب العبقري الحسان

كتاب (العبقري الحسان) يتضمن قصصًا ممتازةً، فالشيخ كان موثقًا، لكنه لم يكن يتقيد بالنقل عن المصادر المعتبرة. فجمع قصصًا مختلفة من كتب مختلفة، ومن الطبيعي أن تكون بعضها ممتازة، وبعضها الآخر ليست كذلك، لكن ذاكرته كانت قوية.

ومن الطريف أن تاريخ وفاته بحساب الجمل يساوي كلمة: شيخ علي أكبر نهاوندي!



السيد محسن الأمين العاملي (قدّس)

(ت ١٣٧١ ق)

أنا لم ألتق به لكني أدركت زمانه. كان السيّد الأمين ـ رحمه الله ـ في دمشق، والوالد المرحوم التقى به ونقل عنه شيئين:

الأول: كان يقول: جاء السيّد محسن الأمين إلى قم في زمان المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري فزرتهُ، ثم جاء لرد الزيارة في بيتنا. بمجرد دخوله توجه إلى كتبي، حيث يوجد بينها كتاب (الأقيانوس) باللغة التركية في ٣ مجلدات ضخمة. كان السيّد الأمين جليلًا ومهيبًا، لكنه بسبب عشق الكتاب توجه مباشرة إلى الكتب فأخذ الكتاب المذكور فوجده لا يفيده لأنه باللغة التركية.



والثاني قوله: إني ذهبت إلى زيارته في الشام، وأردت أن أصلي في بيته، فخلع جبته مباشرة وفرشها لي. يقول الوالد: لم أدر هل مقتضى الأدب أن أقبل بذلك وأصلي على الجبة أو أرفض؟ فصليت مترددًا.

فكان شخصية استثنائية ومحترمة ومشهورة للغاية.

والعجيبُ أنه صار مدة مادة للعن بعض الشيعة، فكانوا يتبرؤون منه في أيام محرم في مواكب العزاء في كربلاء وغيرها قائلين: آه من العاملي وفتواه.

والسبب في ذلك نهيه عن التطبير؛ لأنه كان مبتلى في الشام بالفرنسيين

الذين احتلوا سوريا، وكان هذا العمل يشوه الإسلام كثيرًا في نظرهم. لكن العراقيين لم يكونوا يستطيعون أن يتصوروا أن ظروف السيّد تختلف عن ظروفهم، وأنه لو كان في العراق لم يفعل ذلك، ولو كانوا هم في سوريا لم يروّجوا للتطبير.

في ذلك الوقت لم يقف علماء النجف إلى جانبه، بل خالفوه. باستثناء السيّد أبي الحسن.

سمعتُ من السيّد الفحام[١] أن أهالي البصرة عدلوا عن تقليد السيّد أبي الحسن إلى الميرزا النائيني بسبب عدم مخالفته لذلك!

وسمعتُ أنهم كانوا يلعنون السيّد محسن ويتبرؤون منه، لكن بعد مدة تغير الوضع وزار العراق في استقبال عظيم. فمواقف الناس هذه موسمية.



عندما جاء السيّد الكاشاني[٢] استُقبل استقبالا عجيبًا، لكن في أواخر الأمر كان قد جاء للتعزية بوفاة أخي السيّد جعفر ـ وكان المجلس في بيت الميرزا عبد علي والد زوجة المرحوم ـ لكن أحدًا لم يقم له، ولم يحترموه أبدا حتى تأثرت من أجله. والدنا قام له وأجلسه مكانه لكن البقية لم يهتموا له. وقد حصل هذا الأمر بعد قضايا مصدق[٣] وفي أواخر عمر السيد.

(١) السيّد محمد رضا الفحام من الفضلاء الذين هُجّروا من العراق وقد توفي مؤخرًا في قم.
(٢) السيّد أبو القاسم الكاشاني ت ٧ شوال ١٣٨١.
(٣) إشارة إلى حوادث معروفة في التاريخ الإيراني، صار فيها مصدق رئيسًا للوزراء مدة من الزمن بدعم من السيّد الكاشاني، ثم اختلف معه فساءت الحال. ومن أراد التفصيل فليرجع لكتب التاريخ (المترجم).

٦٩

آية الله السيّد محمد تقي الخونساري (قدس سره)

(ت ١٣٧١ ق)

عندما صلى السيّد محمد تقي الخونساري صلاة الاستسقاء، وارتقى المنبر الميرزا محمد تقي الإشراقي، ـ لا أذكر الآن هل كانت الخطبة قبل الصلاة أو بعدها ـ وقد قرأ هذا الشعر: (نحن لم نأت ونقف على هذا الباب من أجل المكانة والجاه، بل جئنا فرارًا من الحوادث السيئة)[1] وكان الحضور كثيرًا من طلاب العلم، وغيرهم أكثر[2] ولم ينزل المطر في ذلك اليوم.



في اليوم التالي أُقيمت صلاة الاستسقاء في منطقة (قم نو) لطلاب العلم بالخصوص؛ لأن من آدابها أن يخرج عامة الناس ثم يخرج الخاصة. في ذلك اليوم خرج السيّد محمد تقي مع الطلاب، وقد كنتُ موجودًا أيضًا، فلم ينزل المطر. لكن في ليلتها ـ بين الصلاتين أو بعد صلاة العشاء ـ بدأ المطر في السقوط، ربما استمر هطول المطر حوالي ساعة كاملة[3].

---

(١) ما بدين در نه بي حشمت وجاه آمده ايم از بد حادثه اينجا به بناه آمده ايم.

(٢) نقل الشيخ محمد علي الأراكي هذه القصة، وأخطأ في تقدير عدد المصلين بـ(مئتي ألف)، وهذا أمر غير ممكن؛ لأن الإحصاء السكاني لمدينة قم بعد سنوات من هذه الحادثة، وكانت قد كثرت بلغ ستين ألفًا، فقط وكانت الصفوف محددة في ذلك الوقت. (السيد)

(٣) الخطأ الآخر الذي وقع فيه الشيخ الأراكي أنه خلط بين هذه الحادثة وبين حادثة السيل التي وقعت في زمان الشيخ الحائري، فقال: إن السيل جرى بعد صلاة السيّد الخونساري. وهذا غير صحيح. (السيد)

رحم الله الحاج آغا شهاب الإشراقي. كان يقول: ثبت لي كل شيء! من الله إلى أدنى شيء!

وقد كتب الوالد تاريخ تلك الحادثة، وكتب أيضًا أن أهالي قم زيَّنوا محلاتهم التجارية شكرًا لهذه النعمة.

كان أمرًا عجيبًا جدًا، لم يكن أحد يحتمل هطول المطر، ولم يكن هناك مجال له بحسب توقعات الطقس.

وقد سمعتُ أن السيّد صدر الدين الصدر والسيد حجت لم يكونا موافقين على إقامة الصلاة، وكانا قلقين من ردود الفعل إذا لم ينزل المطر. وعندما نزل المطر أصبح ذلك سببا لشرف طلاب العلوم الدينية ـ وليس للسيد فقط ـ فقد صار للطلاب شرف خاص مدة من الزمن. خصوصًا أنهم كانوا يتعرضون لمختلف الضغوط في تلك الأزمنة.

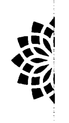




السيد صدر الدين الصدر (قُدِّسَ سِرُّه)

(ت ١٣٧٣ ق)

كان الشيخ الرمضاني كاتبًا للسيد الصدر. كان السيّد يؤلف كتابًا اسمه (لواء الحمد)، وكانت يده مريضة، أو لأن خطه لم يكن جيدًا، فقد كان يملي والشيخ الرمضاني ـ الذي كان حسن الخط ـ يكتب.



يقول الشيخ: لكي لا نتعب، كان السيّد أحيانًا يتكلم في مواضيع مختلفة، ويقول: (لقد تعبت الآن. فلنتحدث قليلًا في مواضيع أخرى) ومن الأشياء التي نقلها السيّد هذه القصة[1].

كان السيّد الصدر في ذلك الوقت هو الشخصية الأولى في الحوزة، وكانت إدارة الحوزة عنده. وكان لكل من السيّد حجت والسيد الخونساري امتيازاتهما: فقد كان درس السيّد حجت هو الدرس الأول، وكانت صلاة الجماعة ليلًا في المدرسة الفيضية عند السيّد الخونساري.

---

(١) في البداية فهمت من كلام الشيخ أن هذه الحادثة وقعت في زمان رضا خان، لكن تقرر بعد ذلك إصلاحها بأنها وقعت بعده. لأن الطلاب كانوا في مضيقة شديدة بعد وفاة الشيخ الحائري ـ عليه الرحمة ـ فالناس لم يكونوا يجرؤون على دفع المال للحوزة لأن الحكومة كنت مخالفة للحوزة، وكان بعض العلماء يضطرون للاختفاء للحفاظ على لباسهم الديني.
ينقل شخص اسمه حسين خان كان موظفًا في الشرطة لبعض رفقاء الوالد والظاهر أن الوالد كان موجودًا أيضًا: أن المسموح لهم بلبس العمامة في إيران كلها كانوا ستة أشخاص فقط. (يحتمل أن يكونوا هم الشيخ عبد الكريم في قم وإمام الجمعة الخوئي في طهران وابن الآخوند الخراساني في مشهد والكرماني في كرمان). (السيد)

كانت صلاة عظيمة يحضرها الكثير من الطلبة، ومنهم السيّد الخميني وأمثاله. أما الإدارة فقد كانت في يد السيّد الصدر، وكان ذانك العالمان يدفعان للطلاب رواتب، لكنها كانت لا تعد شيئًا قبال عطاء السيّد الصدر. فكان السيّد هو حلّال مشاكل الطلبة.

كانت اجتماعات هؤلاء الأعلام الثلاثة تعقد أحيانًا في بيت الوالد، وقد رأيتُ أنا أن السيّد الصدر هو المتكلم الرئيسي والبقية يستمعون. كان السيّد يعقد تلك الاجتماعات حتى يطّلع البقية على الأمور، ولا يكون هو بمفرده. كان السيّد أكبر سنًا من العالمَين الآخرين، وكانت عائلته (أبوه وجده) من كبار المراجع، وكان له هو أيضًا نفوذ كبير عند الناس[1].



وقد كان السيّد الصدر يستلم الحقوق بناءً على إجازة من السيّد أبي الحسن الأصفهاني (﵀) وهو المرجع الأعلى. لكن السيّد أبا الحسن كان يرى الأولوية لحوزة النجف لقدمها وعراقتها وتاريخها الذي يصل إلى ألف سنة، وأن حوزة قم يجب أن تكون فرعًا عنها لا أكثر. ولذلك فقد استردّ إجازته من السيّد الصدر.

والذي يُؤيد ذلك ما نقله السيّد الصدر لأحد الأشخاص من أنه ذهب إلى السيّد أبي الحسن فقال له: إن قم في حاجة إلى الدعم. وإذا لم تجيزوا لنا فستتعطل الحوزة. يقول السيّد الصدر: كنا نتحدث فسأل السيّد أبو الحسن: كم في حوزة قم من الطلبة الذين ينفعون الإسلام والمسلمين؟

---

(١) سمعتُ السيّد الخامنئي ينقل عن والده أن السيّد الصدر عندما كان في مشهد كان نفوذه أكبر من السيّد حسين القمي رحمه الله. مع أن السيّد حسين كان أبا زوجته، وكان مرجع تقليد له رسالة عملية، ولم يكن للسيد الصدر آنذاك رسالة. والسبب في ذلك أن عائلته كانت عائلة عظيمة، وكان هو غاية في الأدب والأخلاق وكانت له جاذبية خاصة في معاملة الناس، فكان يتعامل مع الناس بشكل يجعلهم ينجذبون إليه. كان إنسانًا نجيبًا وشريفًا. (السيد)

قلت له: حوالي النصف. قال السيد: أما طلاب النجف فكلهم ينفعون الإسلام والمسلمين. مقصوده أن العلة في استرداد الإجازة ان الحقوق يجب أن تصرف في النجف لأن جميع طلابها ينفعون الإسلام[١].

وبعد ان استرد السيّد أبو الحسن الأصفهاني[٢] إجازته من السيّد صدر الدين الصدر عجز السيّد الصدر عن تمويل الحوزة العلمية في قم[٣]، ولجأ إلى الاقتراض لعدة أشهر حتى بلغ مقدار دينه اثني عشر ألف تومان في ذلك الوقت (والتي تقدر بالملايين في وقتنا). وبعد عدة أشهر اضطر السيّد إلى الاعتذار عن دفع رواتب الطلبة، فجاءه عدةٌ منهم وقالوا: سمعنا أنك أمرت بإيقاف الرواتب. قال: نعم. لأني اقترضت لعدة أشهر ودفعت الرواتب، ولا يمكنني الاقتراض أكثر. فبكى الطلبة وقالوا: نحن جئنا إلى الحوزة برغم كل الصعوبات، واكتفينا بأقل ضروريات الحياة، والآن لا نملك حتى المال الكافي لأن نعود إلى أوطاننا فماذا نصنع؟ يقول السيد: عندما بكوا بكيت لبكائهم، وقلت: اذهبوا حتى أفكر في الأمر هذه الليلة.



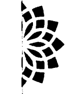
(١) كان السيّد أبو الحسن يُرجع إلى السيّد البروجردي في الاحتياطات عندما كان في بروجرد، لكن عندما جاء إلى قم توقف عن الإرجاع إليه، مع أنه كان يعرفه ويراه مقدمًا على الآخرين من جميع الجهات. كان يقول: تضعف حوزة النجف. (السيد)

(٢)

(٣) كانت الحوزة في قم تتلاشى، فقام السيّد الصدر بعد ذلك بالعمل على إحضار السيّد البروجردي عالمًا أنه سينزوي بعد مجيء السيد. الشيخ الدواني كتب (في مذكراته): من المعروف أن المجاملة قد تؤدي إلى عاقبة غير مرغوبة. كان يظن أن السيّد الصدر دعا السيّد البروجردي من باب المجاملة، مع أن الواقع أنه دعاه وهو يعلم أن ذلك سيؤدي إلى انزوائه. سمعتُ من السيّد موسى الصدر أن السيّد الصدر والسيد الخونساري أحضرا السيّد البروجردي إلى قم وهما يعلمان بأن ذلك سيؤدي إلى انزوائهما، وأما السيّد حجت فهناك سبب آخر لدعوته للسيد البروجردي. فكان ذلك تضحية منهم وقد حفظوا الحوزة بهذه التضحيات. فعلماء قم حفظوا الحوزة مرتين: مرة عند مجيء الشيخ الحائري، والأخرى عند مجيء السيّد البروجردي. (السيد)

ذهب الطلبة، وأما السيّد فقد ذهب إلى الحرم بعد أن أدى صلاة الفجر جماعة وخاطب السيدة المعصومة ـ عليها السلام ـ بهذا الخطاب: عمتي العزيزة![1] إذا كنت تستطيعين فساعدي هؤلاء الطلبة، وإذا لم تكوني تستطيعين فارجعي إلى أبيك أو أخيك واطلبي العون منهما! فهؤلاء الطلبة يخدمون دين جدكِ. هل يجب أن يموتوا من الجوع؟! وإلا فلن آتي للزيارة مرة أخرى!

يقول السيد: خرجتُ من الحرم ثم التفتّ فجأة إلى أن هذا التعبير مني كان خلاف الأدب، فلماذا قلته؟! وانزعجت كثيرًا، لكن الأمر كان قد انتهى. فقد كنت في حال غير طبيعية وقلتُ ذلك الكلام.



عدتُ إلى البيت مستاءً، وأخذت أقرأ القرآن، فوجدتُ نفسي لا أرى الآيات بوضوح. وفي تلك اللحظات جاء الخادم المشهدي محمد وقال: إن شخصًا يلبس قبعة ويحمل حقيبة يقف على الباب ويسأل عنك. كان الوقت باكرًا، ولم يكن وقت لقاء، وكانوا أحيانًا يعتقلون الناس في مثل ذلك الوقت. شك الخادم، وقال للرجل: إن السيّد في الحرم ولا أدري هل رجع أو لا؟ حتى تكون هناك فرصة للسيد لو أراد الهرب. قال السيد: قل له يدخل لعلنا نرتاح من هذه الهموم والأحزان!

دخل الرجل ووضع قبعته على الأرض، وقبّل يد السيد، وقال: أنا أعلم أن هذا ليس وقت زيارة، لكني كنت قادمًا من شيراز وعندما وصلنا إلى التل القريب من قم خطر في ذهني أني ذاهب، والطريق مخوف، والسيارات قديمة، فلو متُّ في الطريق وأنا لم أؤد الحق الشرعي الذي في ذمتي فسأكون مدينًا. ولذلك فقد طلبتُ من السائق أن يمهلني نصف ساعة، ويذهب هو للزيارة لأن عندي عملًا أريد أن اقوم به. وافق السائق

(١) كان السيّد موسويًا. (السيد)

فجئت ولم يكن لدي وقت آخر.

فتح حقيبته. كانت مليئة بالنقود. فأدى جميع قروضنا بالإضافة إلى ما يكفي رواتب الطلبة لسنة كاملة. يقول السيّد الصدر: ذهبتُ بعد ذلك إلى الحرم واعتذرت من السيدة المعصومة(ﷺ) وقلت لها: أنت تقدرين وأيما قدرة!







العلامة السيّد عبد الحسين شرف الدين (قدّس سرّه)

(ت ١٣٧٧ ق)

أخلاق الأنبياء

كان السيّد شرف الدين ممتازًا جدًا واستثنائيًا من الجهة الأخلاقية. أعتقد أن السيّد رضا الصدر كان يقول: كانت أخلاقه أخلاق الأنبياء.



الإجازة الروائية

أنا والوالد كلانا لدينا إجازة رواية من عنده. لكن للأسف إجازتي تمزق منها موضع الإمضاء وضاع، وبقيت ألقاب المستجيز التي كتبها بخطه في النص المطبوع. وقد ذكرها ضمن أسماء الإجازات التي أصدرها. وقد أخذها من عنده ولده السيّد عبد الله ـ زوج أخت زوجة السيّد رضا الصدر ـ وأرسلها لي وللوالد.

كان قد جاء إلى قم أوائل سنة ١٣٥٦ ق، حيث كان عمري تسع سنوات وأشهر، وقد التقى به الوالد.

ضيافة السيّد البروجردي

يقول السيّد رضا الصدر: ذهبنا إلى بيت السيّد البروجردي، وكان بعد وفاة السيّد شرف الدين. كان السيّد البروجردي يقول: رأيت في الرؤيا أنني نزلت ضيفًا على السيّد شرف الدين، فأضافني ضيافةً عظيمةً. بعد

الرؤيا بيوم أو أيام وصل إليّ كتاب (المراجعات) فأعجبتُ به كثيرًا. كان يفسر تلك الضيافة بوصول الكتاب.

علمًا أن افكار الكتاب موجودة في مصادر أخرى، لكن طريقة بيانها تثير الإعجاب، حيث استطاع أن يستفيد من المعلومات المتفرقة في مواضعها.

هل المناظرات واقعية؟

المناظرات المذكورة في كتاب المراجعات واقعية، لكن عندما هجم الفرنسيون على لبنان تلف الكثير من نسخ كتبه ومؤلفاته. ومنها كتاب (تاريخ الأئمة) الذي كان قد عمل عليه سنوات، وقد كان متأثرًا جدًا لفقدانه. وكذلك فإن الرسائل التي بينه وبين الشيخ (سليم البشري) تلِفتْ أيضًا، لكنه كان قوي الذاكرة فكان يقول: فقدت الرسائل لكن مضامينها قريبة من هذه. وقد ذكر ذلك في كتابه.



كان شخص يعترض بأنه ما دامت الأصول قد فُقدت، فلا ينبغي أن يُنشر بهذا الشكل. فاستاء السيّد عبد الله شرف الدين[1] من هذا الكلام كثيرًا، وأجاب بأن السيّد كتب أن الأصل مفقود، لكن المضامين قريبة مما ذكره. فهو لا يدّعي أن هذه هي الرسائل بنفس ألفاظها. وقد أردنا أن لا تفقد البحوث المطروحة بالكامل، فنشرناها.

نقد على كتاب المراجعات

أنا لم أقرأ كتاب (المراجعات)، لكنني نظرت فيه مرة بالصدفة، فبدا لي إشكال في الكلام. ولما نقل السيّد عبد الله الإشكال لوالده أعجب به كثيرًا وأخذ في المدح والثناء. ثم رأيت بعد ذلك مواضع من الإشكال في

(١) ابن السيّد عبد الحسين شرف الدين.

الكتاب، لكني لم أوفق للمراجعة.

كتب السيّد أن الكثير من أهل السنة احتجوا بأحاديث بعض الرواة واعتبروها صحيحة وأخذوا عنهم، مع تصريحهم بتشيع هؤلاء الرواة. وقد ذكر مائة شخص كمثال على ذلك، منهم الصاحب بن عباد الذي يقول عنه السيّد إن أهل السنة صرحوا بتشيعه وقد أخذ النسائي عنه.

أشكلتُ على هذا الكلام بأن: النسائي توفي سنة ٣٠٣، وقد ولد الصاحب بن عباد باتفاق الآراء ـ وقد ذكر ذلك في المراجعات ـ سنة ٣٢٦ يعني بعد ٢٣ سنة من وفاة النسائي. فكيف يكون النسائي قد احتج بحديثه؟! وجدتُ هذا المطلب بالصدفة، وأخبرتُ السيّد عبد الله، فأخبر والده. يقول: أُعجب الوالد كثيرًا وأثنى وقال: ليس ذنبي. أنا نقلت ذلك من (ميزان الاعتدال)، وقد أشرتُ إلى المصدر. لكنه لو التفت إلى الأمر لم يذكر ذلك ضمن الموارد المائة، ولم يستند إلى الكلام الخاطئ الذي ذكروه.



الخطأ الآخر بالنسبة إلى شخص اسمه: معروف. هناك (معروفان): أحدهما: معروف ابن خرّبوذ المكي، وهو فقيه، ومن أصحاب الإجماع. والثاني: معروف بن فيروز الكرخي، الذي هو صوفي، وهو المشهور. كتب السيدُ معروفَ بن خرّبوذ من ضمن من روى عنهم السُنة، لكنه اشتبه بينه وبين معروف الكرخي، فكتب تاريخ وفاته سنة ٢٠٠ وهو تاريخ وفاة الكرخي. وأما المكي فتاريخ وفاته غير معروف. نعم، هناك احتمال أن يكون قد توفي قبل وفاة الإمام الصادق(ﷺ) سنة ١٤٨. هو من قدماء أصحاب الإمام الصادق(ﷺ)، ومن الطبقة الأولى منهم مثل زرارة ومحمد بن مسلم. يحتمل أنه توفي في حياة الإمام الصادق(ﷺ)، وإن لم يذكر شيء عن ذلك. لكنه لم يتوف في سنة ٢٠٠ قطعًا. معروف الكرخي

معاصر للإمام الرضا(ﷺ) لأن الإمام استشهد سنة ٢٠٣.

ومن الأخطاء الموجودة في المراجعات ـ وكان السيّد عبد الله يقول: إن أبي لم يكن يعلم بذلك ـ أن تعريف التشيّع يختلف بين القدماء والمتأخرين. فالسيد استخدم الكلمة بمعناها الحالي وذكر الكثيرين بهذا العنوان، بينما هم شيعة بمصطلح القدماء لا بالمعنى الحالي.

الشيعي في مصطلح القدماء يُقابل العثماني: فمن يقدم عليًا على عثمان فهو شيعي، وإن قدمه على الشيخين فهو رافضي، وإذا كان يسب الشيخين فهو أشد رفضًا. وكثير ممن وُصفوا بالتشيع اعتبروا كذلك بناءً على هذا المصطلح، لكن السيّد شرف الدين لم يكن يعلم بذلك.



والسبب أن هذه المباحث ذُكرت في كتب المير حامد حسين ـ قدس سره ـ وهو باللغة الفارسية، بل من الفارسية الصعبة أيضًا. فلم يكن السيّد شرف الدين يستطيع مراجعتها، مع أنه كان على جانب كبير واستثنائي من الذكاء، وسرعة البديهة والذوق.

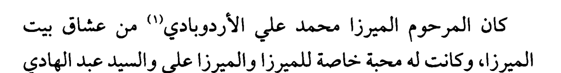


ميرزا محمد علي الأردوبادي(تتش)

(ت ١٣٨٠ ق)

الميرزا علي ابن الميرزا محمد حسن الشيرازي لم يكن يتصرف في سهم الإمام(ﷺ) مع أنه كان مرجعًا، بل لم يكن يجيز لأحد التصرف فيه. وكان يعتمد على سهم السادة من الخمس. ولذلك لم تنتشر مرجعيته، ولم يصبح من المراجع الكبار، بالرغم من أن الجميع كانوا يحترمونه، وكان أكثر المراجع احترامًا. فالسيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني كانا يخضعان له، بل كان الآخوند الخراساني ـ أستاذ هذين ـ يقدمه في المجالس احترامًا لأبيه الميرزا الشيرازي مع أنه كان في حكم ولده.





كان المرحوم الميرزا محمد علي الأردوبادي[1] من عشاق بيت الميرزا، وكانت له محبة خاصة للميرزا والميرزا علي والسيد عبد الهادي

(١) كان المرحوم الأردوبادي شخصية عجيبة. خلال الخمسين سنة الأخيرة تقريبًا كان له دور في جميع الكتب المهمة التي طبعت في النجف لأنه كان أديبًا ولغويًا من الدرجة الأولى فكانوا يطلبون منه تصحيحها وكان يشترط أن لا يذكر اسمه أصلًا. فلذلك كانوا يقبلون بتمام الرغبة لأن الكتاب يحتاج إلى تصحيح وهو يشترط أن لا يذكر فلماذا لا يستعينون به؟! يقول السيّد عبد العزيز الطباطبائي: عندما نقارن بين كتاب صغير للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وهو أصل الشيعة وأصولها وبين كتاب الغدير نجد أن كتاب أصل الشيعة فيه ٧ اخطاء أدبية مع أن مؤلفه عربي وأديب كبير، وكتاب الغدير ١١ مجلدًا منه لا يوجد فيها خطأ لأن صاحب الغدير كان يقرأه على الشيخ الأردوبادي وهو يصححه. حتى أنه عندما كان ملقى على فراش المرض قبيل وفاته كان الشيخ الأميني يقرأ عليه وهو يصحح. هكذا كان غاية في الإخلاص. (السيد)

الشيرازي الذي كان جزءًا من ذلك البيت. ولذلك فقد قام بجذب جميع الشخصيات المهمة لبيت الميرزا علي، فكان جميع الكبار يذهبون إلى بيته. وكان الأردوبادي نفسه يحضر درس السيّد عبد الهادي، وقد رأيته هناك.

كان المرحوم الأردوبادي لا يملك بيتًا، فطلب بعض الأشخاص الإجازة من الميرزا علي لتوفير بيت له من سهم الإمام فلم يقبل! وذهبوا إلى الآخرين فأجازوهم بسهولة. عندما لم يجز الميرزا علي ذلك لم ينقطع الأردوبادي عنه، بل ازدادت محبته وإرادته له. وهو كذلك، فإنه لماذا لم يجز؟ بسبب دينه وتقواه.





آية الله السيّد حسين البروجردي (قدّس سرّه)

(ت ١٣٨٠ ق)

كان السيّد البروجردي من زمان دراسته من الأفراد المعدودين المشار إليهم بالتقوى والقبول، وكان يحظى بعناية كبيرة من الآخوند الخراساني. هذا أمر مسلّم. ويتضح من الرسالة التي كتبها الآخوند لوالد السيّد أنها كتبت باهتمام خاص.

الكثير من أهل السلوك كانوا يعتقدون به، مثل الشيخ حسن علي النخودكي، الذي كان يُدرّس كتاب اللمعة و(كان يقلد السيّد البروجردي ظاهرًا) كما يقول الشيخ بهجت، بعد أن ينقل كلام الشيخ محمود الحلبي خطابًا للسيد الخوئي حيث يقول: (كان الشيخ حسن علي على علوّ مقامه مريدا لأحدكم أيها الفقهاء). وسألت ابنُ الشيخ النخودكي عن ذلك فقال: كان الوالد كثيرًا ما يرسل الحقوق الشرعية على يديّ إلى السيّد البروجردي. لا يوجد أدنى شك في العلاقة الوثيقة بينهما.

كان السيّد جمال يقول: كان السيّد البروجردي منذ كان في أصفهان محترما بين الطلاب، وله شأن خاص. أنا سمعتُ السيّد جمال يقول: السيّد البروجردي مقدم علينا جميعًا.

ونقل السيّد مصطفى الخونساري عنه أيضًا قوله: لو كنتُ مقلدًا لقلدت السيّد البروجردي، مع أن السيّد جمال كان من أهل السلوك والعرفان،

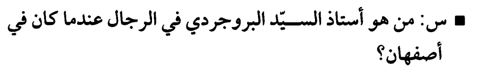
وكان تلميذ السيّد أحمد الكربلائي. كان يعتقد بالسيد البروجردي بشكل كامل.

الصوم المتواصل

سمعتُ من بعض الأشخاص أن السيَّد عندما كان في بروجرد كان يصوم شهري رجب وشعبان ويصلهما بشهر رمضان. ولقد صام شهر رمضان في قم في سنة وفاته كاملًا. ذات مرة سمعنا أنه قال: لم يفتني صوم شهر رمضان من بداية بلوغي إلى الآن، لا لسفر ولا لمرض. لكن بعد هذا الكلام بسنتين تقريبًا مرض في شهر رمضان، وجاء الشاه لعيادته وأفطر في ذلك اليوم. لكنه في سنة وفاته صام شهر رمضان كاملًا.

الميرزا أبو المعالي





■ **س: من هو أستاذ السـيّد البروجردي في الرجال عندما كان في أصفهان؟**

السيد تلميذ الميرزا أبو المعالي. نُقل عن الشيخ الصافي الكلبيكاني عن السيّد أنه قال: كنت أدرس عند الميرزا أبو المعالي. فقد كان الميرزا أبو المعالي ابن الشيخ الحاج محمد إبراهيم الكلباسي مقبولًا للغاية عند عامة الناس.

وقد سمعتُ هذا الأمر من السيّد يحيى العبادي نقلًا عن والده ـ الذي كان تلميذًا للميرزا أبو المعالي أيضًا ـ أن السيّد البروجردي كان يقول: كنا ندرس عنده في بيته. كان محل الدرس الغرفة العلوية. طرقنا الباب فجاء بنفسه ففتحه لنا، وكان السلم ضيِقًا فوقفنا حتى يصعد هو أولًا. طال انتظارنا، ففهمنا أنه لا يريد أن يتقدم على السادة مع أننا كنا تلامذته. فاضطررنا في النهاية للصعود. نقل هذا الأمر شخص عن الشيخ الصافي أيضًا.

الأسلوب السياسي

في سنة ١٣٤٥ ذهب السيّد البروجردي إلى الحج عن طريق العراق. ينقل الشيخ مرتضى الحائري[١] عنه أنه في العودة اجتمع مع السيّد أبي الحسن الأصفهاني والشيخ النائيني جميعًا فأصرّا عليه أن يحمل رسالة لعلماء إيران ضد الشاه، لكن السيّد البروجردي امتنع.

فكتب له السيّد أبو الحسن رسالة فيها نكات متعددة. من جملتها: أننا ادخرناك للمرحلة الأخيرة، فإذا لم تتعاون معنا فسوف نحرّك عليك عوام العراق ـ أو النجف. لا أتذكر التعبير ـ المتشددين بأنك تمتنع عن مثل هذا العمل من أجل حفظ جاهك ومقامك.



يقول السيد: أجبت على تلك الرسالة فقرة فقرة ـ لم ينقل الشيخ الحائري تلك الفقرات ـ حتى وصلت إلى هذا المطلب فكتبت:

نعم، أنا أمتنع لأجل حفظ المقام. فالمقام نعمة من النعم الإلهية، وكما أن الإنسان لا يجوز له أن يرمي نعمة المال في البحر بدون حساب، لا يجوز له أن يفرط في نعمة المقام ويهدرها. هذه النعمة يمكن بواسطتها القيام بكثير من الأعمال. فلو أراد الإنسان أن يهدرها مجانًا وبلا مقابل فلا يجوز ذلك. لا يصح للإنسان أن يفرّط في المنصب الذي يمكنه أن يخدم من خلاله الإسلام من دون أن يكون في التضحية به فائدة للإسلام.

بعد ذلك تم اعتقال السيّد البروجردي في الحدود أو في مكان آخر

(١) يقول الشيخ مرتضى: عندما استقر السيّد في قم توجه في السنة الأولى إلى مشهد للزيارة من أجل نذر كان عليه، فاستأجروا سيارة، وكان معه جمع من العلماء منهم السيّد الداماد والشيخ مرتضى. وحيث أن من مستحبات السفر التفكه ونقل القصص، وكان السيّد يؤكد على ذلك، ولا يريد أن نشعر بالملل والتعب فقد كان ينقل لنا قصصًا كثيرة. منها هذه القصة. (السيد)

وأخذوه لأحد المواقع المهمة حيث بقي يومًا وليلةً تقريبًا. ووجدوا عنده هذه الرسالة، فكانت سببًا لخلاصه والإفراج عنه. وأرسل إليه الشاه يريد مقابلته.

ينقل السيّد مصطفى الخونساري أيضًا: أنهم وضعوا تختًا، فجلس الشاه على أحد طرفيه والسيد على الطرف الآخر. وكان مضيفهم ممثل أهالي بروجرد، وهو سيد طباطبائي من العلماء المهمين والمشهورين. لكن السيّد مصطفى نقل أن مضيفهم هو: شريعتمدار وهذا خطأ قطعًا.

يقول السيّد مصطفى: عندما أخذوا السيّد من طهران تكلّم بكلمات لفتت نظر رضا خان كثيرًا. قال له رضا خان: اطلب مني شيئًا! ولم يكن السيّد من أهل هذه الأمور، فقال له: عندما كنت في السجن مدة ٢٤ ساعة رأيتُ وضع الجنود سيئًا وطعامهم غير مناسب. هؤلاء جنود الدولة الإسلامية، ومن المناسب أن يكون وضع طعامهم أفضل. وقد أُعجب رضا خان بذلك حيث لم يطلب السيّد شيئا لنفسه وأوصى بالجنود.



يقول السيّد مصطفى: قال رضا خان لثقة الإسلام البروجردي وبتعبيره شريعتمدار: شريعت! كان من يراجعنا نقول له أن يأتي بواسطة الحاج الشيخ عبد الكريم، لكني أقول الآن: ليراجعونا بواسطة السيد.

يقول السيّد البروجردي: قلت: الرأي السابق لحضرة الشاه رأي صائب للغاية. أنا أيضًا إذا كانت لي حاجة فسأطلبها بواسطة آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم.

عندما رأى رضا خان ذلك أعجبه أيضًا؛ لأنه لم يكن طالبًا للجاه، وقال: نعم. آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم رجل كامل، وأنت أيضًا رجل عاقل!

احترام الكبار

كان السيّد البروجردي (عليه الرحمة) يحترم الكبار كثيرًا. نقل الشيخ منتظري هذه القصة. قال: في أوائل مجيء السيّد البروجردي إلى قم كنا نمشي معه في جمع من العلماء ـ فيهم السيّد الخميني ـ نحو منزله، فلما وصلنا إلى البيت دخل السيّد أولًا، ثم ولده السيّد محمد حسن، ثم بقية العلماء. فانزعج السيّد وقال لولده: لماذا تقدمت عليهم في الدخول؟! كان يجب أن تقف عند الباب وتستقبل العلماء. إذا كانوا يراعون كبر سني تفضلًا منهم ويسمحون لي بالدخول قبلهم فإن ذلك لا ينبغي أن يجعلنا لا نراعي الأدب.

هكذا كان السيّد يحترم العلماء.



الحاج فقيهي وابن السيد

من القصص التي ينقلها الشيخ عبد الحسين الفقيهي ـ عليه الرحمة ـ: بعد وفاة السيّد البروجردي ذهبتُ مرة إلى بيته، فرأيت موقفًا من ابنه السيّد محمد حسن سائني، وقررتُ أن لا أعود مرة أخرى. أحتمل أن سائلًا جاء يطلب المال، فرده السيّد بطريقة لم ترق للشيخ. لم يكن أحد يعلم بقرار الشيخ. يقول: قلتُ لنفسي ما الفائدة في ذلك؟ ليس فيه فائدة دنيوية ولا أخروية! وقررت أن لا أذهب.

بعد ذلك ذهبت إلى طهران. وكان للشيخ ابن أخت اسمه السيّد صادق الخلخالي من أهل الصفاء. كان يعلم بكثير من الأمور عن طريق الرؤيا. يقول الشيخ: نزلنا عند ابن أختي. وأعتقد أنها كانت وجبة غداء. يقول: عندما استيقظنا من النوم قال السيّد صادق: رأيت السيّد البروجردي في الرؤيا. كنت في القسم الخارجي من منزله وقالوا: إن السيّد عنده ضيف.

انتظرت مجيئه، فجاء بعد مدة فقبلت يده وسألني: كيف حال الحاج الشيخ عبد الحسين؟ قلت: الحمد لله. يدعو لكم. قال: بلغه سلامي وقل له: الرجل يحفظ في ولده! واستيقظت من النوم. تبين بعد ذلك أن ابنة السيّد علوي حفيدة السيّد توفيت في ذلك اليوم، وكانت في ضيافة السيد. بعد ذلك التزم الشيخ الفقيهي بزيارة بيت السيّد مهما كلف الأمر واحترام ابنه.

السيد البروجرد والآخوند الكاشي

كان الآخوند الكاشي عليمًا بالفلسفة، وفي الفقه كان يدرّس شرح اللمعة وأمثالها ظاهرًا، لكنه كان أستاذ السيّد البروجردي في الفلسفة. نُقل عن السيّد البروجردي أنه عندما كان يُدرّس كتاب القوانين في إصفهان كان الآخوند الكاشي يجلس في الأيوان أحيانًا ويستمع إلى الدرس ويستفيد من السيد.



سمعتُ عن تتلمذ السيّد البروجردي على الآخوند الكاشي من السيّد محمد حسين الدرجيي، ابن السيّد مهدي، ينقل ذلك عن السيّد جمال الكلبيكاني على ما أظن لكني لستُ متأكدًا.

أحتمل أنه نقل عن السيّد جمال أيضًا أن أحد طلبة الآخوند الكاشي أصيب بالجنون فعطّل درس الفلسفة. فأصر عليه الطلاب بالعودة إلى التدريس فقال: يجب أن أختار أنا بنفسي الطالب الذي يحضر الدرس، لا هكذا. فاختار السيّد البروجردي بنفسه ليحضر الدرس.

الفقه والأصول

درس السيّد في الفقه والأصول لم يكن مطوّلًا. كان مرتّبًا. وكل مطلب فَهمه فإنه كان ممتازًا وناضجًا.

الاهتمام بآراء الشيخ الطوسي[١]

كان السيّد يهتم بشكل استثنائي بآراء الشيخ الطوسي. كان أحيانًا يقرأ عبارات كتاب العُدّة للشيخ أثناء الدرس ويفسرها، وكان يفسرها بشكل ممتاز جدًا.

لقد كتب رسالة عن (المهر من أبواب النكاح)، وهي متقنة للغاية، مع أنها ليست كاملة. نحن مثلًا: نقرأ كلام الشيخ الطوسي ونمر عليه مرور الكرام، لكن السيّد يشرح رأي الشيخ بشكل ممتاز: بأن الشيخ اختار هذا الرأي بناءً على هذا المبنى، والمحقق أشكل على ذلك بناءً على كذا. المقدار الذي رأيته كان متقنًا للغاية، فقد نقل آراءهم وحكم بينها بشكل متقن أيضًا. لكن هذه الرسالة ناقصة، ومن المقرر أن تطبع مع ذلك.



هل تستطيع كتابة كتاب مثل الشرائع[٢]؟

- **يقول والد الشيخ الفاضل اللنكراني: سألت السيّد البروجردي: هل تستطيع أن تكتب مثل كتاب الشرائع؟**

قال: أنا لا أستطيع كتابة صفحة واحدة منه!

طباعة كتاب المختصر النافع في مصر

كان السيّد البروجردي قد اقترح طباعة كتاب (المختصر النافع) في مصر من أجل التقريب بين المذاهب الإسلامية. والسبب في اختيار هذا الكتاب خلوّه عن اللعن والسب حتى لا يسبب مشكلة. كتاب متقن للغاية.

تقرر أن يُطبع هذا الكتاب تحت إشراف لجنة، اثنان من أعضائها من

(١) شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي ٣٨٥ ـ ٤٦٠ ق.

(٢) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام للشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد المعروف بالمحقق الحلي ٦٠٢ ـ ٦٧٦ ق.

الشيعة هما: الشيخ محمد تقي القمي، والشيخ ضياء بن الشيخ محمد تقي الآملي.

كان رئيس اللجنة هو: محمد محمد المدني، من العلماء المعروفين في مصر. يقول الشيخ ضياء: وصلنا هناك إلى عبارة استعمل فيها المؤلف كلمة الطفل في الحيوان، فضحك بعضُ الأشخاص، وأرادوا أن يستهزؤوا بالمحقق. قال رئيس اللجنة: نحن لم نر في هذا الشيخ نقطة ضعف من قبل، فلننظر في كتب اللغة قبل أن نحكم، فلعلنا صرنا بعيدين عن اللغة. أحضروا المعجم فوجدوا فيه: الطفل ولد الحيوان الوحشي.

استغلّ الشيخ محمد تقي الموقف، وقال: انظروا إلى إخلاص هذا الرجل. نحن وأنتم على اختلاف مذهبنا جئنا لطباعة كتابه في هذا البلد، فهو قد كتب الكتاب عن إخلاص.



وجد الشيخ محمد تقي الجو مناسبًا وأخذ في الثناء على الشيخ، ولم يستاؤوا من كلامه.

يقول الشيخ ضياء: قلتُ أنا بعد ذلك: أنا أيضًا لدي قصة.

قالوا: ما هي؟

قال: في سنة ١٣٥٥ ق ذهبتُ مع أصدقائي لزيارة قبر المحقق في الحلة، وكانت هناك قبة منصوبة على قبره، فتناولنا الطعام وأردنا أن ننام في الإيوان. لكن الحشرات هجمت علينا فلم تدع أحدًا منا ينام. يقول: ذهبت أنا إلى القبر وقلت: يا شيخ! نحن ضيوفك! فهل من الصحيح أن تضيفنا هكذا بهذه الحشرات؟! قلت ذلك ورجعت. فلم تؤذنا أية حشرة بعد ذلك ونمنا في راحة.

سمعتُ هذه القصة من الشيخ ضياء هنا، في بيت السيّد الصدر حيث

طرحها هناك عندما وجد الفرصة مناسبة. يقول: فأثرت هذه القصة كثيرًا في الحضور!

المثنوي

سمعتُ الميرزا حسن النوري ينقل عن المرحوم الحاج أحمد عن السيّد البروجردي[1] قوله: إني كنت كثير الاهتمام بكتاب المثنوي. وذات مرة كنت أقرأ فيه، فسمعت فجأة صوتا يقول: هذا الرجل أضل الطريق! فخرجتُ أبحث عن مصدره فلم أرَ أحدًا في الطريق أصلًا.

إصلاحات الحوزة



■ **س: سمعنا أن والدكم المرحوم والسيد الخميني والشيخ مرتضى الحائري كانوا قد طلبوا من السيّد البروجردي القيام ببعض الإصلاحات في الحوزة لكن بعض المقربين منه عارضوا الفكرة. هل هذا صحيح؟**

نعم. كان السيّد البروجردي مؤيدًا لهم في البداية.

■ **س: ماذا طلبوا من السيد؟**

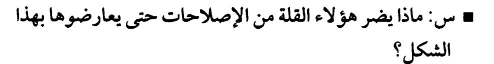
طلبوا منه أن يقوم بعض الأشخاص المقبولين لدى جميع الطلاب ببعض الإصلاحات، ومنهم هؤلاء الثلاثة المذكورين، حيث كانوا مقبولين للجميع. والدنا والشيخ الحائري والسيد الخميني كانوا معروفين بالتقوى في الحوزة وكان حسن نيتهم ثابتًا. السيّد البروجردي كان رأيه ذلك أيضًا أن يقوم هؤلاء بالتصدي للموضوع، لكن البعض سعوا عند السيّد ممن لم يكن ذلك في مصلحتهم ـ فصوّروا الأمر للسيد بطريقة جعلته يعتقد

---

(١) قرأت في مكان أن الشيخ الصافي الكلبيكاني سمع ذلك من السيّد كما نقلناه، لكن الشيخ الفاضل اللنكراني نقل ذلك في بعض المكتوبات عنه بشكل آخر. (السيد)

أن ذلك ليس من المصلحة. كان قد وعدهم بكتابة ذلك، لكنه امتنع فيما بعد. السعّاية مؤثرون. كان في جماعة السيّد شخص سيء السمعة، ولم يكن السيّد قد عاش في قم قبل ذلك فلم يكن يعرفه. كان السيّد مثلًا يعرف الحاج محمد حسن أحسن؛ لأنه نشأ في بروجرد، وكان من أهل التقوى. المرحوم الحاج أحمد أيضًا كان يحب السيّد البروجردي، ويحرص عليه، وقد انكشف ذلك بعد وفاته بشكل كامل. كان السيّد يعرف أن هؤلاء يحبونه ولا يريدون مضرته. لكن بعض الموجودين في مكتبه والذين لم يكن يعرفهم؛ لأنه جاء من بروجرد ـ ولم يكن معصومًا ـ فأحسن بهم الظن ولم يكونوا كذلك. كان في مكتبه أشخاص صالحون، لكن بعضهم لم يكونوا كذلك. هؤلاء هم الذين سببوا المشاكل. هؤلاء هم الذين صوروا الملا علي الهمداني عالم همدان الأول والوجيه ـ بالرغم من جميع مزاياه ـ بصورة سيئة للسيد.





■ **س: ماذا يضر هؤلاء القلة من الإصلاحات حتى يعارضوها بهذا الشكل؟**

ربما يكون من موارد الإصلاح إخراج هؤلاء من مكتب السيد. لو حصلت الإصلاحات لطُرِد هؤلاء. بعض هؤلاء كان متهمًا بالتجسس في مكتب السيد.

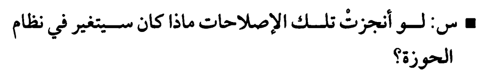
يقول الحاج فقيهي: كان في مكتب السيّد البروجردي شخص يتجسس، وقد ذكر اسمه.

ويقول السيّد رضا الصدر: أنا لم أقل هذا من قبل. ذات مرة سألني الشاه عن هذا الشخص: ما هو وضعه عند السيّد البروجردي؟ فقلت: الحاج أحمد هو المسئول عن كل شيء، ونفيتُ تأثير ذلك الشخص. فنلاحظ أن الشاه أيضًا سأل عنه!

كان الشيخ فقيهي يقول: رأيتُ في صحن الحرم شخصًا لابسًا معطفًا واقفًا أمام المصباح. اقتربتُ منه فوجدته ذلك الشخص. تبين أنه سبّب مشكلة وهرب من مدينته فقام السيّد الصدر بمساعدته وإنقاذه، وكان له عليه حق الحياة. بعد ذلك ارتبط بمكتب السيّد البروجردي، ولكي يوجد لنفسه مبررًا لذلك كان يقول: إن أصحاب السيّد كانوا يهددونني! وبسبب هذا التهديد ذهبت إلى مكتب السيّد البروجردي. يقول الشيخ فقيهي: لم يهدده منا أحد. سمعتُ هذه القصة مرارًا من الشيخ فقيهي؛ لأنه كان قد فقد ذاكرته فكان ينقلها لكل من يأتي إليه.

فكان السيّد البروجردي لا يعرف هذا الشخص الذي كان عالمًا لكن بدون تقوى! العلم وحده لا يكفي. كان السيّد يقول: شخص عالم. ولم ير منه سوءًا، ولم يكن يعرفه من قبل، ولا يعرف بقية أعماله فلذلك كان يعتني به. خصوصًا أن السيّد كان يشجع أهل العلم ويعطيهم أهمية.





■ **س: لو أنجزتْ تلك الإصلاحات ماذا كان سيتغير في نظام الحوزة؟**

لا أدري. قبل هذه القضية كان الشيخ الحائري قد لاحظ عدم وجود مدرّس قوي للسطوح العليا، مثل: المكاسب والرسائل والكفاية، فطلب من بعض العلماء المبرزين أن يدرّسوا هذه الكتب؛ لأنهم لم يكونوا يدرّسونها. أحدهم السيّد الداماد الذي بدأ تدريس المكاسب والرسائل. السيّد الخميني كان يدرّس الرسائل وكنتُ أحضر في درسه.

لكن تفاصيل تلك الأمور لم تكن مطروحة. ومن الطبيعي أن تكون تلك الإصلاحات تتعلق باختيار المدرّسين الأكفاء وتحديد أساتذة

الأخلاق، وأمثال ذلك. التفاصيل لم تُذكر[1].

نقد كتاب: الطبقات

رتّب السيّد البروجردي ـ عليه الرحمة ـ طبقات الرجال في كتابه، فجعل كل طبقة ٤٠ سنة. فيشكل على ذلك بأن من كان حيًا سنة ٣٨ و٣٩ يحتمل أنه عاش إلى سنة ٤١ ففي أي الطبقتين يكون؟ يلاحظ أنه وضعه في إحدى الطبقتين بلا ضابطة.

والإشكال الآخر: أنه لو كان وقت وفاة الراوي سنة ٨٠، وراوٍ آخر توفي سنة ٨١، فيكون أحدهما من الطبقة الثانية، والآخر من الطبقة الثالثة على هذا الترتيب: فهل يصح أن يقال أن الأول يستطيع أن يروي عن الطبقة الأولى لأنه من الطبقة الثانية، والثاني لا يستطيع لأنه من الطبقة الثالثة، مع أن الفرق بين وفاتيهما سنة واحدة فقط؟!



تاريخ الولادة والوفاة

توفي السيّد في السنة التاسعة والثمانين من عمره. لكنه لم يكملها، فقد وُلد في صفر ١٢٩٢ وتوفي في ١٢ شوال ١٣٨٠ [2].

سبب الوفاة

■ **س: ما هو سبب وفاة السيد؟ هل كان هو الصوم؟**

نعم، وبالإضافة إلى الصوم فقد كان يأتي إلى صلاة الجماعة في المسجد الأعظم، ويجلس لاستماع خطابة الشيخ الفلسفي. كان هواء المسجد مكتومًا والجماعة كبيرة جدًا، فكان قلب الشخص العادي

(١) ذكر الشيخ المرحوم علي الدواني تفاصيل هذه القضية في كتابه نقد عمر (بالفارسية) (ج١ ص٢٠٦ ـ ٢١٦) بالتفصيل تحت عنوان: طرح إصلاح حوزة توسط امام خميني.

(٢) ١٢ بحسب التقويم و١٣ بحسب الشرع وحكم الحاكم. (السيد)

يتوقف! صام السيّد في تلك السنة رمضان كاملًا، وكانت صلاته تطول كثيرًا، ثم يجلس ساعة لاستماع الخطبة. فلم يعد القلب يتحمل!

ذات مرة جاء موكب معزّين، فدخلت في وسطهم، وأحسستُ أن قلبي سيتوقف! لأن سقف المسجد منخفض ومع كثرة الناس يصبح التنفس صعبًا.







آية الله السيّد محمد البهبهاني (قدس سره)

(ت ١٣٨٢ ق).

موقف السيّد البهبهاني من الشاه

يقول المرحوم قوام الشريعة: كان المرحوم السيّد محمد البهبهاني سندًا للعلماء في نهضتهم ـ وكذلك كان من قبلُ ـ فأدى ذلك إلى انفصام علاقته بالبلاط.



من المعروف أنَّ الشاه قال له: يا سيّد! سآمر بأن يحلقوا لحيتك جافة! فقال السيد: عندما هربت وسعينا لإرجاعك تلقينا من بصاق الناس في وجوهنا ما لا يجفّ أبدًا ولا يمكن معه الحلاقة جافة!

حكومة (مُصدق) جعلت الشاه يهرب، ورأى السيّد أن خطر الشيوعيين موجود بقوة، فسعى في إرجاع الشاه لئلا تقع الدولة في أيديهم.

ثم لما بدأت نهضة العلماء ابتعد عن البلاط، وانقطع الزوار عنه تمامًا فلم يكن يسمح لأحد بزيارته. حتى أنهم قطعوا الهاتف عنه حتى لا يتصل بأحد.

احتاج إلى الحلاقة ذات مرة، فأرسل إلى الموظف المسؤول عن ذلك: لقد أمروك بمنع الناس عن الزيارة. فهل الحلّاق أيضًا ممنوع أن يأتي؟

قال: لا

قال السيد: إذًا أرسلوا شخصًا يحلق شعر رأسي.

نقل قوام الشريعة أن الموظف قال للحلاق: إذا دخلت لحلاقته فاقطع وتينه!

فقال الحلّاق: لا أتذكر أن رجلًا أجنبيًا جاء إلى بيتنا.

أراد أن يقول: أني لست ابن زنا، ولا يعمل هذا العمل إلا ولد الزنا، وأراد أن يعرّض به بأنك ولد زنا.

عندما جاء السيّد محمد البهبهاني لم يهتم له العوام كثيرًا؛ لكن العلماء كانوا جميعًا يحترمونه ويوقرونه للغاية. كان رئيس علماء طهران ومحط احترام العلماء. لم يكن العوام يهتمون له لأنهم من أتباع مصدّق، لكنه كان محترمًا للغاية عند الخواص وعند جميع المراجع. كان سندًا وملجأ لجميع أهل العلم، وكان شخصية كبيرة. رضوان الله عليه.



لقد حضر في عقد أخي مرتين. حضر في المرة الأولى بشكل خصوصي، وأجرى صيغة العقد مع الميرزا عبد الله الجهلستوني. كان السيّد لا يستطيع القيام للقادمين، ولا بد من أن يقيموه؛ لأن رجله كانت ضعيفة وجسمه ثقيل وهو متقدم في السن. فكلما دخل شخص قال: (يا الله!) ولم يكن أحد يتوقع منه القيام. أتذكر هنا أن الميرزا عبد الله عندما دخل ـ وكان شخصية مشهورة ومحترمة للغاية ـ وضع يده على كتف السيّد البهبهاني وقال: أقسم عليك برأس جدك أن لا تقوم!

في اليوم التالي، حضر أيضًا في الجلسة العامة. كان يجري الصيغة في الجلسة العامة مع ذكر الألقاب: أنكحت ابنة حضرة حجة الإسلام الحاج الميرزا عبد العلي لابن حجة الإسلام والمسلمين ..) وكان يعرف اللقب

المناسب لكل شخص. لم يكن يكتب لأحد لقب (آية الله) حتى لرؤساء قم، مثل: السيّد صدر الدين.

كان يوليني عناية خاصة أيضًا. كان الوالد قد كتب رسالة من أجل الإفراج عن ابن عمتنا الذي كان مسجونًا وكان عضوًا في حركة فدائيان إسلام. أنا أخذتُ الرسالة إلى السيد، فقال لي أحد العلماء: تحدث مع السيّد حديثًا علميًا. من بعد ذلك الموقف كان يحترمني كثيرًا حيث تبين أني من أهل العلم. كان يرتاح كثيرًا لطالب العلم.







السيد محمد سلطان الواعظين الشيرازي (قدس سره)

(ت١٣٩١ق)

خادم الإمام الحسين(عليه السلام)

ينقل الدكتور شهاب[1] إن ابن سلطان الواعظين كان يعمل عند تاجر يهودي، كان من كبار أثرياء طهران. وكان محبوبًا جدًا لدى ذلك الرجل بسبب أمانته وحسن عمله وغير ذلك. أصيب سلطان الواعظين بمرض في القلب، وتوفي فيما بعد بذلك المرض. عندما مرض سلطان الواعظين أعطى التاجر اليهودي ولده شيكًا مفتوحًا موقَّعًا من قبله ليكتب والده أي مبلغ يريده ليذهب للعلاج في الخارج. قدم الولد الشيك لوالده، فقال الوالد: (أنا خادم سيد الشهداء(عليه السلام) آخذ المال من عند يهودي؟! الموت أهون عليّ من ذلك) ولم يقبل.



(١) الدكتور شهاب من رفقائنا وبعض الكتب الموجودة في مكتبنا من عنده. كان يريد أن يعطيني إياها في حياته فلم أقبل، ثم أوصى بأن تسلم إليّ فوضعناها في المكتب ليستفاد منها. (السيد)





آية الله السيّد أحمد الزنجاني (قدس سره)[1]

(ت ١٣٩٣ ق)

الإسلام المُجسَّم

الذين لا يعرفون الوالد عندما كانوا يرون عبادته وتهجده يظنون أنه من كبار المقدّسين، لكنه لم يكن يحب القداسة الجافة. كان فهمه للفقه الإسلامي والإسلام عمليًا، ومع كونه مُقدَسًا إلا أنه كان مليئًا بالذوق والأخلاق.

كان والدنا قليل الهموم يعيش في راحة. فلم يكن مثلًا ينزعج من تفوق شخص، ولم يكن يتوقع من الناس شيئًا إلا القليل جدًا. كان يحمل أفعال الناس على الصحة، ويعتبرها الأصل الأولي، كما كان يُعدّ من النوادر في الشكر والتوكل!

كان يقول: أنا لا أنتظر شيئًا بعد هذه اللحظة حتى أحزن لما سيأتي، بل أعتبرها هي الشيء الذي أنتظره. فكان يسعى أن يتلذذ بلحظاته.

الشعر

كان والدنا ينظم الشعر بشكل متفرق. عنده مثلًا كتاب اسمه (نصاب الصبيان) بثلاث لغات العربية والفارسية والتركية. فيه ١٠ أوزان عروضية

(١) السيّد أحمد هو والد آية الله السيّد موسى الزنجاني ـ دام ظله ـ صاحب الكتاب.

مختلفة: فعول فعول فعول، فاعلات فاعلات .. . في ١٠٠ صفحة في كل صفحة منها ١٠ أبيات تركية وفارسية وعربية. وقد ترجم ذلك بدقة. يقول مثلًا:

قمر، ماه، آي.

شمس، خورشيد، كون

جبل، كوه، داق.

صيحه، آواز، أون

كان يشكل على نصاب الصبيان في قوله مثلًا: الغني صاحب المال والمسكين هو المتسول. كان الوالد يقول: الغني هو الذي لا يحتاج وإن لم يكن لديه مال. رضا خان مثلًا بسبب حرصه على الدنيا لم يكن غنيًا (لا يشعر بالحاجة) مع أن لديه المال، لكن لم يكن يشبع نهمه وحرصه. والمسكين ليس هو المتسول، فالمتسول هو الذي يسأل الناس بكفه. وأما المسكين فقد لا يكون لديه أي شيء لكنه عفيف لا يمد يده للناس.



تسجيل الأحداث الهامة

كان والدنا حسن الأسلوب. كان يسجل الحوادث المهمة في كثير من الأحيان. مثلًا عندما اشترينا كتاب (المصباح المنير) كتب على ظهره: اشتريت هذا في التاريخ الفلاني لفلان في الوقت الذي كان فيه النفط يفور في قم!

حيث أن بئر نفط نبَعَ من الأرض في ذلك الوقت، وسبّب مشكلة كبيرة، فقد غطّى أحواض البيوت، ولم يستطع موظفو الدولة إيقافه حتى جاء أشخاص من الخارج وأوقفوه.

انضم إلينا

يقول الشيخ الفقيهي:

قال لي السيّد الخميني: أنت صديق السيّد الزنجاني. فقل له يأتي إلى جماعتنا. نفس السيّد الخميني لم يكن يريد أن يوقع الوالد في حرج.

يقول: ذهبتُ وقلت للسيد: سيدنا! لماذا لا تأتي إلى جماعتنا؟

قال: أحضر درس السيّد البروجردي أيضًا؟

قلت: وما المانع في ذلك؟ هو عالم محقق بمعنى الكلمة.

قال: أنا أعلم ذلك، لكن إذا حضرتُ، أكتب الدرس أم لا؟

قال: كما تحب.



قال: إذا لم أكتب فهذا لعب، وهو لايعجبني. وإذا أردت أن أكتب فقد كبرت سني وليس عندي مزاج للكتابة.

قلت: احضر بدون كتابة.

قال: أنا مرتبط بالسيد حجت منذ عشرين سنة، ولم أر منه شيئًا مخلًّا. ولستُ ممن يرتبط بشخص ثم ينقلب عليه.

التعرف على والد الشيخ الفاضل اللنكراني

كان لوالد الشيخ الفاضل ـ عليه الرحمة ـ علاقة خاصة مع الوالد. كان الوالد يقول: عندما جئتُ إلى قم كان عندي صديق واحد فقط، وهو والد الشيخ الفاضل. لأنه سبق أن جاء إلى زنجان، لم يكن يعرف أحدًا غيره.

تمّ تبعيد الشيخ الفاضل في أواخر حياة الوالد إلى بندر لنجه، حيث الجو هناك سيء للغاية. كان الوالد مريضًا للغاية، فكان يغمى عليه أحيانًا

فإذا أفاق سأل عن الشيخ: هل أطلق سراحه أم لا؟

العلاقة الوثيقة بالإمام الخميني

كان السيّد الخميني قد كتب رسالة إلى الوالد. القسمُ الذي بقيت عبارته إجمالًا في ذهني هو هذا: حضرة آية الله الزنجاني! مشاغل الدنيا ومشاكلها أنست الأصدقاء بعضهم بعضًا كقحط دمشق. الآن وقد سمعتُ أن مرض جنابكم الكريم قد اشتد، أردتُ أن أكتب إليك بضعة أسطر أو شيئًا ما أداءً للواجب.

أنا أيضًا أنازع حوادث أيام الشيب وأقضي أنفاس آخر العمر بمشاكل الداخل والخارج. أرجو من جنابكم الكريم الدعاء لي بحسن العاقبة.



وقد كتب لي:

لم أكن أرغب أبدًا أن تكون أول رسالة أكتبها إلى جنابك الكريم في هذه المصيبة الكبيرة.

عندي من المرحوم المبرور المعظم ذكريات كثيرة لا تنسى، والأيام التي قضيتها معه كانت من أفضل سنيّ عمري. الآن قد ذهب إلى ثواب الله، وإنا إن شاء الله به لا حقون.

بعد ذلك أبدى شيئًا من العناية بي.

الرسالة الأولى كتبها في سنة ١٣٩٣ تقريبًا، وهي السنة التي توفي الوالد فيها في شهر رمضان.

كان عمر الوالد عند وفاته خمس وثمانين سنة ونصف.

الفرق بينه وبين السيّد الخميني في العمر كان ١٢ سنة. ولد السيّد الخميني في ١٣٢٠، ١٨ جمادى الثانية، والوالد في الرابع من صفر سنة

١٣٠٨. وكان كل منهما يعشق الآخر. كان السيّد الخميني يحبه كثيرًا، وكلمةُ: قحط سنة دمشق، إشارة إلى بيت الشعر الذي مضمونه: لقد أصيبت دمشق بقحط شديد ذات سنة جعلت الأحبة ينسون العشق.

الوالد أيضا كان يحبه. أتذكر أنه كتب إليه في رسالة:

(لا أدري هل أرسلها بعد ذلك أم لا. لأن الرسالة كانت موجودة في بيتنا ومكتوبة للسيد الخميني)

سمعتُ بيتًا من الشعر مؤخرًا أريد أن أطبقه عليك:

ضاع القلب في صدري ولا أدري من أتهم؟

لا أحد يدخل هذا البيت غيرك.



أصدقاء الوالد المرحوم

■ **س: ألم يكن والدكم المرحوم يوصي بحضور درس أخلاق لمدرس خاص؟**

لا. كان الوالد يعتقد بالسيد الخميني. لم يكن يقول: احضروا درسه الأخلاقي. لكنهما كانا معًا دائمًا، وكان يعتقد به. السيّد الخميني كان أيضًا يعشقه للغاية. في جلساتهم مع الأصدقاء كان الوالد هو إمام جماعتهم. وأحيانًا إذا لم يكن موجودًا كان السيّد الخميني يتقدم.

■ **س: من هم أصدقاؤهما؟**

السيد محمد صادق اللواساني، والشيخ عبد الحسين فقيهي، والسيد ولائي خالنا. وأحيانًا كان السيّد علي نقي الطهراني، والسيد أحمد اللواساني (الأخ الأكبر للسيد محمد صادق)، والحاج الميرزا محمد علي أديب الطهراني، والشيخ عباس الطهراني معهم.

مزحة من الإمام الخميني

سمعتُ الوالد يقول: كنتُ جالسًا مع السيّد الخميني في المدرسة الفيضية، وكنا نتحدث حول رأي العرف في المسألة الفلانية، فمر السيّد ضياء والد السيّد مصطفى الكاشفي الخونساري مع أحد مريديه من أمامنا، فقال السيّد الخميني: لقد حضر السيد! العرف! العرف! الذهن الصافي! اسأله!

النشاط والمزاح

- **التقيت مرة بالشيخ النوقاني، فقال: بالنتيجة هل اتضح الفرق بين المكروه والنكرة أم لا؟**



كان الوالد يقول: كان في زنجان شخصٌ يدّعي كثيرًا أنه خبير باللغة العربية، مع أنه لم يكن لديه أية خبرة ويتبين ذلك من كلامه. يقول الوالد: سألتُه: ما الفرق بين النكرة والمكروه؟ قال: تريد الفرق الفقهي أو الفرق النحوي؟ قلت: بما أن تخصصك في النحو أكثر تفضل ببيان الفرق النحوي. فطرح فرقًا ما. فسألتُه: إذا قال شخص: فعل زيد مكروهًا، فكلمة مكروه نكرة ومكروه أيضًا. فما الفرق إذن؟ فكّر كثيرًا ولم يستطع أن يجيب. وبعد عدة أيام رآني وقال: يا فلان! لم أتوقف في مسألة كما توقفت في مسألتك هذه!

كان الوالد قد نقل ذلك للشيخ النوقاني، فكانوا مدة طويلة يتذاكرون الفرق بين النكرة والمكروه!!! كانوا أصحاب ذوق ولطيفين للغاية.

كان يقول: في ذلك الوقت لم نكن ندرك معنى الهم، وكيف يتجرع الإنسان الغصص! والسبب في ذلك أن العلماء كانوا في ذلك الوقت هم القائمون بكل شؤون المجتمع من القضاء وعقود النكاح وغيرها، وكان

يُنظَر إلى موظفي الدولة على أنهم ظلَمة.

الوالد لم يكن يتأذى من تفوق شخص، ولم يكن يحسد أحدًا. ولم تكن فيه الصفات التي تجعل صاحبها يتألم. كان الجو العام أيضًا مساعدًا للغاية، وكان في عمر الشباب. كان يذهب يوميًا للمزرعة، ومع أنه كان يلقي عدة دروس لم يكن ينقطع عن المزرعة. كان ذلك أيام إقامته في زنجان، لكنه عندما جاء قم بدأ نشاطه يقل. ومع ذلك فهذا النشاط القليل عنده كان أكثر من أي شاب!

كان السيّد الخميني يقول: كان نشاطه استثنائيًا إلى أن بلغ الخمسين. عند ذلك بدأ نشاطه ينقص، وأنا الآن كذلك. سمعتُ ذلك من السيّد الخميني بنفسه. كان ذلك قبل الثورة وكان يقول: الخمسون سنة أثرت فيه وأثرت فيّ أيضًا كذلك! ومع ذلك فإن نشاطه بعد أن ضعف كان أكثر من نشاطنا جميعًا.



السيد الطباطبائي أيضًا كان معجبًا به كثيرًا. كان يأتي إليه في كل ليلة حيث كان بيته قريبًا.

قضايا لطيفة

يقول السيّد رضا الزنجاني: كان الحديث عن السيّد حسين كوجه حرمي، فقد كان من العلماء المقدسين والوجهاء في قم. كان يصلي في الحرم قبل السيّد المرعشي، وكانت بينه وبين السيّد المرعشي قرابة. اقترح في البداية على الوالد أن يُصلي مكانه إذا لم يحضر. يقول الوالد: كنت أصلي أحيانًا خلفه، لكني إذا أردت أن أنوب عنه فيجب أن أواظب على الصلاة معه. فلم أقبل لهذا السبب. بعد ذلك أعطى الإمامة للسيد المرعشي. كان شخصًا مقدسًا ومحترمًا.

يقول السيّد رضا: كان والدكم يتناقش مع السيّد جواد إمام ـ من خطباء قم ـ حول أن السيّد حسين مجتهد أو لا. كان الوالد يقول: لا. هو شخص تقي، لكن الاجتهاد أمر آخر. ولكن السيّد جواد كان يقول: هو مجتهد، لأني درست عنده شرح اللمعة! فيقول الوالد: هذا يؤيد كلامي!

مشهدي ولي

كان للوالد ـ عليه الرحمة ـ خادم اسمه مشهدي ولي. كان شخصًا تقيًا للغاية وطيب النفس. كان يصوم طوال السنة عدا تاسوعاء وعاشوراء والعيدين. وكان يقيم مجلس عزاء في مجلسه أيام الجمعة يقرأ فيه خطيب أو خطيبان، فيصرف المال القليل الذي يحصل عليه في ذلك المجلس.



كان الوالد قول: جاء في الروايات أن من يريد سعادة الدنيا والآخرة فلينظر في الأمور المعنوية إلى من فوقه حتى لا يصيبه العجب، وفي الأمور المادية إلى من دونه حتى ينسى الصعوبة التي عيش فيها، وأنا أحتفظ بمشهد ولي من أجل هاتين الخصلتين.

كتابة القرآن على الكفن

كان الوالد يجيء من صلاة الفجر ويقضي بعض الوقت ـ عشر دقائق تقريبًا ـ حتى يجهز الفطور. لم يكن يستطيع القيام بعمل علمي مهم في هذه الدقائق، فقرر أن يستغلها في كتابة القرآن على الكفن الذي أعدّه لنفسه. وتمكّن من كتابة القرآن كاملًا على كفنه في سنة واحدة. لكن القرآن الذي كتبه لم يكن منقوطًا. كان أخونا المرحوم السيّد إبراهيم قد وُلد قريبا فكان الوالد يقول لي أحيانًا: تعال نحسب: كم مرة وردت كلمة إبراهيم وكلمة موسى في القرآن!

وبهذه الطريقة راجعنا القرآن المكتوب مرة ثانية.

وإضافة إلى القرآن فقد كتب (دعاء الجوشن الكبير) وبعض الأشعار مثل: وفدت على الكريم بغير زاد.

تأثير الزوجة في حياة الإنسان

الزوجة تؤثر كثيرا في حياة الإنسان. والدتنا كانت مؤثرة جدًا في حياة الوالد، وزوجتي أثرت كثيرًا في حياتي. وكذلك زوجة السيّد الطباطبائي كانت صديقة لوالدتنا. وأظن زوجتي كانت على علاقة معها أيضا. الزوجة إذا كانت موافقة فإن لها تأثير كبير.

- **الزوجة الأولى للوالد كانت ابنة خاله. كان له منها ولد غرق في المسبح في عمر السادسة. كانت هذه الزوجة لا تريد طالب علم، فطلقها الوالد مع أنه لم يكن يرغب في ذلك. لكنه كان يقول: ليس لديها الرغبة، وهي إنسان. فلماذا أحبسها؟**



وقد ندمَت كثيرًا بعد ذلك، لكن الوالد لم يندم. لأن والدتنا كانت أفضل منها من جميع الجهات: فكانت سيدة أما وأبًا، وكان أجدادها سادة كذلك لعدة أجيال، وكان والدها شخصية معتبرة للغاية ـ ولم يكن والد الزوجة الأولى كذلك ـ وكان المستوى الروحي والمعنوي للوالدة أفضل بكثير من الزوجة الأولى، وكانت ترجح عليها في كثير من الجوانب الأخرى.

والملفت للنظر أن الزوجة الأولى كانت على علاقة بالوالدة، وكانت تحبها، وقد طلبت براءة الذمة من الوالد عن طريق الوالدة. كان الوالد يقول: بعد العقد ـ أو الزواج ـ جاءت امرأة من ذلك الحي ـ البعيد عن حي والدتنا ـ ولم تكن لها أي قرابة بها إلى جدتنا وقالت لها: إن وضع حياتكم لا يتناسب مع هؤلاء، فهم يحسبون عدد حبات اللوبياء التي يضعونها في الطعام.

كانت جدتنا للوالدة امرأة محترمة ووزينة للغاية. كانت إذا حضرت في أي محفل من المحافل وفيه غناء وما شابه يوقفونه من أجلها. فسألت الجدة تلك المرأة: هل فيهم عيب آخر؟ قلت: لا. قالت: إذًا هذه صفة حسنة فيهم. لأنه ليس تاجرًا بل طالب علم فإذا عمل كذلك تبين أنه شخص ذو حساب. وهذا ليس عيبًا في طالب العلم، نعم هو بالنسبة إلى التاجر عيب.

كان الوالد يمدح جدتنا ويقول: كانت سيدة محترمة للغاية ووزينة. وهي عمة المرحوم السيّد الفاضلي. توفيت وأنا طفل صغير، فهي في ذاكرتي كالحلم.



كرامة لجدي

نقل لي الشيخ محمد حسين مجتهدي ـ وهو لا يزال حيا الآن، وأبوه ابن خالة جدنا ـ مرتين[1] قال: دعا والدنا جدك (والد الوالدة) إلى سلطانية. فقال جدنا السيّد علي نقي: سآتي لكن بشرط أن تكون ضيافتي من محصول بيتكم لا من الخارج. يقول: كان لدينا من مشتقات اللبن الجيدة مثل اللبن الرائب الجيد والزبدة والجبن وغيره، وتقرر أن نضيّفه بهذه الأشياء.

جاء السيد، فأعدّ له الوالد كبابًا مع رز. قال السيد: هذا خلاف الاتفاق!

قال: لا. كنت أريد أن أعمل بذلك، لكن بقرتنا توقفت عن الحليب. طردت ولدها وتوقفت عن إعطاء الحليب. وولدها أيضًا انفصل عنها.

يقول: قال السيّد علي نقي ـ رحمه الله ـ لوالدي: اذهب وقل للبقرة المير علي نقي يقول: أرضعي ولدك ولا تقطعيه! قال الوالد: اكتب شيئا

(١) ونقل ذلك للشيخ الكاظمي من علماء طهران الذي نقله لي بدوره.

حتى أعلقه في عضدها. قال: لا فقط قل لها ذلك ويكفي. ذهب الوالد وقال: يا بقرة! المير علي يقول أرضعي ولدك واهتمي به! وبمجرد أن قال ذلك، صوّتت البقرة وجاء الولد وأرضعته!

ولادة السيّد موسى[١]

تم تأريخ وفاة العلامة المجلسي بشكل عجيب، فقد ذكر الشاعر سنة الوفاة وشهرها ويومها في ببيت واحد بالفارسية. وكذلك فإن تاريخ مولدي ذكر فيه يوم الولادة وشهرها وسنتها وساعتها في بيت واحد من إنشاء الوالد بالفارسية:

سـال تاريـخ ولادت عجـب إلهامم شـد

از مبارك رمضان[٢] هشت كم هنكام سحور



الالتحاق بالحوزة العلمية

لم يضغط عليّ الوالد أبدًا للالتحاق بالحوزة، بل رغبت في ذلك بنفسي، مع أن الظروف كانت شديدة، وكان الناس لا يرغبون في ذلك بسبب ظلم رضا خان، لكن الله وفق ـ وببركة حسن نية الوالد ـ فصرت طالب علم.

قصة شفائي

سافرتُ عدة مرات إلى مشهد، فكنت أمرض هناك. فقررت أن لا أذهب لأني كنت لا أستطيع الذهاب إلى الحرم بسبب المرض. ذات مرة

(١) من هنا يبدأ السيّد الحديث عن نفسه ويلاحظ أنه لم يفرَد له عنوانًا خاصًا وإنما جعل ذلك في ذيل الحديث عن أبيه وذلك من التواضع. (المترجم)

(٢) مبارك رمضان يساوي بحساب الجمل ١٣٥٤ فإذا أنقص منه ٨ وهو يوم ولادته كما يشير البيت حصلت سنة الولادة ١٣٤٦ ق.(المترجم)

أرادت أختي أن تذهب بالحافلة إلى مشهد، فحجزت مقعدين إضافيين احتياطًا من أجلنا.

قررت زوجتي الذهاب معهم، لكن ذهابها بدوني كان صعبًا عليها جدًّا، فأصرّت أن أذهب معهم. رفضتُ ذلك فزاد إصرارها إلى أن ذهبنا إلى طهران لتوديعهم. في الليلة التي كانوا سيسافرون في صبيحتها أصرّت زوجتي مرة أخرى أن أذهب معهم. قلت لها: أنا أمرض إذا ذهبت. وتصالحنا في النهاية على الاستخارة، فأصرّت على ذلك. استخرت فكانت الاستخارة جيدة على الذهاب معهم. لكني لم أقتنع وقلت: أستخير على الترك فإن كانت سيئة ذهبت، وإن كانت جيدة فلن أذهب. استخرت على الترك فكانت سيئة، فلما رأيت الاستخارة هكذا ذهبت معهم.



عندما دخلنا مشهد، وأردنا أن نبحث لنا عن منزل، التقيتُ بالشيخ محمد حسين البروجردي ـ ابن الحاج ميرزا مهدي ـ فذكرت له حالي. فقال لي: عندي سكر نبات مبارك قد وضع على الضريح عدة أشهر وسأعطيك منه. أعطاني فكانت صحتي في تلك السنة جيدة. في السنة التالية أيضًا أعطاني منه، فتناولت من ذلك السكر سنتين أو ثلاثًا ثم استغنيت عنه. بعد تلك السنة أصبح السفر إلى مشهد من أفضل أسفارنا، كانت صحتي تبقى جيدةً إلى النهاية فقط عندما نسافر إلى مشهد.

أساتذة الخارج

أول درس خارج حضرتُه كان درس السيد: صدر الدين الصدر(﵀)، بعد عدة أشهر جاء السيّد البروجردي وذهبتُ إلى درسه.

حضرتُ أيضًا درس السيّد حجّت، لكن أكثر استفادتي كانت من

السيّد الداماد. وأما السيّد الكلبيكاني والشيخ الأراكي والسيد الخميني فلم أحضر لهم في درس الخارج. ذهبت مرة أيضًا إلى درس السيّد محمد تقي الخونساري وكان نصف درس فقط.

خسارة فقدان عدة من العلماء

كان هناك عدة أشخاص كان فقدانهم بالنسبة لنا خسارة كبيرة:

أحدهم: والدنا، من عدة جهات: الجهات العلمية والجهات الذوقية والجهات الفقهية والمعلومات. كان الشيخ مجتهدي شريكًا للوالد في هذه الجهات، لكنه كان متقدمًا عليه من حيث اللغات. كما أن الوالد متقدم على الشيخ في الفقاهة. كان بإمكان الإنسان أن يستفيد منهما كثيرًا. نعم، بعض الظرائف التي كانت للوالد المرحوم كان الشيخ يفهمها لكنه لم يكن يبدعها.



الوالد كان مُبدعًا لكثير من الأشياء، وكلاهما كان ممتازًا.

في الدرجة التالية: كان الآخوند ملا علي الهمداني، والشيخ مرتضى الحائري يمثلون قيمةً كبيرةً بالنسبة لنا. هذان أيضًا كانا ممتازين للغاية. الشيخ مرتضى كان يتميز بأن والده الشيخ عبد الكريم الحائري. كانت لديه أشياء من والده، كما كان هو نفسه من أهل الذوق والشعر، وكانت له أخلاق ممتازة جدًا. كان منزهًا عن الهوى. فقدان هؤلاء كان خسارة كبيرة بالنسبة لنا.

وفي الرتبة اللاحقة: أصدقاؤنا الذين كانوا أصدقاء ممتازين جدًا، وقد رحلوا عن الدنيا: السيّد رضا الصدر والسيد مهدي الروحاني والسيد البهشتي والسيد موسى الصدر، الذي نأمل أن يكون على قيد الحياة. كان السيّد بهشتي متفوقًا في الذكاء العلمي، لكن لم تكن لديه اللطائف

الخاصة التي كانت لأولئك. مع ذلك فقد كان ممتازًا، وكان مقدمًا عليهم جميعًا في الفهم والفكر.

الشيخ المطهري: كان من الأشخاص الذين خسرناهم، لكنه كان قد انتقل إلى طهران فكان لقاؤنا به قليلًا. نعم، المعلومات العامة للشيخ المطهري لم تكن كثيرة جدًا، ولكن كان يمتاز بالتفكر. رضوان الله عليهم أجمعين.

جلسات السيّد رضا الزنجاني وأخيه السيّد أبي الفضل كانت مفيدةً للغاية، خصوصًا السيّد أبو الفضل الذي كان أدق من أخيه.

قضية رسالة التعزية للشهيد مطهري



كنتُ قد درستُ في البدايات عند الشيخ المطهري. أظنُ أني درستُ عنده حاشية الملا عبد الله. أتذكرُ عندما توفي والده تقرر أن أكتب إليه رسالة تعزية، لكني خاطبته في الرسالة باسم: حجة الإسلام فقط؛ بسبب إغواء شخص قال لي: أن الشيخ لم يكن قويًا في ولايته للمعصومين(ﷺ). بعد ذلك عرفتُ أن الرجل أغواني، وأن الشيخ من أهل الدرجة العليا في الولاء. ومع ذلك فقد أجاب على رسالتي ولقبني بحجة الإسلام والمسلمين، مع أني درستُ عنده فترة من الزمن. لقد خجلتُ كثيرًا من ذلك.

الشيخ عباس الطهراني

■ س: هل لديكم قصة عن السيّد حسين الفاطمي؟

لا أتذكر شيئًا. لم يكن لدينا ارتباط بعلماء الأخلاق، لكنني كنتُ أحيانًا أزور الشيخ عباس الطهراني الذي كان من أصدقاء الوالد. كان جارًا لنا، وكانت له بنا عناية. لكني لم ألتق بالسيد حسين الفاطمي وإنما حضرتُ

مرة واحدة خطبته.

الشيخ عباس الطهراني كان تقيًا. كان بيته في أعلى المدينة وفي القسم الممتاز منها، فلما طرحت مسألة كشف الحجاب قهرًا في زمان رضا خان انتقل إلى أسفل المدينة في حي قديم بعيدًا جدًا عن المركز؛ لأن الضغط هناك أقل ويستطيع أن يبقى بأمان إلى حدٍ ما. كنت أصلي الظهر في مدرسة حقاني وهو يصلي المغرب، وقد مرض ذات مرة فصليت عنه أيضًا لعدة أشهر.

كان الوالد (عليه الرحمة) ينقل ويقول: بعد وفاة الشيخ عباس الطهراني رأيت في الرؤيا شيئًا يشبه الجدار وقد كتب عليه ما مضمونه: ورد الحاج الشيخ عباس الطهراني على... النبي أو المعصوم مثلًا واستيقظت من النوم!



رأى الوالد هذه الرؤيا بعد وفاته وكانت علامة على حسن وضعه في ذلك العالم.

المحدث الأرموي

تربطنا بالمحدث الأرموي نسبة بعيدة، وكانت لنا معه علاقة خاصة. ذات مرة زرته بعد انقطاع دام سنتين أو ثلاثًا. طرقتُ الباب ـ وكان بيته قديمًا ـ وتأخروا في فتح الباب، فلما فتحوه دخلت غرفة وبمجرد أن رآني بدأ في البكاء. كان يكتب شيئًا فتبين أن ابنه سُجن في زمان الشاه، وقد كتب عريضة للإمام الحجة (ﷺ)، وكتب رسالة لي في آخرها: بلغ سلامي لفلان[1] وعندما أراد أن يوقِّع على الرسالة جئت أنا.

كان قد كتب في آخر الرسالة: أنا كتبت هذه العريضة فارمها في ماء

(١) يعني السيّد نفسه.

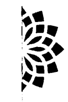
جارٍ، لا تصل إليه أيدي الناس أو في البئر الفلاني.

في الوقت الذي كان يكتب فيه الرسالة وصلتُ أنا، فقال: أنا تيقنت من هذه المصادفة أن مشكلتي ستحل، وأن الإمام قبل رجائي. وبكى بكاءً عجيبًا لأجل هذه العناية!

أخذتُ الرسالة وألقيتها في نهرٍ يمر على بُعد عدة فراسخ من قم، ولا تصل إليه أيدي عامة الناس، وقد نجى ولده بعد ذلك من السجن.

■ **ما هي التعقيبات التي تؤدونها بعد الصلاة؟**

التعقيبات التي ألتزم به إحداها: قراءة آية الكرسي إلى قوله تعالى: وهو العلي العظيم. ثم تسبيحة السيدة الزهراء عليها السلام، ثم أقرأ سورة الإخلاص ٣ مرات، ثم أصلي على النبي وآله ثلاثًا، ثم أقرأ الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّـهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[١]. ثلاث مرات[٢].



وأيضًا تكرار التسبيحات الأربع ٣٠ مرة لأنها مستحبة بعد كل صلاة واجبة، وخصوصًا بعد الصلاة المقصورة في السفر.

وأيضًا تكرار ذكر يا واسع يا وهاب ١٤ مرة في السجدة بنفس واحد فإن لم يكف النفس يقول يا وهاب ١٤ مرة. لا أعرف رواية هذا الذكر، لكن شخصًا من أهل الدعاء والذكر كان مقبولًا لدى أهل العلم وكان يوصي به.

يقول السيّد رضا الصدر: كانت لديَّ مشاكل مادية كثيرة فأعطاني

(١) الآيتان الثانية والثالثة من سورة الطلاق.

(٢) تقدمت قصة هذه الأذكار عند الحديث عن الشيخ علي النخودكي عليه الرحمة.

السيّد أبو الحسن المرتضوي ـ الذي كان من علماء طهران وكان مقبولًا ومحبوبًا بالنسبة إلى أهل العلم ـ هذا العمل. وقد عمل به السيّد ففرج عنه كما سمعت منه. وقد أعطاني السيّد رضا إجازة هذا العمل أيضًا.







آية الله الميرزا عبد الله مجتهدي (قدس سره)

(ت ١٣٩٦ ق)

الصداقة العجيبة

كان الميرزا مصطفى والد الشيخ عبد الله من النوادر. كان على علاقة وثيقة بالشيخ محمد رضا المسجد شاهي بشكل عجيب!



لقد طبع ديوان الشيخ محمد رضا وفيه قصائد كثيرة في مدح الميرزا مصطفى.

فمن ذلك: أنَّ الشيخ محمد رضا أهداه نعلين، وكتب معهما هذين البيتين:

ولـو بعثـت حقيـرًا مثـل مرسـله
رجـوت في العفو عن إرسـاله كرمك

من الهدايـا لك اخترت النعال لكي
ينـوب عنـي فـي تقبيلهـا قدمـك!

فرد عليه الشيخ مصطفى:

فيالـك مـن نعـل إذا مـا لبسـتها
أخـذت الثريـا قاعـدًا غيـر قائـم

ولـو أننـي أديـت معشـار حقهـا
لأحللتهـا منـي محـل العمائـم!

وذات مرة أحضر لي الشيخ عبد الله المجتهدي نعلين من تبريز وقال: لقد كتبت معهما شعرًا. فوجدته قد كتب بيت الشيخ محمد رضا هذا:

من الهدايـا لك اخترت النعال لكي
ينـوب عنـي فـي تقبيلهـا قدمـك!

لقد كان الشيخ عبد الله غاية في العطف بشكل استثنائي، بل كان هو العطف مجسمًا ـ إضافة إلى كمالاته العلمية ـ ومع أنه كان من طبقة الوالد المرحوم إلا أنه قبلنا لطفه.

وكذلك فقد كان شخصًا معنويًا في درجة رفيعة. كان بعيدًا تمامًا عن الرياء والتظاهر[١]. كان نادرة!



بعد وفاته لم نعد نرغب في الذهاب إلى تبريز. كتب أخوه الدكتور مهدي كتاب رجال آذربيجان في عصر الدستورية، وترجم له فيه ترجمة ممتازة. كان تعبيره: إنه كان صفاء تبريز. وكلامه صحيح.

كتب عنه أخوه الآخر الحاج الميرزا أبو القاسم أيضًا شيئًا لا بأس به. وقد وجدتُ موقفًا كتبه الشيخُ السبحاني أو شخصٌ آخر يقول: كان جمع من أرباب المعلومات الأدبية قد عقدوا جلسة، فظهر لهم فجأةً شخص معمم. فتضايقوا ظنًا منهم أن هذا المعمم سيحول جلستنا إلى مجلس عزاء! لم يكونوا يعرفونه.

في أثناء الجلسة تكلم أحد الحضار عن تاريخ الصحف: متى تأسست و.... ثم سألوه أو سألوا صاحب البيت فبدأ الشيخ ـ مع أنه لا يتظاهر بالعلم عادة ـ يتحدث عن تاريخ الصحف وأنواعها: كيف كانت في العالم وكيف بدأت ثم تطورت ... فعرض تاريخًا مفصلًا بهتوا له: من أين جاء هذا بهذه المعلومات. كانت ذاكرته قوية جدًا، وكان كثير القراءة.

(١) تقدمت الإشارة إلى هذا الأمر في الحديث عن السيّد الكوهكمري.



الآخوند ملا علي المعصومي الهمداني (قدس سره)

(ت ١٣٩٨ ق)

كانت للآخوند ملا علي الهمداني جلسةً مفيدةً ومعلومات معتبرة وممتازة. كان يقول: في إحدى السنوات كان الشتاء شديد البرودة فانثال فقراء همدان على المدينة حيث كانوا جياعًا، ولم يكن لديهم وسيلة تدفئة في تلك الأجواء الشديدة البرودة. يقول: كنت متحيرًا هل أصرف عليهم من سهم الإمام(عليه السلام) أو لا؟



كنتُ قد سمعتُ من المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي أنَّ: من صام يومًا وقرأ قبل نومه سورة الإخلاص ـ أو سورة القدر الترديد مني ـ مائة مرة فسوف يرى في المنام من يريده من المعصومين(عليهم السلام). ونقل الميرزا الملكي قصةً حصلت له بهذا الشأن، سننقلها فيما بعد.

يقول الآخوند الهمداني: كان يوم النصف من شعبان، وكنتُ قد اقتلعت أحد أضراسي فلم أستطع الصوم. لكني قرأت السورة قبل النوم مائة مرة، وأضفت إليها دعاءً لكي أرى الإمام الحجة(عليه السلام)، وأسأله عن صرف السهم المبارك.

يقول: في تلك الليلة رأيتُ في الرؤيا أني كنت في بيتنا السابق، ومع أنه لم تكن فيه نافذة تطل على الطريق إلا أني كنت أراه. كان الفقراء جالسين والطريق مملوء منهم. وإذا بصوت يقول: يا كريم! وكانت هذه كلمة

أستاذنا الشيخ عبد الكريم الحائري التي يرددها.

توجهتُ إلى باب الغرفة، وصعد الشيخ عبد الكريم الدرج، فوصلتُ إليه عند باب الغرفة وقبلت يده وقلت له: كيف استطعت المرور بين هؤلاء الفقراء الذين ملؤوا الطريق؟! قال: جئت لأوصي بهم. قلت: أنا لا أملك شيئا. قال: لا. هناك الكثيرون مدينون لي بأموال فخذها واصرفها على الفقراء. فهل يجب أن يموت هؤلاء من الجوع؟! لقد حولت إليك الآن ألفي تومان. واستيقظت من النوم.

بقيتُ أنتظر الحوالة فانقضى اليوم ولم يصل شيء، فأخذت ألفي تومان من والد الشيخ جواد مقصودي وأعطيتها للفقراء. بعد عشرين يومًا تقريبًا خطبت في الناس في اليوم الخامس من رمضان تقريبًا ثم ذهبت إلى البيت ونمت تحت (الكرسي)[1] فإذا الباب تطرق ورجل فهمت من صوته أنه كردي يقول: هذا بيت الآخوند ملا علي؟ خشيت أن يرده أهل الدار لأني نائم ـ وهو غريب ـ فهتفت من أعلى البيت: تفضل فوق. جاء الرجل ومعه خادم. كانت لديه حقيبة ففتحها فإذا فيها وصية لشخص من أهالي قرية باوعلي، وهي قرية بين أصفهان وكرمانشاه أهلها أكراد، كان مما أوصى به ذلك الميت: ادفعوا ألفي تومان للشيخ الآخوند ملا علي. نظرت إلى التاريخ فإذا هو نفس الوقت الذي حوّل فيه الشيخ المبلغ!



كان الآخوند يقول: كان العمل ناقصًا لأني لم أصم، والعامل ناقص أيضًا فلم يحضر الإمام(عليه السلام) وأرسل واحدًا من خدمه!

وأما قصة الميرزا جواد الملكي، فقد نقلتُها كرارًا عن الملا علي الهمداني، وهي أنه كان يقول: كنت قد كتبتُ رسالة في موضوع معين،

(١) الكرسي: مصطلح يُراد به الكرسي المعروف عندما يتم إعداده بطريقة معينة للتدفئة بإيقاد النار تحته. المترجم

فلما فرغتُ منها، وجدتُ الفيض الكاشاني ـ عليه الرحمة ـ قد كتب كتابًا في نفس الموضوع، وقد طبع الكتاب. كنتُ مترددًا هل كتابي أفضل أم كتاب الفيض. فعملت ذلك العمل لأرى الإمام الصادق(ﷺ).

يقول: نمت في الليل فرأيت الإمام(ﷺ) وسألته: كتابي أفضل أم كتاب الفيض؟ فسكت الإمام(ﷺ). فقلت: أمثلك يخيّب السائل؟ فقال: كتاب الفيض أفضل. فغسلت الكتاب الذي كتبته[1].

استخارة الآخوند ملا علي

كان الآخوند إذا أراد الاستخارة يقرأ أولًا هذا الدعاء: إلهي بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، اللهم صل على محمد وآل محمد. ثم يفتح المصحف ويعتمد على الآية الأولى في الصفحة اليمنى.



كان ينقل هذه الطريقة عن الشيخ أحمد القمي، والد الشيخ محمد تقي القمي، مؤسس دار التقريب، ويقول: جلالة قدر الشيخ أحمد منعتني أن أسأله عن المصدر.

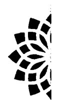
(١) كان الحبر الذي يكتب به قديمًا قابلًا للغسل، ليستفاد من الورق مرة ثانية، وقد يكون المقصود من غسل الكتاب إتلافه.

٧٩

السيد أبو القاسم الخوئي (قدّس سرّه)

(ت ١٤٢٣ ق)

كان السيّد الخوئي مدةً مرتبطًا بالسيد علي القاضي، ومشتغلًا بالسير والسلوك، ويقوم ببعض الأعمال والعبادات الخاصة. وقد نقل قوله: إني كنتُ أحس بتسبيح الموجودات إلى درجة أنَّ قطة قفزت من حائط إلى حائط، فكانت القفزة بنفسها تُسبِّح! يعني كانت القفزة شيئًا، وكان هذا الشيء يُسبّح! وكان يقول: أروني أحداث عمري كلها وحتى ما يجري بعد موتي.



يقول السيّد علي الخلخالي (عليه الرحمة): كان السيّد الخوئي في تلك العوالم، وأنا أعدته من ذلك الطريق. لأني رأيتهُ يتقدم في هذا المسير وهذا يؤثر على فقاهته، فكتبتُ لوالده أطلب منه أن يُحرّم عليه ذلك، من دون أن يعلم أن أحدًا أشار عليه بذلك. فكتب له الوالد: إني أحرم عليك كل عمل غير دراسة الفقه والأصول. فاستشكل السيّد عند ذلك في هذا العمل وترك ذلك الطريق. سمعتُ ذلك من السيّد الخلخالي.

وأما قضية رؤية أحداث العمر كله فقد نقلها كثيرون. ولو سألتم علماء النجف الذين أدركوا السيّد فلا بدّ أنهم يعلمون بذلك، وربما سمعوه منه مباشرة.

ست ذكريات من العلاقة الحميمة مع الإمام الخميني

سمعتُ من سيدنا الوالد أنّ آية الله الخوئي عندما جاء إلى مدينة قم المقدسة، دخل دارَ الإمام الخميني، وبما أنني كنتُ مقررًا لمحاضرات آية الله النائيني، فذهبتُ لزيارته، وشاهدت العلاقة الطيبة بين السيّد الإمام الخميني وآية الله الخوئي رحمة الله عليهما.

سمعتُ من أحدٍ أنّ أول شخص اتصل به الإمام الخميني بعد أن نُفي إلى العراق، ووصل إلى مدينة الكاظمية ببغداد، هو: آية الله السيّد الخوئي.

كان آية الله الخوئي دائمًا يزور السيّد الإمام الخميني في مدينة النجف الأشرف، بحيث اعترض البعض على كثرة زيارته للسيد الإمام، لكن كان آية الله الخوئي يضرب الاعتراضات عرض الحائط ولم يتأثر بها.



عندما استشهد السيّد مصطفى نجل السيّد الإمام الخميني، فقد صلى على جثمانه الشريف آية الله الخوئي.

يومٌ من الأيام قدّم آية الله الخوئي عباءة للسيد احمد الفهري؛ ليهديها إلى السيّد الإمام الخميني، وعندما استلم السيّد الإمام الهدية، قال للسيد الفهري: أنا سعيد جدًّا بعلاقتك مع آية الله الخوئي، ولو كانت هذه الهدية من غير آية الله الخوئي لرفضتُها.

سمعتُ من السيّد حسين نجل المرحوم السيّد مصطفى الخميني: كان بيت السيّد الإمام في مدينة النجف الأشرف حارًا جدًا في فصل الصيف، وفي يوم من الأيام زار آية الله الخوئي السيّد الإمام، وشاهد أوضاع البيت، ولذا أمر مهندسًا معماريًا لإيجاد تغييرات في البيت حتى يتغير الهواء فيه، فنفّذ المهندس المعماري ما أمر به آية الله الخوئي.



المحتويات







